

سلسلة تاريخ العرب والإسلام

المنسوجات والألبسة العربية

في

المعهود الإسلامية الأولى

د. صالح أحمد العلي

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

المنسوجات والألبسة العربية

في العهود الإسلامية الأولى

الدكتور صالح أحمد العلي

المنسوجات والألبسة العربية
في العهود الإسلامية الأولى

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

حقوق الطبع محفوظة



مركز المطبوعات والنشر

شارع جان دارك - بناية الوهاد

ص.ب. ٨٢٧٥ - بيروت - لبنان

تلفون: ٣٥٠٧٢١/٢ (٠١)

تلفون + فاكس: ٣٤٢٠٠٥ - ٣٥٣٠٠٠ (١ ٩٦١)

e-mail: allprint@cyberia.net.lb

الطبعة الأولى ٢٠٠٣

تصميم الغلاف: عباس مكي

الاحراج الفني: بسمة التقي

الفصل الأول

ملاحظات عامة

أهمية الملابسات وتطورها

الملبوسات إحدى الحاجات الأساسية الثلاث لحياة الإنسان، إلى جانب المأكل والمسكن، ولتطورها صلة وثيقة بتطور الحضارة، فهي تعتمد عند الشعوب الابتدائية على المواد التي تقدمها الطبيعة من ورق الشجر أو الصوف والجلود، ولكن بتقدم الحضارة وما رافقها من تربية المواشي وتدجين النباتات لتجهيز المواد الأولية استجابة لمتطلبات الغزل والحياكة والنسيج والصباغة ثم الخياطة، وكل هذه ترتبط بتقنيات الصناعة، أدى ذلك كله إلى تطور صناعة الألبسة متأثرة في الوقت عينه بالمستويات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات عبر العصور.

ترجع الألبسة في بلاد الشرق الأوسط إلى أزمنة موغلة في القدم تطورت بتطور حضارة هذه البلاد، وتنوعت تبعاً لتنوع الحضارة وتعقد المجتمع وتقدم الفنون. وكانت المنسوجات من أهم مواد الصناعة والتجارة، سواء في موادها الأولية أو صناعاتها، وخاصة مما هو قليل الوجود غالي الثمن. ولم يكن العرب بمعزل عن ذلك، ومصادر معلوماتنا في هذا المجال متنوعة، منها الكتابات والنقوش، إلا أن كمية المعلومات التي وصلتنا عن أحوالها قبل الإسلام قليلة، ولم نجر عنها دراسات شاملة تكفي لتقديم صورة واضحة عن تطور أحوالها، ويمكن القول إنه كانت في الجزيرة منسوجات محلية متنوعة

ومحدودة، ومنسوجات تصدر فائض إنتاجها، إذ يشتد الطلب عليها لتميزها بمادة صنعها وتقنياتها.

كان الإسلام حدثاً فاصلاً في تاريخ العرب مؤثراً في مختلف جوانب حياتهم، وقد أمتد أثره إلى الملابس، فقد كَوّن العرب بفضل الإسلام دولة واسعة شملت كافة الأقاليم التي كانت تابعة للساسانيين ومعظم الأقاليم التي كانت من قبل تابعة للروم، فأصبحت كافة هذه الأقاليم تجمعها دولة واحدة، تعلوها كلمة الله ويرأسها خليفة واحد يسير بهدى القرآن والإسلام، وحوله مستشارون ومن يعينه في السير على ذلك المسلك. وقد حلّ بين أقاليم هذه الدولة السلم العام، وأزيلت الحواجز التي كانت من قبل تعرقل التجارة، وأباحت حرية التنقل والعمل والكسب، وانتشر المقاتلة العرب بأعدادهم الكبيرة، وكثرت حاجاتهم إلى الملابس الشعبية البسيطة؛ فكان لهم فيها ذوق خاص صارت له السيادة في الدولة الجديدة. ولكنه تطور بمر الزمن فظهر كثير من الأغنياء الذين عنوا باختيار الألبسة المترفّة، واقتبس بعضهم ما كان سائداً من أزياء. وكان أثر هذا التطور بارزاً في الأمصار الرئيسة الكبرى، وهي الكوفة والبصرة، والفسطاط، ثم انتقل تأثير ذلك إلى المدينة، وإلى الحواضر الكبرى فيما بعد، حيث أصبحت المراكز الرئيسة لاستهلاك السلع والمتاجرة بها.

أدت الفتوح الإسلامية إلى زيادة موارد جماهير العرب وخاصتهم، وإلى رقي مستوى المعيشة وازدياد الاهتمام في اقتناء الألبسة وخاصة في الأمصار الإسلامية، وربما في المراكز القريبة منها. وقد تجلّى هذا البذخ في كمية وأنواع الملابس التي استعملها مختلف طبقات الناس.

وفي بداية التاريخ للإسلام، يقف الرسول الأعظم، وقد اهتم المسلمون بتدوين أعماله وأخباره ومختلف جوانب حياته، وكان مما بحثوه الألبسة التي كان يستعملها هو وصحبه. وقد خص المحدثون وكتاب السيرة البسته بفصول خاصة، ويبدو مما كتبه أنه كان يهتم بنظافة ثيابه وبساطتها دون الترف. فيروي البخاري «أن الرسول (ص) كان يصلي ملتحفاً في ثوب واحد»^(١). ويروي

(١) البخاري : لباس ٩.

النسائي عن عمر بن أبي سلمة أنه رأى رسول الله (ص) يصلي في ثوب واحد في بيت أم سلمة واضعاً طرفيه على عاتقه^(١)، كما يروي عبد الرحمن عمن أخبره أنه «رأى النبي (ص) صلى في ثوب واحد متوشحاً به»^(٢).

غير أن تطور مستوى المعيشة بعد زمن الرسول (ص) أدى إلى اهتمام الناس بالثياب، حتى أن مروان بن أبان بن عثمان طلع مرة وعليه سبعة قمص وكانها درج، بعضها أقصر من بعض، ورداء عدني بثمن ألفي درهم^(٣).

ويبدو أن الإكثار من الألبسة لم يقتصر على المترفين، بل عم الناس جميعاً، حتى أن جابر بن عبد الله «أمهم في قميص ومعه فضل ثيابه به يعرفنا سنة النبي»، وأنه أمهم في قميص ليس عليه أزار ولا رداء ليعلمنا أنه لا بأس بالصلاة في ثوب واحد^(٤). ويروي محمد بن المنكدر: «صلى جابر في إزار قد عقده من قبل قفاه، وثيابه موضوعة على المشجب، فقال له قائل تصلي في إزار واحد، فقال إنما صنعت هذا ليراني أحمق مثلك، وأينا كان له ثوبان على عهد رسول الله (ص)^(٥). ويروي الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة «أن سائلاً سأل رسول الله (ص) في الثوب الواحد فقال: أو كان لكم ثوبان»^(٦). ويروي أحمد بن حنبل بعدة أسانيد: «قال أبي بن كعب الصلاة في الثوب الواحد سنة كنا نفعله مع رسول الله (ص) ولا يعاب علينا، فقال ابن مسعود إنما كان ذلك إذا كان في الثياب قلة، فأما إذا وسع الله فالصلاة في الثوبين أزكى»^(٧).

كانت ألبسة الناس تختلف تبعاً لمكانتهم في المجتمع، وقد وضح الجاحظ ذلك فقال إنه في أزمنة قبل الإسلام «كان الكاهن لا يلبس المصبغ، والعراف

(١) النسائي ١٢٤/١، وانظر أيضاً ابن حنبل ١٠/٣، ١٥، ٢٦/٤.

(٢) عن صلاة الرسول (ص) في ثوب واحد، انظر: ابن حنبل ١٠/٣، أبو داود صلاة ٧٧.

(٣) الأغاني ٨٩/١٧.

(٤) مساند أبي حنيفة ٣٤٩/١.

(٥) البخاري: كتاب الصلاة ٣.

(٦) البخاري: كتاب الجزية ٩.

(٧) ابن حنبل ١٤١/٥.

لا يدع تذييل قميصه أو سحب رداءه، والحكم لا يفارق الوبر، وكان لحرائر النساء زي، ولكل معلوم زي، ولذوات الرايات زي وللأماء زي^(١).

ويذكر كذلك «وكانت العرب تلهج بذكر النعال، والفرس تلهج بذكر الخفاف». وفي الحديث المأثور أن «أصحاب رسول الله (ص) كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الأحمر والصففر ويقولون هو من زينة نساء آل فرعون»^(٢)، وذكر اختلاف الألبسة في العهود العباسية الأولى فقال «فقد يلبس الناس الخفاف والقلائس في الصيف كما يلبسونها في الشتاء إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الأمراء وعلى السادة العظماء، لأن ذلك أشبه بالاحتفال وبالتعظيم والإجلال وأبعد من البذل والاسترسال، وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم في منازلهم ومواضع انقباضهم».

وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب، فمنهم من يلبس المبطنة ومنهم من يلبس الدراعة، ومنهم من يلبس القباء، ومنهم من يلبس البازيكند ويعلق الخنجر ويأخذ الجور ويتخذ الجمة.

وزي مجلس الخلفاء في الشتاء والصيف فرش الصوف، وترى أن ذلك أكمل وأجزل وأقخم، وكانت الشعراء تلبس الوشي والمقطعات والأردية السود وكل ثوب مشهر.

واتخذ القضاة القلائس العظام في حمارة القيظ، واتخذ الخلفاء العمائم على القلائس، فإذا كانت القلائس مكشوفة زادوا في طولها وحدة رؤوسها حتى يكون فوق قلائس جميع الأمة^(٣).

ذكر ابن منظور صنفين من الألبسة، ما يقطع وما لا يقطع، والمقطع من الثوب كل ما يفصل ويخاط من قميص وجباب وسراويلات وغيرها، وما لا يقطع منها كالأردية والأزر والمطارف والرباط التي لم تقطع، وإنما يتلفع بها

(١) البيان والتبيين ٩٦/٣ - ٩٧.

(٢) المصدر نفسه ١٠٦/٣.

(٣) المصدر نفسه ١١٤/٣ - ١١٧.

مرة ويتلفع بها أخرى، والمقطعات هي الثياب القصار، لا الجبة ولا القميص والشملة، ما يدار على الجسد حتى لا يخرج منها يده^(١).

وذكر مالك ما يدل على أن الخياطة نوعان، رومية وعربية، وأن أجره الخياطة الرومية ضعف أجره الخياطة العربية، وقدر أجره الرومية درهم، والعربية نصف درهم^(٢).

الدولة والملبوسات

الأرجح أن الدولة كانت تجبي ضرائبها من المنسوجات في المناطق التي تقل فيها النقود، فقد فرض الرسول (ص) على أهل هجر أن يؤدوا ما عليهم منسوجات المعافري^(٣) على الذميين أهل اليمن: «على كل حالم وحالمة، ذكر وأنثى، حر وعبد، ديناران أو قيمته من المعافري ثياباً»^(٤). وفرض خالد بن الوليد على أهل الأنبار أن يقدموا ألف عباءة قطوانية^(٥). ويروي محمد بن سلام: جاءت عمر حثل من اليمن فأعطى أصحاب رسول الله (ص) وأبو أيوب الأنصاري غائب، فرفع لنفسه حلة^(٦) وأخذ لنفسه حلة، وكان عثمان يوزع الكسوة على الناس^(٧).

ووردت إشارات إلى توزيع الدولة الثياب على الناس من زمن العباسيين، فيروي مصعب الزبيري أن عبد الله بن مصعب بن ثابت في عهد خلافة المهدي جلس للناس يعطيهم الأموال، يعطي الرجل من قریش ثلاثمائة دينار، ويكسوه سبعة أثواب، وأن الرشيد أخرج لأهل المدينة على يدي أبي بكر بن عبد الله

(١) لسان العرب ١٠/١٥٥.

(٢) المدونة ٣/٣٩٠.

(٣) الخراج لأبي يوسف ١٣.

(٤) انظر الوثائق السياسية لمحمد حميد الله، الوثيقة ١٠٩، ١١٠، وعن ثياب المعافري، ابن حنبل ٢٣٠/٥، ٢٤٧، فصول الزكاة في أبي داود، الخراج لأبي يوسف ٧١، ٧٥، الأموال لابن سلام ٥٢.

(٥) فتوح البداة ٢٤٥.

(٦) تهذيب ابن عساکر ٥/٤٠.

(٧) ابن سعد ٣ - ١٤/١، أنساب الأشراف ٥/١٠٦.

مصعب نصف عطاء وكسوة وقماً من سنة ١٨١، وأخرج على يده ثلاث أعطية وكسوة فاخرة في سنة ١٨٦، وأخرج على يديه في سنة ١٨٨ نصف عطاء وكسوة وقماً^(١).

أما في الشام فيذكر عوانة أن الضحاك بن قيس رئيس القيسية في يوم مرج راهط قتل وقتل معه من الأشراف ثمانون كلهم كان يأخذ القطيفة، كان لكل رجل منهم في العطاء ألفا قطيفة يعطونها من عطائهم^(٢). والراجح أن أخذ القطيفة لم يقتصر على أشراف القيسية، بل كان عاماً على الأشراف من جميع القبائل. ويدل نص البلاذري على أن توزيع القطيفة كان معمولاً به في أواخر خلافة السفينانيين، ومن المحتمل أن بداية تطبيقه ترجع إلى عهد الخلافة الراشدة، وأن العمل بها استمر في خلافة المروانيين أيضاً، ومن الطبيعي أن هذه القطيفة كانت توزع بصورة منتظمة وثابتة، وهي غير الهدايا من الألبسة التي يتروى في المصادر أنه قدّمها الخلفاء الأمويون، وخاصة المتأخرين منهم، وكذلك الخلفاء العباسيون.

لا بد أن كثيراً من المنسوجات التي يعطيها الخلفاء أو يهدونها، كانت تؤخذ من الضرائب العينية على المنسوجات في بلاد الشام. غير أنه لا يمكن الجزم بأنها مما كان يصنع في دور الطراز، إذ إن الطراز وإن كان مذكوراً في بيت لحسان بن ثابت في صدر الإسلام،^(٣) فليس ما يؤكد استخدامه قبل هشام بن عبد الملك الذي تنص إحدى الروايات أنه هو أول من اتخذ الطراز^(٤).

إن توزيع الدولة الملابس والمنسوجات لا يعني أنها عملت على ترويج استعمال ألوان أو منسوجات معينة، فلا توجد في المصادر إشارة إلى أنها كانت تفرض ألواناً معينة على المنسوجات التي توزعها، أو أنها فرضت زياً

(١) نسب قريش، لمصعب الزبيري ٢٤٢.

(٢) أنساب الأشراف ١٣٦/٥، الطبري ٤٧٢/٢.

(٣) من هذه الأحاديث أنظر فنسك: المعجم المفهرس مادة (علم).

(٤) الذخائر والتحف ٢١١، وانظر عن الطراز ونشأته، دائرة المعارف الإسلامية مادة (طراز)، وكذلك ما كتبه سارجنت في مقاله عن المنسوجات الإسلامية المنشورة في مجلة Ars Islamica.

رسمياً ذا ألوان مميزة حتى على مستخدميها من الجند والشرطة ورجال البلاط، إلا ما ذكره القاضي الرشيدى: «كان هشام وبنو مروان يكسون الناس الخبز إلا الأصفر والأحمر، ويكسونهم ما سوى ذلك من الألوان، ويدخرون الأحمر والأصفر لأنفسهم»^(١). إن فرض الدولة لوناً رسمياً يستعمله المتصلون بها لم يبدأ إلا في العصر العباسي حيث اتخذ السواد شعاراً رسمياً، كما تميّز بعض الجماعات، كالكتاب والفقهاء والتجار والجند والدهاقين باللبسة خاصة ذات ألوان خاصة.

لم يرد في الأخبار تحريم استعمال لون معين إلا في الأحرام وعند الحداد، وفيما عدا ذلك أطلقت الحرية في اختيار الألوان. ويروي ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز كتب أن لا تلبس الأمة خماراً، ولا يتشبهن بالمحررات^(٢).

تنوع الملبوسات

كان أهل الجزيرة العرب عند ظهور الإسلام متنوعين في أذواقهم ومستوياتهم الحضارية. وقد أشارت المصادر إلى بعض التباين بين لباس أهل الريف والقرى والمدن، ولباس الأعراب من البدو، فقد كان من لباس الأعراب البردة^(٣)، والبجاد^(٤). ويذكر ابن الحائك الهمداني عن صنعاء: «أما أهل بواديهم فأهل شعور من الحمام، ومنهم منحلة وأصحاب لبس الحمرة ومن بعد منها فأصحاب خضاب من ورس وزعفران»^(٥). والراجح أن كلام الهمداني، وهو من أهل القرن الرابع الهجري، ينطبق على العهود الإسلامية الأولى فيها، وأن تمايز أذواق أهل المدن عن أهل البدو لم يقتصر على صنعاء وحدها، بل كان قائماً في أماكن أخرى.

(١) الذخائر والتحف ٢١١.

(٢) ابن سعد ٢٨١/٥.

(٣) لسان العرب ٥٣/٤، الأغاني ١٣/٢.

(٤) لسان العرب ٤٣/٤.

(٥) الإكليل ٨/١٠.

توسعت الدولة الإسلامية بسرعة هائلة، فبعد أن كانت عند وفاة الرسول (ص) تشمل كل الجزيرة العربية تقريباً، امتدت خلال أقل من ربع قرن على وفاته وشملت كل البلاد الواقعة بين نهر جيحون في المشرق وتونس في المغرب، ثم توسعت في عهد الخلافة الأموية في أواسط آسيا والسند وأرمينية والمغرب والأندلس. وكان يقطن هذه الرقعة الشاسعة شعوب ومجتمعات متعددة، لها تقاليد ونظم اجتماعية واتجاهات فنية وأذواق متنوعة، كما كانت فيها قبل الإسلام دول ذات نظم وتقاليد يتصل بعضها بالألوان الألبسة السائدة عندهم. ومن الطبيعي أن تلك المجتمعات حدثت فيها تبدلات سياسية ومادية وحضارية بعد الفتح الإسلامي بسبب انقراض ملوكها وانحيار الطبقة الحاكمة التي كانت فيها، ونشاط الحياة الاقتصادية، وتزايد مكانة الطبقة المتوسطة من أهل المدن، وتكاثر عدد المهاجرين الأعاجم إلى الأمصار التي أنشأها العرب، وما كان لهم من آثار تدريجية في الألبسة والأذواق والألوان زاد أثرها بعد مجيء الدولة العباسية التي وإن ظلت تساند العرب، إلا أنها أتاحت حرية أوسع للأعاجم وخاصة في المدن للتعبير عن أذواقهم ومثلهم الحضارية، بل اقتبست بعض مظاهر حضارتهم في الألبسة والألوان. والواقع أن بعض العرب الذين نزلوا المدن الأعجمية أخذوا يقلدون الأعاجم في ألبستهم وأذواقهم، فيقول البلاذري «إن عباد بن زياد غزا قندهار ورأى قلانس أهلها طوالاً فعمل عليها فسميت العبادية»^(١). ويقول الجاحظ «وكذلك ترى أبناء العرب والأعراب الذين نزلوا خراسان لا ترى بينهم وبين أهل فرغانة فرقاً في السبال الصهب والجلود القشرة والأقفاء العظيمة والأكسية الفرغانية، وكذلك جميع تلك الأرباع لا تفصل بين أبناء النازلة وبين أبناء النابتة»^(٢). والراجح أن ما قاله الجاحظ عن ما وراء النهر ينطبق على أنحاء أخرى من الدولة الإسلامية، كما أن ازدياد هذا الاقتباس هو أحد المبررات في وصف الجاحظ أن دولة بني مروان عربية ودولة بني العباس إسلامية. ويقول مالك أن الخياطة من عمل الموالي^(٣).

(١) فتوح البلدان ٤٣٤.

(٢) مناقب الأثرالك. ضمن مجموعة رسائل الجاحظ ٦٣/١ - ٦٤.

(٣) المدونة ٩٥/٤.

تمايز أهل الحرف، بما في ذلك الكتاب والفقهاء والتجار والدهاقين باللبسة ذات ألوان معينة، كالذي حدث في العصر العباسي. قدّمت المصادر عن ملابس الرجال وألوانها معلومات أوفر مما قدّمت عن ملابس النساء وألوانها. غير أن هذه المعلومات تكفي للاستنتاج بعدم وجود تباين كبير بين أذواق النساء والرجال في اختيار الألوان وتفضيلها، رغم أن كتب الفقه والأوساط الأشدّ تمسكاً بالشرعية تؤكد قيوداً أشد على الرجال، فتذكر كراهية استعمال الرجال لبعض الألوان والألبسة التي لا يرون كراهيتها للنساء.

لا ريب في أن أهل الأمصار العربية، وهم الذين وصلتنا عنهم أكثر الأخبار، لم يكونوا في حالة واحدة من الذوق أو مستوى المعيشة أو الثروة، فقد كان فيهم الفقراء والزهاد ومحبو البساطة في المظاهر، كما كان فيهم الأغنياء والمترفون والمعنيون باختيار ملابسهم وألوانها، إلا أن المصادر الأدبية التي عليها جل اعتمادي، اهتمت بذكر العلماء والمتصلين بالخليفة وبعض العلية ودونت معلومات عن ملابسهم وألوانها، فمعظم المعلومات التي أذكرها في هذا البحث تتعلق بألوان ملابس طبقة معينة كانت لها مكانة كبيرة في المجتمع، وكانت أنموذجاً يقدّره الآخرون ويعملون على الاحتذاء به، فملابسهم وألوانها تمثل «المثل العليا» التي يعمل الكثيرون على تقليدها ونشرها بين الناس، فهي منتشرة بين أفراد وأوساط أكثر بكثير من القلة التي صرحت المصادر بأسمائها في كتب الفقه، فاهتمت بما يسود عند سواد الناس وعمومهم. فالألوان التي تشير إلى استعمالها كانت هي السائدة بين الغالبية العظمى من الناس في بيئات الفقهاء الذين ألفوا تلك الكتب على الأقل.

إن أكثر المعلومات التي تناولت ألبسة القرن الأول وأوائل القرن الثاني، كانت عن ملابس أهل الحجاز. أما معلومات القرن الثاني والثالث، فأكثرها عن بغداد، ومعلومات القرن الرابع عن الفسطاط ومصر. ومرجع ذلك تنوع مراكز الحضارة وتطورها.

الفصل الثاني

مصادر دراسة المنسوجات والألبسة

لم تصلنا من القرون الأولى مخلفات من الألبسة، كما أن الصور التي عرضتها الكتب المعنية بالفنون قليلة جداً وغير شاملة أو دقيقة. ويرجع أغلبها إلى القرون المتأخرة، وليس إلى الحقبة التي تركزت عليها هذه الدراسات، وهي لا تتجاوز القرن الرابع الهجري. ولم يكتب الحرفيون عن فنون صناعاتهم وموادها، لذلك فإن جل اعتمادنا، في دراسة الألبسة، على ما أورده أهل اللغة والحديث والفقه والأدب والتاريخ وجعلهم من العلماء وليسوا من الحرفيين، فمعلوماتهم تعبر عن الظواهر الخارجية العامة، وفيها تفاصيل عن تلك الجوانب دون غيرها.

كتب اللغة

لأهل اللغة مكانة متميزة لوفرة المادة عن الألبسة ووصف بعضها من حيث مادتها وألوانها، وأكثرهم دؤن معلوماته في القرنين الثاني والثالث. وقد صنفوا معلوماتهم بطريقتين متميزتين: الأولى تبعاً لمواضيعها، بما في ذلك الملابس والألوان وموادها وإشارات إلى بعض طرق صنعها. وأبرز من اتبع هذا الأسلوب الشعالي في (فقه اللغة)، وابن سيده في المخصص الذي خص الملابس، وما يتعلق بها، بفصول غنية استوعب فيها أكثر ما رواه من سبقه من العلماء، وصار معتمد أصحاب المعاجم الذين رتبوا مادتهم تبعاً لحروف الهجاء وأبرزهم ابن منظور في كتابه (لسان العرب) والصاغاني في كتابه

(العباب) والزبيدي في كتابه (تاج العروس)، وكلها كتب ضخمة اعتمدت في معلوماتها عن النسيج والملابس على علماء القرنين الثاني والثالث، دون إضافة تستحق الذكر.

كتب الفقه

وفي كتب الفقه الأولى - وأبرز ما وصلنا منها (الموطأ) و (المدونة) لمالك ابن أنس و (الجامع الكبير) و (الحجيج) و (الأصل) لمحمد بن محسن الشيباني، و (الأم) للشافعي و (الكافي) للكليني - مادة غنية عن أنواع المنسوجات والملبوسات والألوان، لا سيما ما كانت تستعمله العامة من العرب في الأمصار الإسلامية الأولى، وبخاصة في المدينة والكوفة. وهي من حيث العموم تعنى بذكر المباح والسائد من الملبوسات وما يتصل بها من ألوان وصباغة وحياسة وخياطة، وأكثر اهتمامها بعرض وجهة نظر الأوساط المتدنية والألبسة العامة والجمهور دون العلية، وبالسائد دون الخاص المحدود الاستعمال. وأكثر هؤلاء (الفقهاء) عنوا بذكر ما كان مستعملاً في البلد الذي عاشوا فيه من منتج محلي أو مستورد. والمعلومات التي قدموها كانت أساس معلومات الفقهاء المتأخرين الذين نقلوها دون إضافات كبيرة، ولم تحظ المعلومات الغنية التي قدمها هؤلاء الفقهاء الأولون بالاهتمام الجديرة به.

كتب الحديث والتراجم

ولعلماء الحديث إسهام جدير بالتنويه في ما قدموه من معلومات تتصل خصوصاً بألبسة الرسول (ص) والصحابة، بما في ذلك مادة المنسوجات وألوانها والملبوسات وهي ما كان مستعملاً في زمنهم وفي الأجيال التالية. إلا أن مادتهم تقتصر على ذكر أسماء الملبوسات دون وصف مفصل لأي منها، مثل ألوانها وموادها؛ فهي تقدم مادة أولية فحسب. ونشير إلى موضوع صحة الأخبار عن الرسول (ص) التي أثارت نقاشاً تقتصر منه على القول إن الأحاديث الموضوعة لا تخلو من فائدة في بحثنا، لأن ذكرها يدل على وجودها، حتى وإن لم تثبت صحة استعمال الرسول (ص) لها.

وفي كتب التراجم مادة قيمة عن ألبسة الصحابة والتابعين، ممن عاشوا في

القرن الأول وأوائل القرن الثاني. ولابن سعد مكانة متميزة في هذا الميدان؛ ذلك أنه في كتابه الضخم (الطبقات الكبير) ذكر ملابس كثير ممن ترجم لهم، ولمعلوماته قيمة متميزة لكثرتها وتنوعها، ولكنها متفرقة وتقتصر على ذكر اسم الملابس ومادته ولونه دون ذكر تفاصيل أخرى. وجلّ من ترجم لهم هم من العلماء والعامة، وقليل من العلية والخاصة، وكان هذا الكتاب معتمد من تلامه.

اعتمد ابن سعد على رواية موثوقين، ولكنه لم يخل من روايات متناقضة تتجلى فيما رآه عن كفن الرسول (ص)، وعن الموقف من لبس المحرم. والروايات، التي أوردها في هذه المسجال، لم يُبدِ رأياً في مدى مطابقتها للشريعة كما صاغها المتأخرون.

كتب التاريخ والآداب

في كتب التاريخ والآداب، وردت عن الملابس والمنسوجات معلومات متفرقة، ولكنها مهمة، وبخاصة ما يتصل منها بألبسة العلية والشعراء. ومن أهم هذه الكتب (تاريخ الطبري)، و(عيون الأخبار) لابن قتيبة، و(الأغانى) لأبي الفرج، و(التيه والإشراف) و(مروج الذهب) للمسعودي، و(الذخائر والتحف) للرشيدي. ويتميز كتاب (الموشى) للوشاء، و(حكاية أبي القاسم) لأبي القاسم، و(لطائف المعارف) للثعالبي، بأن كلاً منها يتضمن مادة غنية عن المنسوجات وألبسة مختلف الطبقات ومراكز النسيج.

وفي كتب الحسبة، وأبرزها (معالم القريبى) لابن الأخرى، معلومات قيمة عن المنسوجات وصناعتها، إلا أنها متأخرة عن الحقبة التي حددناها لكتابنا. وفي كتب البلدانيين وأخصها (البلدان) لليعقوبي و(المسالك) للاصطخري و(صورة الأرض) لابن حوقل، و(أحسن التقاسيم) للمقدسي، معلومات قيمة عن متوجات الأقاليم والمدن الإسلامية. كما ترد معلومات قيمة في عدد من الكتب التي تناولت تاريخ مصر، وبخاصة (اتعاظ الحنفا) و(السلوك) للمقريزي، و(الفضائل الباهرة) لابن ظهيرة، وكلهم فضل في ذكر ملابس العلية في زمن الفاطميين، معتمدين بخاصة على مؤلفات ابن زولاق التي لم تطبع.

حدود المادة

قدّمت المصادر الأولى معلومات غنية متفرقة، ولكنها لا تكفي لتكون صورة كاملة لأحوال وتطور المنسوجات وما يتصل بها. ومرجع بعض ذلك أن جل المعلومات جاءت من رواة كانوا مقيمين في القرن الأول وأوائل القرن الثاني في مكة والمدينة، ثم تلاهم من كان يقيم في بغداد والبصرة والكوفة، ثم كثر من كان يقيم منهم بعد ذلك في مصر، ولم يكونوا يمارسون صناعة النسيج ومتعلقاتها، ولم يعرف عن أحد منهم زيارة أي من هذه المراكز، فمعلوماتهم مستمدة من مراكز لا تنتج المنسوجات وإنما تستوردها، ولا تصنع المنسوجات وإنما تعرضها للبيع والاستعمال، فهي معلومات أوثق صلة بالتجارة منها بالصناعة، وهي لا تذكر كثيراً من المنسوجات التي كانت تنتج وتستهلك محلياً ولا تصدر.

ثم إن معلوماتها عن كثير من المنسوجات تتعلق بالشوب واستعماله وسعره، دون ذكر المادة التي صنع منها والمهارة الصناعية التي بذلت فيها، وهل هي من الكتان أم من الحرير أو القطن أم من كليهما، وما علة الارتفاع الاستثنائي لأسعار بعضها.

والمصادر القديمة تتبع أسساً متباينة في تسمية المنسوجات، فُتسمي بعضها بأسماء ذات صلة باللباس، وغير محددة المعاني كالحرير والمطرف والرداء. وتسمي منسوجات أخرى بأسماء أشخاص كالسعيدية، أو بأسماء أقاليم كالعمانية والقطرية، أو بأسماء بلد أو مدينة، كالجنديّة والعديّة والصنعائية. وأغلب هذا الصنف الأخير مرتبط بأماكن في اليمن وفي جزيرة العرب ثم في خراسان. ولا بد أن هذا التسمية ترجع إلى أن لكل منسوج منها سمة مميزة، وأن صناعته ذات صلة بالمكان المسماة به، فهي متركزة فيه عند ظهور الإسلام أو قبله، وإن كانت لا تحدّد أو تلمح إلى تاريخ نشأته أو سماته المميزة في المادة والمهارة والمظهر، كما أنها لا تبين العلاقة بين المنسوج المسمى باسم إقليم كاليمني والخراساني، وبين المسمى في مكان محدود من ذلك الإقليم كالجندي والصبري في اليمن، والمروي والنيسابوري في خراسان.

أدى قيام الدولة الإسلامية وتوسّعها إلى تبدلات في الأحوال المؤثرة في التجارة والاستهلاك، وبخاصة ما يتصل بالمنسوجات والألبسة ومراكز الاستهلاك. فقد تقلّصت الطبقة العليا التي كانت مهيمنة إبان حكم الساساني، وقل الإقبال على المنسوجات المفضلة عندها، وحل محلها العرب الذين كانوا يقيمون في الأمصار، وتوزّع عليهم الدولة العطاء والرزق مما قوى قدرتهم الشرائية للسلع المفضلة عندهم. ولكنهم كانوا أميل إلى متابعة استعمال منسوجات بلاد الجزيرة العربية التي حافظت على رواجها أمدأ، وتناقص الطلب على المنسوجات المترفة التي كانت تقبل عليها الطبقة الساسانية العليا المتهاوية. وقد مرت سنوات قبل أن تقوى العلية العربية التي تستعمل الملابس المترفة.

ثم إن الدولة الإسلامية الجديدة امتدت على أراضٍ واسعة وضمت أقاليم كثيرة وأباححت حرية العمل والتنقل، فازدهرت بين أرجائها تجارة السلع التي كان يحتاج إليها المجتمع. ولابد أن هذه التطور امتد إلى انتقال عدد من الصناعات بخبراتهم إلى المراكز الكبرى للاستهلاك، ليقيموا مراكز جديدة لصناعة السلع التي عرفوا بها. فلم يعد صنع المعافري مثلاً مقصوراً على اليمن، وإنما صار أيضاً يصنع في أماكن أخرى. ولعل بعض ما اشتهرت بصناعته الكوفة في القرن الثالث راجع إلى مهارات صنّاع يمانيين انتقلوا إليها، وبذلك لم تعد تسمية منسوج معين دليلاً جازماً على المكان الذي صنعت فيه.

تتوفر عن المنسوجات في الحجاز إبان القرن الأول معلومات تفوق ما يتوفر عن الأقاليم الأخرى. ومرجع بعض ذلك أن المدينة ومكة كانتا مقام الرسول (ص) والصحابه وأكثر التابعين، وكلهم لقيت حياتهم اهتماماً خاصاً من الرواة والفقهاء، إضافة إلى كثرة عدد المعنيين بحياة الترف من أهلها. وكثرة الأخبار عن الحجاز لا تعني قلة اهتمام أهل الأمصار الأخرى بالملبوسات وما يتصل بها.

وللمنسوجات والملبوسات علاقة وثقى بتقنيات الصناعة وموادها وخصائصها ومدى استعمالها وأسعارها وعلاقتها بالحياة الاقتصادية والاجتماعية، مما لم

تقدم عنه المصادر الأولى غير أخبار متفرقة، تتطلب الجمع والتنسيق والاستنباط لاستكمال صورة واضحة عن الموضوع، الذي يتطلب من الباحث فيه جهوداً لتقدير أهمية الجزئيات وربطها بالهيكل العام.

الدراسات الحديثة

حظيت المنسوجات والألبسة في الأزمنة الحديثة باهتمام، إذ نشرت عنها كتب ومقالات ومن أقدمها كتاب (المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية) الذي نشره رينهاردت دوزي سنة ١٨٤٣، وترجمه الدكتور أكرم فاضل إلى العربية سنة ١٩٧١. وقد وصف فيه عدداً كبيراً من الألبسة التي استعملت في البلاد الإسلامية مرتبة على الحروف الهجائية. واهتم بصورة خاصة بالأقسام الغربية من العالم الإسلامي، وأكثر اعتماده كان على مخطوط كتاب (السلوك) للمقريزي، وعلى كتاب (ألف ليلة وليلة)، وكذلك على كتب الرحالة الغربيين. غير أنه بالنظر لقدم تأليف الكتاب، فإن دوزي فاتته معلومات كتب كثيرة طبعت فيما بعد. كما أنه لم يهتم كثيراً بالمعلومات المتعلقة بملابس أهل العهود الأولى.

ونشر الأستاذ ماير سنة ١٩٥٢ كتابه عن الملابس المملوكية، وترجمه إلى العربية صالح الشيبلي سنة ١٩٧٢. وفي هذا الكتاب مادة غنية منظمة تبعاً للابسيها من الخلفاء والسلاطين وكبار الموظفين والعلماء والعامة، مع الإشارة إلى مادتها وألوانها، غير أن بحثه مقتصر على الفترة المملوكية المتأخرة عن الفترة التي ندرسها.

ونشر الأستاذ سارجنت في مجلة Ars Islamica مقالات عنوانها (مواد لدراسة المنسوجات الإسلامية) في العصور الوسطى، مصنفة، تبعاً للمواقع الجغرافية لأماكن إنتاجها. وقد أورد في دراسته مادة واسعة مستوعبة، غير أنه خصص فصلاً قصيراً عن الصباغين، قدم فيه نصوصاً عن اليهود منهم، وعمّا ذكرته بعض كتب الحسبة عن الصباغة. وأكثر مادته عن المنسوجات العباسية، أما ألوانها فلم يهتم ببحثها.

وفي كتاب Survey of Persian Art الذي أشرف بوب على إعداده ونشره،
فصول قيمة عن المنسوجات والحياكة، أكثرها عما كان في الهضبة الإيرانية في
الآزمنة التالية للقرون الأولى.

ونشر الأستاذ لومبارد سنة ١٩٧٨ كتاباً قيماً بالفرنسية عن (المنسوجات بين
القرنين السابع والعاشر)، فيه معلومات غنية مستمدة من قائمة واسعة من
المصادر.

ونشر صلاح العبيدي كتاباً عن الملابس العربية، في الشعر الجاهلي. وفي
دائرة المعارف الإسلامية، بطبعتها الجديدة، مقالات قيمة عن بعض المنسوجات
وموادها من سجاد وحرير. ونشر كل من جاستون فيت، وريث وزيكس، أبحاثاً
عن جوانب من الفنون الفارسية.

ونشرت صبيحة رشيد رشدي دراسة معرّزة بالرسوم عن الألبسة العربية
الأولى.

إن الدراسة الحالية أفادت مما نشر في الموضوع، وأضافت معلومات
وإشارات فأتت الباحثين، ووضعت نطاقاً، أشمل مما سبق نشره، ولا نزع أن
استوعب كل المادة المتناثرة؛ وإنما هي جهد المقل، لا يدعي فيه العصمة أو
الكمال، والكمال لله وحده.

الفصل الثالث

مواد النسيج

القطن والبز:

القطن نبات قديم نقله الآشوريون من السند، وزرعوه في بلادهم شمال العراق، ثم انتشرت زراعته في أرجاء متعددة في بلاد الشرق الأوسط. ويذكر لومبارد أن القطن كان في القرن الأول الميلادي يأتي من البحرين والخليج العربي وجنوب الجزيرة. ويقول إن هذه المناطق ظلت تنتج المنسوجات القطنية بعد الإسلام وتصدّرها إلى مصر وأثيوبيا، وإن مناسج القطن في العالم الإسلامي تعتمد على ما تستورده من القطن من جنوب الهند ومن السند^(١). غير أنه توجد إشارات إلى زراعة القطن في العراق وفي جزيرة العرب. وذكر أبو حنيفة الدينوري، عن بعض أعراب حلب في شمال بادية الشام، أن القطن يعظم عندهم شجرة حتى يكون مثل شجرة المشمش ويبقى عشرين سنة^(٢). ويذكر الماوردي أن القطن يسمّى عند أهل الحجاز الكرسف، وهو بالبصرة وأطراف اليمن والحجاز شجر يلقط عاماً بعد عام، ويكون في سائر البلاد زرعاً يحصد في كل عام^(٣). ويذكر أيضاً أن الكرسف قطن أصبهاني ونيسابوري أو بصري

(١) (المنسوجات في العالم الإسلامي لقرنين: السابع والحادي عشر)، بالفرنسية. وانظر ابن سبه ٧٣/٤، لسان العرب ٧٨/٨.

(٢) ابن العوام ١١٣/٢، لسان العرب ٢٢٢/١٦.

(٣) الحاوي للماوردي ٧٤/٣ ب (مخطوط أحمد الثالث).

أبيض وأصفر^(١). نقل ابن الفقيه عن رجل من مجهزي القطن كان بالشام ثم وقع إلى كورة مرو من بلاد خراسان، وهو لا يظن أن القطن يكون بغير بلاد الشام، فاحتل من كثرته بمرو بما فاض عن عقله وأتهم معه فهمه. ثم سأل عن البلدان التي يحتمل تجهيز ذلك إليها فقبل له بغداد، فأقبل يريد العراق لذلك. فلما أشرف، من بلاد الري ونواحيها، على ما لم تر عينه مثله من الأقطان أيضاً وتجهيزها، فسأل فكانت القصة سواء، ثم أقبل لما التقى القوافل فأقبل عليه الأرض البيضاء^(٢). . ولا بد أن القطن الذي شهده كان من منتج البلاد التي مر بها.

غير أنه لم تُعرف في الحجاز صناعة واسعة للقطن ونسيجه، وإنما كان أهل الحجاز يستوردون المنسوجات القطنية من اليمن أحياناً، وعلى الأكثر من العراق. فيروي أن يحيى بن سعيد قال «يقدم علينا البز من العراق، فيأتي صاحب المدينة بتسمية»^(٣). وقال وضاح:

وتلبس من بز العراق مناصفاً وأبرد عصب من مهلهلة الجند^(٤).

وكانت مكة عند ظهور الإسلام تستورد البز من هجر^(٥)، وتصنع من القطن عدة أنواع من المنسوجات، تختلف في دقة نسيجها ونحوتها ونظريتها. فذكر مالك بن أنس أن ثياب القطن يسلف بعضها في بعض إلا الغلاظ، منها المروس والهروي والقوهي والعدني، فهذا لا بأس به أن يسلم^(٦) بعضه في بعض، فكان مالك لا يجير أن يسلم العدني في المروي^(٧). وقال أيضاً «إن كان الذي عليك ثياباً قرقية فلا بأس أن تبيعها قبل محل الأجل بثياب قطن

-
- (١) الحاوي ٢٠٤/٣.
 (٢) البلدان لابن الفقيه ٧٥.
 (٣) المدونة ٢٤/٩.
 (٤) الأغاني ٢٣٦/٦.
 (٥) أبو داود، يروى ٦.
 (٦) المدونة ٢٣/٩.
 (٧) المصدر نفسه ٨٨/٩.

مروية أو هروية»^(١)، وذكر أيضاً من المنسوجات القطنية «الملاحف البصرية والرباط السابرية»^(٢).

وذكر الماوردي من منسوجات القطن الأصهبانية والنيسابورية والبصرية، وأن القطن أبيض أو أصفر، وذكر أيضاً من أنسجة القطن الهروية والمروية»^(٣).

ذكرنا أن أكثر البلاد إنتاجاً للمنسوجات القطنية في اليهود الإسلامية الزاهرة هي خراسان والعراق واليمن، وذكر المقدسي وابن حوقل أماكن أخرى تنتج البز والقطن في عدد من المراكز في المشرق، ومن هذه الأماكن تستر «معدن كل حاذق في عمل القطن»^(٤) و«من العسكر بز جيد له بقاء»^(٥). ومن المحتمل أنها كانت تعتمد في صناعتها على ما تنتجه من القطن وليس على ما تستورده.

وكان «يعمل بالسيرجان من هذا البز شيء كثير»^(٦)، و«الديلم بزه معروف بمصر والعراق»^(٧)، و«طبرستان أكثر قطنهم يضاهي قطن صعدة وصنعاء وفيه صفرة»^(٨). وكانت قومن تنتج مناديل بيضاً من القطن»^(٩)، وتنتج يزد وأبرقوه ثياب قطن»^(١٠)، كما تنتج همدان وقم»^(١١).

ومنسوجات القطن متنوعة بمستواها، ومن أدناها الكرايس، وهي ثياب من القطن بيضاء»^(١٢). فيروي الأصهباني أن سعيد بن العاص لما جاءه الحطيئة يمدحه قال لو كي له إذهب معه إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشترته له، فجعل

(١) المدونة ٤٤/١٠.

(٢) الحاوي ١٢٠٤/٣.

(٣) المصدر نفسه ٩٩/٣.

(٤) أحسن التقاسيم ٤٠٩.

(٥) المصدر نفسه ٤١٦.

(٦) المصدر نفسه ٤٧٠.

(٧) المصدر نفسه ٣٥٣.

(٨) ابن حوقل ٣٨١/٢.

(٩) أحسن التقاسيم ٣٦٧.

(١٠) ابن حوقل ٢٦٤.

(١١) أحسن التقاسيم ٣٩٥.

(١٢) القاموس المحيط ٢/٢٤٥.

يعرض عليه الخز ورقيق الثياب فلا يريدھا، ويؤمئ إلى الكرايس والأكسية الغلاظ فيشتریها^(١). وفي بعض الروایات أن الرسول (ص) كفن في ثلاثة أثواب يمانية كرسف^(٢). وكان الخليفة علي بن أبي طالب (رض) مما يلبسه «قميص من هذه الكرايس من غير غسل»^(٣). ويروى أنه قال «البسوا الثياب من القطن فإنه لباس رسول الله (ص) ولباسنا»^(٤).

ومما يتصل بالقطن البز والبزاز في عرف الناس، من يبيع ثياب القطن والكتان لا من يبيع الخز والحريز^(٥). وذكر ابن منظور أن البز متاع البيت من الثياب^(٦)، ولكن المعروف أن أغلب ما يبيعه البزاز هو ثياب القطن حتى يكاد يكون البز مرادفاً للقطن.

ذكر مالك بن أنس بعض أحوال المعاملات في بيع البز في الحجاز، فقال: «الأمر المجتمع عليه عندنا في البز يشتره الرجل ببلد ثم يقدم به بلداً آخر فيبيعه مرابحة، إنه لا يحسب فيه أجر السماسرة ولا أجر الطي ولا النفقة ولا كراء بيت، فأما كراء البز في حملانه فإنه يحسب في أصل الثمن ولا يحسب فيه ربح إلا أن يعلم البائع من يساومه بذلك كله، فإن ربحه على ذلك كله بعد العلم به لا بأس به»^(٧). وقال: «الرجل يقدم له أصناف من البز يحضره السوام، ويقرأ عليهم برنامج، فيقول في عدل كذا وكذا ملحقة بصرية وكذا وكذا رائطة سابرية وذرعها كذا وكذا ويسمى أصناف ذلك البز بأجناسه وذرعه وصفته، وقال إن البيع جائز إذا وافق البرنامج»^(٨). وذكر أن العدل الزطي «في العدل خمسون ثوباً بمائة دينار»^(٩). كما ذكر «ثياب القطن لا يسلف بعضها في بعض إلا

(١) الأغاني ١٦٨/٢.

(٢) لسان العرب ٢٠٦/١٢.

(٣) ابن سعد ١٧/١-٣، لسان العرب ٢٠٦/١٢.

(٤) الكافي ٤٤٩/٦.

(٥) المبسوط للرخسي ٥٦/٢٢.

(٦) لسان العرب ١٧٥/٨.

(٧) الموطأ ٧٧/٢.

(٨) المدونة ٤٤/١٠.

(٩) المصدر نفسه ٤٢/١٠.

الغلاظ منها الشقائق والملاحف اليمانية الغلاظ من المروي والهروي والقروي والعدي، فهذا لا بأس به أن يسلم بعضه في بعض.

وكان مالك لا يجيز أن يسلم العدي في المروي^(١). وقال أيضاً: «يجوز بيع الریطة السابرية بالریطتين من نسج الولاثة عاجلاً أو آجلاً فهذا الذي تحتف فيه الأسواق والحاجة إليه، وعسى أن يبور السابري وينقطع نسج الولاثة ويبور نسج الولاثة وينقطع السابري»^(٢). وقال: «لا بأس الثوب الهروي بملاحف اليمانية والشقائق وما أشبه ذلك الواحد بالاثنتين أو الثلاثة يداً بيد أو إلى أجل وإن كان من صنف واحد»^(٣). ومن ثياب القطن الكرابيس^(٤)، وهي كلمة فارسية، وتعني الثياب الخشنة^(٥). ونقل ابن منظور أن عبد الرحمن بن عوف لبس عمامة كرابيس سوداء^(٦).

الصوف:

يكثر في المصادر ذكر لبس الصوف والمنسوجات الصوفية. فيروي ابن ماجه بسند عن أنس أنه قال بلبس رسول الله (ص) الصوف، واحتذى المخصوف، ولبس ثوباً خشناً. كما يروي بسند عن عبادة بن الصامت: «خرج علينا رسول الله (ص) ذات يوم وعليه جبة رومية من صوف ضيقة الكمين، وصلّى بنا فيها، ليس عليه شيء غيرها. وعن سلمان الفارسي أن رسول الله (ص) نوضاً فقلب جبة صوف كانت عليه فمسح بها وجهه»^(٧).

كان الصوف لبس الزهاد والمتنسكين. فيروي أن الحواريين كانوا يلبسون الصوف، وكذلك المساكين والمتنسكين والأنبياء والصوفية^(٨). ويروي ابن عبد ربه عن الربيع بن زياد الحارثي لما أراد زيارة عمر بن الخطاب، وقيل له إنه

(١) المدونة ٢٣/٩.

(٢) المصدر نفسه ٢٤/١٠، ١٣١.

(٣) المصدر نفسه ١٠.

(٤) المخصص ٧٣/٤، لسان العرب ٧٨/٨.

(٥) الصحاح للجوهري ٢٧٣/١.

(٦) لسان العرب ٧٨/٨.

(٧) ابن ماجه ٣-١٩٢/٢، وانظر مادة صوف في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

(٨) اللع ٢٠-٢١، وانظر عن استعمال المنسوجة الصوف، في التصوف الإسلامي، نكلسون ٤٨-٤٩.

يحبب الخشونة «لبس جبة صوف»^(١). ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة عزف عن الترف، فكان يجلس متكئاً على إزار وكساء من صوف^(٢). ولما تزهد أبو العتاهية لبس الصوف^(٣).

ويقول الجهنني إن فقراء المسلمين كانت عليهم جباب الصوف ولم يكن عليهم غيرها^(٤). ويذكر الشاعر هلال التميمي أنه عندما أراد الظهور بمظهر الفقراء جاء وعليه جبة صوف وبت، وليس عليه إزار^(٥).

كره بعض المسلمين استعمال الصوف. فيروى أن جعفر الصادق (رض) قال لا تلبس الصوف والشعر إلا من علة، وأن الخليفة علياً لم يكن يلبس الصوف والشعر إلا من علة. غير أن هذا الكره لم يصل إلى حد الاعتقاد بتحريمه، فيروى عن جعفر الصادق (رض) أن أحدهم رآه وعليه ثياب فوقها جبة صوف فقال له جعلت فداك إن الناس يكرهون لباس الصوف، قال كلا فإن أبي محمد ابن علي يلبسها، وكان علي بن الحسين يلبسها^(٦).

ذكرت المصادر عدداً من المنسوجات والألبسة وصفتها بأنها من الصوف منها العهن وهو الصوف المصبوغ^(٧). وينقل الثعالبي عن أبي عبيدة: «ولا يقال عهن إلا إذا كان مصبوغاً وإلا فهو صوف»^(٨). وقد ورد في الأحاديث النبوية ذكر عدد من الألبسة المصنوعة من الصوف وهي المروط^(٩)، والشملة^(١٠)، والبردة السوداء والحلة^(١١)، كما ورد ذكر الكساء والجبة^(١٢).

(١) المعقد الفريد ٥/١.

(٢) الأغاني ٥/٢٦٣.

(٣) المصدر نفسه ٤/٦٣، ٦٤.

(٤) تفسير الطبري ١٥. ابن حنبل ١/٢٦٨.

(٥) الأغاني ٣/٥٧.

(٦) الكافي ٦/٤٥٠.

(٧) لسان العرب ١٧/١٧٣.

(٨) فقه اللغة ١٦.

(٩) ابن حنبل ٦/١٢٩، ١٦٣، ٢٢٠.

(١٠) المصدر نفسه ٦/٤٣.

(١١) المصدر نفسه ٦/١٣٢، ١٤٤، ٢١٩، ٢٤٩.

(١٢) الترمذي، السنن ١٠.

ومن البسة الصوف الزهانة^(١)، والقوطة^(٢)، والسجلاط^(٣)، والبث وهو كساء من صوف غليظ^(٤)، وأنه كساء غليظ مهلهل مربع أخضر، وقيل هو من وير وصوف.. البث ضرب من الطيابة يسمى الساج مربع غليظ أخضر.. الجوهري البث الطيلسان من خز ونحوه^(٥). ويقول الجاحظ: «والكساء كلها صوف»^(٦)، ويقول أيضاً: «وفضل الضان على الماعز أن الصوف أغلى وأثمن وأكثر قدراً من الشعر»^(٧)، وكذلك: «وبيوت الأعراب إنما تعمل من الصوف والوبر»^(٨). ومن الألبسة التي تكون من صوف أو خز، الخميصة^(٩)، والمرط^(١٠)، والشملة^(١١) والبردة^(١٢).

ذكرنا أن من الألبسة الصوفية البث الذي يسمى أيضاً الساج وأنه طيلسان. وقد أشارت المصادر إلى السيجان والطيالسة، وذكر بعضها أنها تصنع من الصوف، فيقول مالك «الصوف كذلك منه ما يخرج منه السيجان العراقية وما أشبهها من الأسوانية، ومن الصوف مالا يكون منه هذه السيجان أبداً لاختلافه»^(١٣).

قدم بعض واضعي كتب اللغة معلومات عن السيجان، وقرنوها بالطيالسة. فيذكر ابن سيده عن أبي عبيد، أن البث ثوب من صوف غليظ شبه الطيلسان وجمعه بتوت؛ وعن صاحب العين: وهو الذي يسمى الساج؛ وقال غيره:

- (١) فقه اللغة ٢٤٣.
- (٢) لسان العرب ٩/٢٤٨.
- (٣) المصدر نفسه ٩/١٨٤.
- (٤) فقه اللغة ٢٤٦.
- (٥) لسان العرب ٢/٢١٢.
- (٦) الحيوان ٥/١٤٥.
- (٧) المصدر نفسه ٥/١٣٦.
- (٨) المصدر نفسه ٥/١٣٧.
- (٩) لطائف المعارف للثعالبي ٢٤٦.
- (١٠) المصدر نفسه ٢٤٦، لسان العرب ٩/٢٧٨.
- (١١) ابن حنبل ٣/٦.
- (١٢) المصدر نفسه ٦/١٣٢، ١٤٤، ٢١٩.
- (١٣) المدونة ٩/٢١. وانظر ما كتبه عن الطياليس في فصل الملابس.

الساج الطيلسان، وكل طيلسان أخضر ساج. ويقول ابن السكيت: البت كساء أخضر مهلهل تلتحف به المرأة فيغنيها. ويقول ابن دريد: الساج وهو الطيلسان، وقيل الساج الطيلسان الغليظ الضخم^(١).

وذكرت كتب الجغرافيا صوف قومس والديلم وديبل وبهنا، فأما قومس فيقول اليعقوبي إن أهلها «أحذق قوم يعملون أكسية البسط القومية الرفيعة»^(٢). ويقول المقدسي: «لهم أكسية وطبالسة وثياب رقاق من الصوف»^(٣). ويقول ابن حوقل: «يرتفع من قومس أكسية معروفة وتحمل إلى الأمصار وهي فاشية في جميع الأرض»^(٤). فأما الديلم فإن المقدسي يقول إنه «أقليم الصوف»، ويقول عن ديبل منها «ثياب والبسط والوسائد والأنماط والتلك الرفيعة»^(٥). ويذكر المقدسي أن أهل بهنا «يغزلون الصوف»^(٦).

وينقل ابن منظور أن أجود الصوف صوف النقد، وهي غنم صغار الأرجل تكون في البحرين^(٧).

ذكر الثعالبي أن «أجود الصوف صوف مصر ثم صوف أرمينية ثم صوف تكريت ثم صوف رويان»^(٨). ولم تذكر المصادر التي اطلعت عليها صوف تكريت أو اشتهاها بأنسجته. أما أرمينية، فلعل كثيراً من المنسوجات التي اشتهرت بها هي والمنطقة الكردية، كانت من الصوف، بما في ذلك الأكسية والبسط والزلالي.

وذكرت المصادر المصرية الصوف، فذكر كتاب (فضائل مصر): بوصير بها ثياب الصوف والألبسة وليس لها من الدنيا إلا بمصر^(٩). وذكر المقدسي أن

(١) المخصص ٧٩/٤، لسان العرب ١٢٧/٣.

(٢) البلدان ٢٦٧.

(٣) أحسن التقاسيم ٣٦٧.

(٤) ابن حوقل ٣٨٠/٢.

(٥) المقدسي ٣٥٣.

(٦) المصدر نفسه ٤٠٨.

(٧) لسان العرب ٤٣٧/٤.

(٨) لطائف المعارف ٢٢٣، وانظر ثمار القلوب ٢٣٣.

(٩) فضائل مصر المنسوب للكندي ٦.

«بوصير لا نظير لصوفهم وخيشهم»، وأن «طحا قرية بالصعيد يعمل بها ثياب الصوف الرفيعة»^(١). وذكر ابن حوقل أن البهنسا «تعمل بها الستور والاستبرقات والشرع والخيام والأخية والستائر والبسط والمضارب والفساطيط العظام من الصوف والكتان بأصباغ لا تستحيل»^(٢). وذكر ناصري خسرو أنهم «ينسجون في أسبوط عمائم من صوف الخراف لا مثيل لها في العالم، والصوف الرقيق الذي يصدر إلى بلاد العجم المسمى الصوف المصري كله من الصعيد الأعلى»^(٣).

الكتان:

كان الكتان في صدر الإسلام من ألبسة الطبقة المبسورة، ففي تفسير آية ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء/٦] يقول إبراهيم التيمي «إن المعروف ليس بلبس الكتان ولا الحلل ولكن ما سد الجوع ووارى العورة»^(٤). ويروي أحمد بن جعفر بسند عن ميمون بن مهران الكاتب: «شر الناس العيايون ولا يلبس الكتان إلا غني أو نحوي»^(٥). ويروي ابن قتيبة: قيل لرجل إنك لحسن الحسنة فقال أكل لباب البر بصفار المعز، وأدهن بجام البتقشج والبس الكتان»^(٦). ويقول حسان:

أَتَفَخَّرُ بِالكَتَّانِ لَمَّا لَبَسَهُ وَقَدْ تَلَبَّسُ الْأَنْبِيَاءُ رِبْطاً مَقْظُراً^(٧)

ويقول جعفر الصادق (رض) إن «الكتان من لباس الأنبياء وهو ينبت اللحم»^(٨). وإن «الكتان كان لبني إسرائيل يكتنون به، والقطن لأمة محمد»^(٩).

(١) أحسن التقاسيم ٢٠١.

(٢) ابن حوقل ١٤٩.

(٣) رحلة ناصري خسرو ١١٠.

(٤) تفسير الطبري ١٥٩/٤.

(٥) حلية الأولياء ٩٢/٤.

(٦) عيون الأخبار ٢٧١/٣.

(٧) سيرة ابن هشام ٦٠/٢.

(٨) الكافي ٤٤٩/٦.

(٩) المصدر نفسه ١٤٩/٣.

وكان يلبس الكتان كل من محمد بن سيرين^(١) وسالم بن عبد الله^(٢) وعامر الشعبي^(٣). ويقول ابن رسته إن «أول من لبس الكتان زياد بن أبيه»^(٤).

أنواع المنسوجات الكتانية:

يذكر ابن منظور أن «الشريع الكتان وهو الأبق والوزير والرازقي ومشاقة السبيجة»^(٥). فأما الرازقي، فهي ثياب كتان^(٦)، وهي الرقيقة^(٧). وقد وردت في بعض الأشعار الجاهلية، فقال عوف بن الخرع:

كَأَنَّ الظَّبَاءَ بِهَا وَالنَّعَاجَ يَكْسِينُ مِنْ رَازِقِي شُعَارَا^(٨)
وَقَالَ لِبَيْدٍ يَصِفُ ظُرُوفَ الْخَمْرِ:

لَهَا غُلُلٌ مِنْ رَازِقِي وَكَرْسَفٍ بِإِيْمَانٍ عَجْمٍ يَنْصَفُونَ الْمَقَاوِلَا^(٩)
وَقَالَ الْعَجِيرُ:

كَأَنَّ كَعُوبَهَا أَطْرَافُ نَبْلِ كَسَاهَا الرَّازِقِيَّةُ مِنْ بَرَاهَا^(١٠)
وفي حديث الجونية، قال الرسول (ص) يا أبا أسيد أكسها رازقين وألحقها بأهلها^(١١).

ومن الأنسجة الكتانية، الخيش، وهي «ثياب رقاق النسيج غليظة الخيوط

(١) ابن سعد ٤-٥٨/٢، الترمذي، زهد ٣٩.

(٢) ابن سعد ٥/١٤٦.

(٣) المصدر نفسه ٦/١٧٧.

(٤) الأعلام النبوية ١٩٢.

(٥) لسان العرب ١٠/٤٣، عن أبي عبيدة وابن السكيت.

(٦) لسان العرب ١١/٤٠٦.

(٧) الاشتقاق.

(٨) لسان العرب ١١/٤٠٦.

(٩) المصدر نفسه ١١/٤٠٦.

(١٠) الأغاني ٨/٢٦٣.

(١١) البخاري كتاب الطلاق ٣، ابن حنبل ٣/٤٩٨، لسان العرب ١١/٤١٦.

تتخذ من مشافة الكتان وربما اتخذت من العَصْب^(١). وقد ذكرت في حديث نبوي «استكسيت رسول الله (ص) فكساني خيشين»^(٢)، وقال الشاعر:

وأبصرْتُ ليلِي بين بُردَيِ مِراجِلِي وأخياشٍ عَصْبٍ من مُهْلَهْلَةِ اليمَنِ^(٣)
ومن ثياب الكتان، القبطر، وهي في قول ابن منظور ثياب كتان بيض، وفي التهذيب ثياب بيض.

وقيل:

كان لدى السقيز في حضورها القبطريُّ البيضُ في تأزيرها
وقال الجوهري: القبطرية ضرب من الثياب. قال ابن الرقاع:

كَأَنَّ زَوْرَ السَّقِيطَرِيَّةِ عُلِّقَتْ بِنَادُكُهَا مِنْهُ بِجَذَعٍ مُقَوِّمٍ^(٤)
والقبطية ثياب بيض من كتان تتخذ بمصر^(٥).

والكتار وهو الشقة من ثياب الكتان^(٦).

ويذكر ابن سعد «رأيت على سالم بن عبد الله قميص كتان كتار»^(٧) مما يدل على أنه ثوب، ويروى أن النبي نهى عن لبس الكتار^(٨).

كما ذكرت الأختية في بيت أبي خراش:

كَأَنَّ الْمَلَاءَ الْمُحَضَّصَ خَلَفَتْ كُرَاعِهِ إِذَا مَا تَمَطَّى الْأَخْنِيَّ الْمُخَذَّمُ^(٩)

ويقول في شرحه «الأخني ثياب وهي رديئة دون الجيدة»^(١٠) والقرقية ثياب

(١) المخصص ٧٢/٤، المحيط للفيروز ابادي ٢٧٣/٢، لسان العرب ١٩٠/٨.

(٢) أبو داود لباس ٢، ابن حنبل ٢٨٥/٤.

(٣) لسان العرب ١٩٠/٨.

(٤) المخصص ٧٤/٤، لسان العرب ٣٧٨/٦.

(٥) الصغاح للجوهري ٥٦٠/١، المخصص ٧١.

(٦) المخصص ٧١/٤، لسان العرب ٤٦٨/٧.

(٧) ابن سعد ١٤٦/٥.

(٨) لسان العرب ٤٦٨/٨.

(٩) ديوان الهذليين ١٤٦/٢، لسان العرب ٣٣٠/١٢.

(١٠) ديوان الهذليين ٢٤٦/٢.

بيض من كتان»^(١). ومن ثياب الكتان القرقبي، ثوب أبيض مصري من كتان.. قال الزمخشري: «القرقية ثياب بيض والقرقية ثياب مصرية من كتان». وتروى بقافين منسوبة إلى قرقوب^(٢). والشطوية «ضرب من ثياب الكتان»^(٣). أما القسيمة فهي ثياب من كتان مخلوط بحريز^(٤). والقصب ثياب تتخذ من مشافة الكتان^(٥)، والقصب ثياب تتخذ من كتان رفاق ناعمة، وأحدها قصبي^(٦).

ذكر مالك عدة أنواع من الأنسجة الكتانية، حيث قال: «من ذلك أن الكتان يختلف فمته ما يكون بغزل منه الرقيق ومنه ما لا يكون رقيقاً أبداً»^(٧). ويقول: «وكذلك الكتان رقيقه كله واحد القرقبي والشطوي والتنيسي كله واحد، ولا بأس به في الزيتة والمريسية وذلك إنها غلاظ كلها.. وكذلك لم يجز أن يسلم الشطوي في القصبي». وقال «لو أسلمت ثوباً من غليظ الكتان مثل الزيتة وما أشبهه في ثوب قصبي إلى أجل، وثوب قرقبي، قال لا بأس.. إنما الفسطاطي عندنا بمنزلة التنيسي وبمنزلة الزيتة وما أشبهها من ثياب إلا ما كان من الفسطاطي الرقيق المرتفع مثل المعافري وما أشبهه، فإن ذلك يضم إلى رقيق الكتان إلى الشطوي والقصبي والقرقي، وعلى هذا ينظر في الثياب»^(٨).

ويتبين من هذا أن القرقبي والشطوي والتنيسي هي من رقيق الكتان وأن الزيتة والمريسية من غليظه. وأن الفسطاطية أنواع منها الغليظ ومنها الرقيق. والبنية ثياب تتخذ من مشاق الكتان. والقصب ثياب تتخذ من كتان رفاق ناعمة.

وذكر مالك في موضع من المدونة الثياب القرقبية^(٩)، والثوب الفسطاطي

(١) المخصص ٧١/٤، لسان العرب ١٥٠/٢.

(٢) لسان العرب ١٥٠/٢.

(٣) المخصص ٧١/٤، لسان العرب ٦٢/١٩.

(٤) لسان العرب ٥٧/٨.

(٥) النهاية لابن الأثير ١٤٦/٣، لسان العرب ٦٤/١٧.

(٦) لسان العرب ١٧٠/٢.

(٧) المدونة ٢١/٩.

(٨) المصدر نفسه ٢٣/٩.

(٩) المصدر نفسه ٨٨/٩.

والقرقيبي^(١)، كما ذكر في الموطأ «الثوبين من القرقيبي، والثوب من الشطوي»^(٢) ولا بأس أن يشتري الثوب من الكتان أو الشطوي أو القصبي بالاثواب من الأتريبي أو القسي أو الزيفة^(٣).

وذكر الشافعي ثياب الكتان^(٤)، ولم يذكر أنواعها. وذكر محمد بن الحسن الشيباني أنواع ثياب الكتان وثياب أخرى فقال: «لا بأس أن يشتري الرجل الثوب من الكتان الشطوي والقصبي بالاثواب من القصبي والثوب من القرقيبي ولا بأس بالشطوي بالقصبي والقصبيين يبدأ بيد ونسيئة، وإنما يكره الشطوي بالشطوي نسيئة والمروى بالهروي وبالهرويين نسيئة، فأما يبدأ بيد فلا بأس بذلك، ولا بأس بالهروي بالمروى يبدأ بيد ونسيئة، لأن الهروي جنس غير المروى، والشطوي غير جنس المروى، فإذا اختلفت الأجناس فلا بأس به واحداً باثنين بها نسيئة».

وقال: «أهل المدينة لا بأس أن يشتري الثوب الكتان الشطوي أو القصبي بالاثواب القصبي، ولو اشتري الثوب من الهروي والمروى بالملاحف اليمانية والشقاق وما أشبه ذلك الواحد بالاثنين أو الثلاثة يبدأ بيد من صنع واحد، فإن دخلت ذلك نسيئة فلا خير منه ولا يصلح حتى يختلف فيبين اختلافه، فإذا أشبه بعض ذلك بعضاً وإن اختلفت أسماؤه فلا يأخذ منه اثنين بواحد إلى أجل، وذلك يأخذ الرجل الثوب الهروي بالثوب المروى والقوهي إلى أجل، ويأخذ الثوبين من القوهي بالثوب الشطوي، فإذا كانت هذه الأصناف على هذه الصفة فلا يشتري منها اثنين بواحد إلى أجل. قال محمد بن الحسن ما تفاوتت منه وما لم يتفاوتت سواء، إنما ينظر إلى الأجناس فإذا اختلفت جازت فيه النسيئة: الهروي غير جنس المروى، والشطوي جنس غير القصبي معروف ذلك، فإن تفاوتت لمنظر إنما القول في هذا قولان: أن يقول قائل أما أصله فظن وإن اختلف أجناسه فتفاوت ولا خير فيه يبدأ بيد، وما كان أصله كتان فدخل في

(١) المدونة ١٢٢/٩.

(٢) الموطأ ٧٢/٢.

(٣) الأم ١٠٨/٣، ١١٨.

هذا الأمر قبيح أن يقول لا خير في الصنعاني بالمروري نسيئة لأنه قطن فهذا أخطأ ليس بشيء، أو يقول قائل يقول أبي حنيفة فإذا اختلفت الأجناس فإن كان أصلها قطن كلها أو كتان كلها فلا بأس بالهروي والمرويين إلى آمد معلوم»^(١).

يتبين مما نقلناه عن مالك ومحمد بن الحسن الشيباني أن أكثر منسوجات الكتان المتعددة منسوبة إلى مراكز صناعية في مصر، حيث كان الكتان معروفاً في مصر منذ أزمنة سحيقة، وكانت الموميات تلف به، وقد عرفت أنسجته منذ القديم بدقتها. وفي العهود الإسلامية الأولى كانت مصر أكبر ميداً للعالم الإسلامي بالسكتان: وفي هذا يقول الجاحظ «لقد علم الناس أن القطن لخراسان، وأن الكتان لمصر، ثم للناس بعد ذلك منه تفريق البلدان ما لا يبلغ مقداره في بعض هذين الموضوعين، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذي هو الكتان مائة ألف دينار»^(٢). ولعل الجاحظ بالغ في قيمة هذا الرقم.

ومن المناسب أن نذكر ما أورده بعض كتب الحسبة: «أجود الكتان المصري الجيزي، وأجوده الناعم الورق، وأرداه القصير الخشن الذي يتصف، ولا يخلطوا جيده برديته ولا الصعيدي بالكوري، وكل ذلك تدليس»^(٣).

غير أن في كتب البلدان المؤلفة في القرن الرابع الهجري ذكراً لمنسوجات الكتان في بعض مناطق الهضبة الإيرانية، فذكر الاصطخري: «يرتفع من سينيز وجنابة وكازرون وتوج ثياب كتان، وللسلطان في كل بلد منها طراز غير كازرون وتحمل هذه الثياب إلى الآفاق من بلاد الإسلام كلها»^(٤). ويذكر أيضاً: «ويرتفع من كازرون، ثياب كتان تحمل إلى الآفاق»^(٥). وذكر الجاحظ: «من فارس الثياب الكتان التوزي»^(٦). وذكر المقدسي أن في سينيز ثياباً تشاكل

(١) المعجم ٢٢٣.

(٢) لطائف المعارف ١٦٥، ثمار القلوب ٥٣٠.

(٣) نهاية الرتبة للشيخزي ٧٠، معالم القرى لابن الأخوة ١٥٢، نصاب الاحتساب لابن بسام ٧٤، وانظر تفاصيل أوفي مما كتبه في هذا الكتاب عن مصر في فصل مراكز النسيج.

(٤) المسالك والممالك ١٥٣، ابن حوقل ٢٩٩، ٢٦٤، وعن جنابه أنظر ابن حوقل ٢٩٩.

(٥) المسالك والممالك ١٥٤.

(٦) التبصر بالتجارة ٢٤٦.

القصب، وربما حمل إليهم الكتان من مصر، وأكثر ما يعمل اليوم من الذي يزرع عندهم^(١). وذكر أن كازرون «دمياط الأعاجم»، وذلك أن ثياب الكتان التي على عمل القصب وشبه الشطوي وإن كانت من قصب يعمل بها وتباع فيها». ويقول أيضاً «إن من منسوجات كازرون قصب دقيقي»^(٢). وذكر أيضاً أن سيرا ف تتج أزر الكتان^(٣).

وذكر الوشاء: «الغلائل الرقاق والقمص الصفاق من جيد ضروب الكتان الناعمة النقية الألوان مثل الديقي والجنابي»^(٤).

وذكر المقدسي أن طبرستان بها مزارع الكتان^(٥)، وأنه يقدم من باب الأبواب (في أذربيجان) ثياب الكتان^(٦). وذكر الماوردي عن الكتان أنه «شامي أو كازروني أو مصري أو بصري»^(٧). ومن بحث بتفصيل أوفى منسوجات مصر في فصل مراكز التسيج.

الحرير والإبريسم:

ذكرت المصادر أربع مواد متصلة بالحرير، هي الإبريسم والقز والخز والحرير وهو ثوب من الإبريسم^(٨). فأما الإبريسم لا يتردد ذكره في المصادر كثيراً، وقد ذكر الإبريسم التلك^(٩)، والشرابات^(١٠)، والشرابات المفتولة^(١١). وأشهر مناطق العالم الإسلامي في الإبريسم هي المناطق الواقعة جنوب بحر قزوين. فيذكر ابن حوقل: «ليس بسائر الأرض من ملك الإسلام والكفر ناحية تقارب طبرستان في

(١) أحسن التقاسيم ٤٤٢.

(٢) المصدر نفسه ٤٤١.

(٣) المصدر نفسه ٤٤٢.

(٤) الموشى للوشاء ١٧٩.

(٥) أحسن التقاسيم ٣٨٠.

(٦) المصدر نفسه ٢٥٤.

(٧) الحاوي ٣/١٢٠٤.

(٨) لسان العرب ٣/٨٦.

(٩) الموشى للوشاء ١٣٦، ١٧٩، ١٨٦، رسوم دار الخلافة ٣٨.

(١٠) رسوم دار الخلافة ١٢٧.

(١١) الموشى للوشاء ١٨٦.

كثرة الإبريسم»^(١). ويذكر أنه ينتج في بكر أباد من جرجان «وأجل إبريسم طبرستان من جرجان»^(٢). ويقول المقدسي: «يحمل من برده الإبريسم الكثير»^(٣). ويذكر ابن حوقل «أصيهان يرتفع منها العتايي والوشى وسائر ثياب الإبريسم»^(٤). وأن براهمرمز إبريسم^(٥)، وأن في فارس الإبريسم^(٦).

وأما الحرير فإن لبسه كان موضع خلاف بين الفقهاء، فيذكر أنس أنه رأى على زينب بنت رسول الله (ص) قميص حرير سيرا^(٧). ويذكر «لباس أهل الجنة حرير»^(٨). ويروي ابن ماجه أن الرسول (ص) رخص للزبير ولعبد الرحمن لبس الحرير^(٩). ولكن جاء في بعض الأحاديث إنما يلبس الحرير من لا خلاق له في الآخرة. وذكر: «من أشرط الساعة يستحل الحرور الحرير»^(١٠). ويذكر الشافعي: «وأنتهى الرجال عن ثياب الحرير فمن صلى فيها منهم لم يعد لأنها ليست بخمسة، وأن النساء يلبسها ويصلين فيها»^(١١)، كما يقول أن الحرير والقز ليسا من الأنجاس^(١٢).

ورد في المصادر ذكر الحرير الأرمني^(١٣)، وحرير غبار^(١٤)، والحرير العشاري^(١٥)، وستور الحرير^(١٦)، مبطنة حرير^(١٧).

(١) ابن حوقل ٢/٣٨١.

(٢) المصدر نفسه ٢/٣٨٢.

(٣) أحسن التقاسيم ٣٨٠.

(٤) ابن حوقل ٢/٣٦٣.

(٥) المصدر نفسه ٢/٢٥٤.

(٦) أحسن التقاسيم ٤٦٣.

(٧) ابن ماجه ٢/١٩٦.

(٨) تفسير الطبري ١٧/٩٣.

(٩) ابن ماجه ٢/١٩٦.

(١٠) لسان العرب ٥/٢٥٨.

(١١) الأم ١/٧٩.

(١٢) المصدر نفسه ١/١٦٩.

(١٣) انعاظ الحنفا ٢/٣٠.

(١٤) السلوك للمقريزي ١/٧٢٦.

(١٥) الذخائر والتحفة ٢٩، ٤٠، ٤٤، ٦٩، ٩٩، ٢٣٨، ٣٨١.

(١٦) انعاظ الحنفا ٢/٢٨٧.

(١٧) المصدر نفسه ٢/٨٧.

ذكر ابن خردادبه أن الذي يجيء من هذا البحر الشرقي من الصين الحرير والقرمز. (١)، وأن لوقين أول مرافق الصين ومنها الحرير الصيني والغضار الصيني الجيد (٢). وذكر الطبري أن المأمون جاءته من الأموال من الحرير الصيني الأحمر والأخضر والأصفر (٣)، وذكر الوشاء أنه يأتي من الصين بديع الحرير (٤). وتنج في الصين ثياب من حرير تسمى الملاذ (٥).

القر:

القر هو ضرب من الإبريسم (٦). ذكر الكليني، عن أبي عبد الله: لا بأس بالقر إذا كان سيرا أو لحمته من القطن أو الكتان، كما ذكر الثوب الملحم بالقر والقطن، والقر أكثر من النصف (٧)، والسياء المضلع بالقر (٨).

كانت تصنع منسوجات القر في عدة مناطق من الدولة الإسلامية. فيذكر المقدسي: «يعمل بالأهواز فوط من القر حسنة تلبسها النساء» (٩). وأنه يصنع في بهنا ثياب القر (١٠). وفي العسكر مصانع القر تحمل إلى بغداد (١١). كما يذكر أن الديلم إقليم القر (١٢). وأن من جرجان المقانع القرّيات تحمل إلى اليمن (١٣).

- (١) المسالك ٧.
- (٢) المصدر نفسه ٦٩.
- (٣) الطبري ١٤٢/٣.
- (٤) الموشى للوشاء ٢٢٥.
- (٥) المختصر ٦٨/٤، لسان العرب ٤٥/١٠.
- (٦) لسان العرب ٥٧/٨.
- (٧) الكافي ٤٥٥/٦.
- (٨) النسائي زينة ٨٣.
- (٩) أحسن التقاسيم ٤١٦.
- (١٠) المصدر نفسه ٤٤٢.
- (١١) المصدر نفسه ٤١٦.
- (١٢) المصدر نفسه ٣٥٣.
- (١٣) المصدر نفسه ٣٦٧.

الخز:

يذكر ابن منظور أن لفظ الخز مشتق من اسم والد الأرنب^(١). ويذكر ابن الأثير أن الخز ثياب تنسج من صوف وإبريسم. ويقول ابن منظور إن الخز ضرب من ثياب الإبريسم^(٢)، ويقول ابن سعد أن الخز يجعل فيه الحرير^(٣)، وقد ذكرت بعض النصوص «الخز سداء الحرير»^(٤). ومن هذا يتبين أن الخز لم يكن من الحرير الخالص وأن سداء الحرير، أما لحمة فلم أجد مصدراً لذكرها، ولعلها من القطن.

والخز أنواع، فيقول الثعالبي: «الردن ما غلظ من الخز، والسكب ما رق منه»^(٥). أما ابن منظور، فيقول «إن الردن القز وقيل الخز وقيل الحرير»^(٦). وقال ابن السكيت «إن الخز ضرب من رقيق الثياب»^(٧). ومن أنواعه أيضاً الطاروني^(٨). وتذكر بعض المصادر أن «أول من لبس الخز وقور الطاروني من العرب عبد الله بن عامر»^(٩).

تصنع من الخز ملابس منها الخميصة وهي ملاءة من خز أو صوف^(١٠). وقيل الخمائص ثياب من خز سود وحمير لها أعلام ثخان أيضاً^(١١). والمرط وهو كساء من خز أو صوف يؤتزر به^(١٢). وتعمل من الخز بعض الثياب الشائعة الاستعمال^(١٣)، ومن ذلك القباء والطيلسان والقلنسوة. فقد ذكر الكلبي أنه قد استعملها علي بن الحسن^(١٤).

(١) لسان العرب ١/١٩٢.

(٢) المصدر نفسه ٥/٢٥٩.

(٣) ابن سعد ٥/٨٥، ٣-١/٢٣٩.

(٤) المدونة ١/١٨٨، الكافي ٦/٤٤٢.

(٥) فقه اللغة للثعالبي ٢٤٦.

(٦) لسان العرب ١٧/٣٧.

(٧) المصدر نفسه ١/٤٥٣.

(٨) المصدر نفسه ١٧/١٣٥.

(٩) ابن رسته ١٩٢.

(١٠) فقه اللغة ٢٤٦، عن الأصمعي.

(١١) لسان العرب ٨/٢٩٦.

(١٢) فقه اللغة ٢٤٦، لسان العرب ٩/٢٧٨، الذخائر والتحف ٦٦.

(١٣) الذخائر والتحف ٦٦، ٦٨، ٧٥.

(١٤) الكافي ٦/٤٥٢.

وبرنس الخزّ استعمله كل من ابن أبي أوفى وموسى بن طلحة^(١) وشريح^(٢)
وأبي عبيدة بن عبد الله^(٣) وكساء خزّ كان لكل من القاسم بن محمد^(٤) وأبي
بكر بن عبد الرحمن^(٥) وخارجة بن زيد^(٦) وجعفر الصادق (ع)^(٧). وقد ذكر
العرب كساء الخزّ في شعرهم:

أماطت كساء الخزّ عن حرّ وجهها وأدنت على الخدّين بُرداً مُهلَها

وذكرت المصادر ثياب الخزّ، وكان يلبسها الخليفة الأموي هشام بن عبد
الملك^(٨) والسيد الحميري^(٩) وسعيد بن المسيب^(١٠) وعروة بن الزبير^(١١) وعلي
ابن الحسين^(١٢) وعبد الله بن جعفر^(١٣) وعائذ بن عمرو^(١٤). كما ذكرت عمامة
خزّ استعملها كل من العجاج^(١٥) وأحد الفرسان^(١٦). وأنس بن مالك^(١٧) وعبد
الله بن عمرو بن حزم^(١٨).

ومن الخزّ كانت البرانس. ومن ذكر له برنس خز موسى بن طلحة^(١٩)

- (١) ابن سعد ١٢١/٥.
- (٢) المصدر نفسه ٢٩٦/٦.
- (٣) المصدر نفسه ١٤٦/٦.
- (٤) المصدر نفسه ١٤٢/٥.
- (٥) المصدر نفسه ١٥٢/٥.
- (٦) المصدر نفسه ١٩٤/٥.
- (٧) حلية الأولياء ١٩٨/٣.
- (٨) الموشى للوشاء ١٧٩.
- (٩) المصدر نفسه ١٣٦، ١٧٩، ١٨٦، رسوم دار الخلافة ٩٨.
- (١٠) الأغاني ٧٦/٦، وعن الخزّ الأخضر الهشامي أنظر الذخائر ٢١١.
- (١١) الأغاني ٢٥٠/٧.
- (١٢) ابن سعد ١٠٣/٥.
- (١٣) المصدر نفسه ١٣٤/٥.
- (١٤) المصدر نفسه ١٦١/٥.
- (١٥) المصدر نفسه ١٧٢/٥.
- (١٦) المصدر نفسه ٣٥/٤، الأغاني ١٧١/١١.
- (١٧) الأغاني ١٥٢/١٠.
- (١٨) المصدر نفسه ١٧١/١١.
- (١٩) ابن سعد ١١/٧، ١٥.

وابن أبي أوفى^(١). غير أن أكثر البسة الخنز شيوعاً هي المطارف والجباب. فأما جباب الخنز فقد ذكرت المصادر ممن لبسها عروة بن الزبير^(٢)، والحكم ابن أبي العاص^(٣)، والقاسم بن محمد^(٤)، ومحمد بن علي^(٥)، وجعفر الصادق (رض)^(٦)، وعلي بن الحسين^(٧)، ويوسف بن إبراهيم^(٨) وكل هؤلاء من أهل الحجاز. ولبسها أيضاً من أهل العراق والشام الفرزدق^(٩)، والحجاج^(١٠)، والأخطل^(١١)، وبعض الكتاب^(١٢)، وعون بن عبد الله^(١٣)، ويروى أن أول من لبسها في البصرة عبد الله بن عامر «وقد طلع وعليه جبة خنز دكناء فجعل الأعراب يقولون على الأمير جلد دب»^(١٤). أما مطرف الخنز، ففي المصادر ذكر لعدد كبير ممن لبسها من الصحابة والتابعين، ومنهم عثمان بن عفان^(١٥)، والحسين (رض)^(١٦)، وابن سلمة^(١٧)، ومحمد بن عروة^(١٨)، والقاسم بن محمد^(١٩)، ومحمد بن الحنفية^(٢٠)، وعلي بن

- (١) ابن خيل ١٣٣/٤٨.
- (٢) ابن سعد ١٢١/٤.
- (٣) ابن سعد ٣٦/٤.
- (٤) المصدر نفسه ١٣٤.
- (٥) التاريخ لليعقوبي ١٨٩/٢.
- (٦) ابن سعد ١٤٢/٥.
- (٧) المصدر نفسه ٢٣٦/٥.
- (٨) الكافي ٤٤٢/٦، ٤٥١، حلية الأولياء ١٩٨/٣.
- (٩) الكافي ٤٥٠/٦.
- (١٠) المصدر نفسه ٤٤٢/٦.
- (١١) الأغاني ٥١/١٩.
- (١٢) المصدر نفسه ٢٩٩/١٠.
- (١٣) المصدر نفسه ٢٩٩/٨.
- (١٤) المصدر نفسه ٨٧/٨.
- (١٥) الأشربة ٨٣.
- (١٦) فتح البلدان ٣٤٧.
- (١٧) ابن سعد ٤٠١-٣، أنساب الأشراف ٣/٥، الطبري ٢/١٤٧/١.
- (١٨) الذهبي ٥٦١.
- (١٩) ابن سعد ١١٦/٥.
- (٢٠) المصدر نفسه ٥٠/٥.

الحسين^(١) ومحمد بن علي^(٢) وعروة بن الزبير^(٣) وعبد الله بن عروة بن عثمان^(٤) وأبو هريرة^(٥) وكل هؤلاء من أهل الحجاز. ولبس مطرف الخز أيضاً من أهل العراق عبد الرحمن بن أبي ليلى^(٦)، وشريح^(٧)، والشعبي^(٨)، وزباد بن أبيه^(٩)، والسيد الحميري^(١٠)، كما لبسها الخليفة الأموي الوليد بن يزيد^(١١)، وعمران بن الحصين^(١٢)، والأحنف بن قيس^(١٣)، وأبو بكر^(١٤)، وعبد الله بن شقيق^(١٥)، وأنس بن مالك، وعون بن عبد الله^(١٦)، وفي العصر العباسي ذكرت من الخز الطنافس والفرش والوسائد والدست^(١٧) والستور^(١٨).

تدل كثرة الإشارات إلى ألبسة الخز على انتشار استعماله. كما أنها قد تدل على اختلاف الآراء فيه، ويكون ذكره دليلاً على جواز استعماله. والواقع أن أقوالاً غير قليلة رويت عن عزوف بعض المسلمين عن لبسه وإن لم يكن هذا العزوف يصل إلى حد الاعتقاد بعدم جواز لبسه. فيروي عامر بن عبيدة الباهلي: سألت أنساً عن الخز، فقال «وردت أن الله لم يخلقه، وما أحد من أصحاب

- (١) ابن سعد ١٤٣/٥.
- (٢) المصدر نفسه ٨٤/٥، حيون الأخبار ١٩٨/١.
- (٣) ابن سعد ١٦١/٥، الكافي ٤٥٠/٦.
- (٤) ابن سعد ٢٣٦/٥.
- (٥) المصدر نفسه ٣٤/٥.
- (٦) تاريخ ابن أبي زرعة ١٧٨.
- (٧) المصدر نفسه ٧٨.
- (٨) لسان العرب ١١/١٢٣.
- (٩) ابن سعد ٧١/٦.
- (١٠) المصدر نفسه ٩٦/٦.
- (١١) المصدر نفسه ١٧٦/٦.
- (١٢) الأغاني ٣/١٦.
- (١٣) المصدر نفسه ٥١/١٩.
- (١٤) المصدر نفسه ٢٥٠/٧.
- (١٥) ابن سعد ١٩/٤، ٨/٧.
- (١٦) ابن سعد ٦٨/٧، تاريخ ابن أبي زرعة ٤٧٨.
- (١٧) ابن سعد ٩/٧.
- (١٨) المصدر نفسه ٩١/٧.

الرسول (ص) إلا وقد لبسه ما خلا عمر وابن عمر^(١). ويروي نافع عن ابن عمر أنه كان يلبس الخَزَّ، وكان يراه على بعض ولده فلا ينكره^(٢). وكان أبو برزّة الأسلمي لا يلبس الخَزَّ^(٣). ويروي يزيد بن أبي زياد «رأيت على عبد الرحمن بن أبي مطرف خز فلبسه حتى تقطع ثم نفذه مرة أخرى، فصنع له وقال لصاحبه لا تصنع فيه حريراً واجعل سداً كثناناً»^(٤). ويروي ابن طلوت أنه رأى على أس بن مالك عمامة خز وجبة خز ومطرف خز «فقالوا تنهانا عن الخز وتلبسه، فقال إن أمراءنا يكسونها فنحب أن يروه علينا». وكان الخز يلبسه القراء في زمن الزهري، وكان الناس يلبسون ما وجدوا من الخز والحبريات والكرائيس والصوف^(٥). وكان الوشي والخز من الثياب الغالية الأثمان^(٦). وقد لبس اسحاق بن إبراهيم الموصللي مطرف خز أسود تبلغ قيمته مائة دينار^(٧).

عني الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بالخز وصناعته. وعمل في أيامه الخز الرقم وغيره، والشوي، وإضافة الثياب، وكانت له ستور وكسوة وطراز، ولم يكن لمن قبله، وهو أول من اتخذ الطراز، وإليه ينسب الخز الأخضر الهشامي. واتخذ هشام الطراز في سنة ثمان ومائة، وكتب إلى الآفاق في كل صنف من الثياب والفرش والآنية والآلة أن يتخذ له شيء بصفته، فقبل إن كل شيء عمل يومئذ له هو أجود شيء يراه الناس، لم يعمل قبله ولا بعده مثله. وكان هشام، وبنو مروان كلهم، يكسون الناس الخز إلا الأصفر والأحمر، ويكسونهم ما سوى ذلك من الألوان، ويدخرون الأحمر والأصفر لأنفسهم^(٨). وذكر في العصر العباسي الخز الأخضر الهشامي^(٩).

(١) ابن سعد ٣-١/٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه ٤-١/١٢٧.

(٣) المصدر نفسه ٤-٢/٣٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الأشربة ٨٢.

(٦) الأغاني ٧٧/١٠، ٢٧/٢٠، البخلاء ٢٥، نشوار المحاضرة ٣/١٢٠.

(٧) الأغاني ١٠/١٢٠.

(٨) الذخائر والتحف ٢١١.

(٩) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

عني الخلفاء العباسيون باستعمال الخزّ، فكان ما في خزائن الرشيد عند وفاته ألف وخمسمائة طنفسة خزّ، وألف وسادة ومخدّة خزّ، وألف وسادة خزّ رقم، وألف ستر خزّ^(١). وخلف الأمين خمسمائة قطيفة خزّ وألف وسادة ومخدّة خزّ^(٢).

وأهدى المأمون إلى أحد ملوك الهند هدية فيها ثياب من خزّ السوس، ومائة طنفسة حيرية بوسائدها، كل ذلك خزّ، وفرش خزّ سوسي^(٣).

وأهدى عز الدين البويهى إلى حمدان بن ناصر الدولة هدايا من جملتها ستمائة ثوب من الخزّ ومائة مطرف^(٤). وأهدى المعز بن باديس إلى الظاهر الفاطمي هدايا فيها ألف وخمسمائة ثوب من يعمل منه الوسائد والستور والطنافس والفرش والثياب والمطارف. لقد كانت في العصر العباسي عدة بلدان منها الكوفة^(٥)، وشيراز^(٦) والمعين^(٧). غير أن أشهر مكان لإنتاجه هو السوس في الأهواز. فقد روى المقدسي أن من السوس السُكّر الكثير والبزّ والخزوز^(٨). ويقول من السوس الخزوز الثقيلة ومنها تحمل إلى الآفاق^(٩). وقد ورد ذكر الخزّ السوسي بكثرة في حكاية أبي القاسم^(١٠). وفي الذخائر والنحف^(١١) ورد ذكر العمائم والمطارف السوسية^(١٢). ويقول المسعودي إن صناعة الخزّ في السوس ترجع إلى الزمن الذي نقل إليها أسرى الروم.

(١) الذخائر والنحف ٢١٦، مطالع البدور ٦١٨.

(٢) مطالع البدور ٦١ من الرشيدى.

(٣) الذخائر والنحف ٢٧.

(٤) المصدر نفسه ٦٦.

(٥) الموشى ١٧٩.

(٦) أحسن التقاسيم ٤٤٢.

(٧) الذخائر والنحف ٦٨.

(٨) أحسن التقاسيم ٤١٦.

(٩) صورة الأرض ٢٥٤.

(١٠) حكاية أبي القاسم ٣٥.

(١١) الذخائر والنحف ٢٧.

(١٢) الموشى ١٣٦، ١٧٩.

وذكر الرشيدى طنافس الخَزَّ (الذخائر ٣٠، ١٥٠). وورد ذكر الخَزَّ السوسي والمغربي والمقطوع والهشامي (الذخائر ٧٥، ٣٠، ٧٩، ٨١، ٨٣، ٩٦، ١٠٥، ١٢٧، ١٦٢، ١٦٤، ٤٣، ٢٩٠، ٣٠٢، ٣٥٥).

الديباج

الديباج صنف متميز عن الخَزَّ، فقد ذكر مالك «خَزّاً أو حريراً أو قطناً أو كتاناً أو صوفاً»^(١). وذكر الأصفهاني «أن الفرزدق لبس الديباج والخَزَّ وقعد في قنّه»^(٢).

يقول ابن منظور: «والديباج الثياب المتخذة من الإبريسم»^(٣). والريح هو النقش والتزيين، مما يدل على أن الديباج كان في الغالب مزخرفاً. وذكر للرسول جبة طويلة لها ديباج^(٤). وذكر مسلم قباء ديباج أهدي للرسول (ص) كما ذكر الأصفهاني قباء ديباج على زياد الأعجم^(٥).

ورد في المصادر ذكر جبة ساج مزرورة بالديباج^(٦)، والساج المزروور بالديباج والطيلسان المزور بالديباج. وقد استعمله كل من عروة بن الزبير^(٧) وسعيد بن المسيب^(٨)، وأبي هريرة^(٩)، وسعيد بن جبير^(١٠)، وأبي مسرة وأصحابه^(١١). وذكرت المصادر أيضاً الطيلسان المدبج كان لكل من الأسود ابن هلال^(١٢) ولأبراهيم النخعي^(١٣). والطيلسان المدبج (هو الذي زينت

(١) المدونة ١٥/١٧٩.

(٢) الأغاني ٨/٨٦.

(٣) لسان العرب ٣/٨٦.

(٤) مسلم ٢/١٥٢، ابن حنبل ٦/٣٤٧.

(٥) الأغاني ١٤/١٠٠.

(٦) ابن حنبل ٢/١٧٠.

(٧) ابن سعد ٥/١٣٤.

(٨) المصدر نفسه ٥/١٠٣.

(٩) المصدر نفسه ٥-٤/٥٨.

(١٠) المصدر نفسه ٦/١٨٧.

(١١) المصدر نفسه ٦/٧٢.

(١٢) المصدر نفسه ٦/٨١.

(١٣) لسان العرب ٣/٨٦.

أطرافه بالديباج^(١). وقد ذكر أيضاً قميص مكفوف بالديباج على جعفر الصادق (رض)^(٢) كما ذكر رجل مليس بالديباج^(٣).

وفي مصادر العصر العباسي، إشارات كثيرة إلى الديباج واستعمالاته، مما يدل على توسع انتشاره في قصور الخلفاء بخاصة. كما ذكر عن طبالس منقطة خلعت على وفد ملك الروم^(٤) وأقبية مما أهداه خمارويه للمعتصم^(٥)، والتكك المنسوجة^(٦). والوسائد^(٧). والخرائط البريسمية^(٨)، والستور^(٩)، والجلال والمفرش^(١٠)، من الديباج مثقل وأبو قلمون مذهب^(١١)، والوشى من الديباج بالذهب المنسوج^(١٢). وكان الثائرون عند إلقاء القبض عليهم يلبسون دراعة ديباج كما حدث بابك الخرمي^(١٣)، وابن أبي ریح^(١٤).

أشارت مصادر العصر العباسي إلى أشهر أماكن صنع الديباج، ومنها الهند^(١٥) وخراسان^(١٦) وشيراز^(١٧). غير أن أهم البلاد التي تنتج الديباج هي بلاد الروم وتستر. فأما بلاد الروم، فإن الثعالبي يذكر أن الديباج من خصائص الروم^(١٨)؛ وقد أشارت المصادر إلى الديباج الرومي^(١٩).

- (١) لسان العرب ٨٦/٣.
- (٢) الكافي ٤٥٥/٦.
- (٣) الأغاني ٢٥٨/١.
- (٤) عريب ٣٤.
- (٥) الطبري ٢١٣٣/٣.
- (٦) الموشى للوشاء ١٨٦.
- (٧) الذخائر والتحف ٢١٤، مطالع البدور ٦٦.
- (٨) رسوم دار الخلافة ١٢٧، الموشى ١٢٧.
- (٩) رسوم دار الخلافة ١٦، الذخائر ٧٨، ٢١٤، انماط الحنقا ١٣٩/٢.
- (١٠) الذخائر والتحف ٤١، ٤٢.
- (١١) نوار المحاضرة ٧٨/٨.
- (١٢) حكاية أبي القاسم ٣٥.
- (١٣) الطبري ١٢٣١/٣.
- (١٤) عريب ٢٠١، مسكويه ١٧٥/١.
- (١٥) لطائف المعارف ٢١٥.
- (١٦) الذخائر والتحف ٢٧.
- (١٧) المقدمي ٤٤٢.
- (١٨) ثمار القلوب ٥٣٥.
- (١٩) انظر الذخائر والتحف ٤٣، ٤٥، انماط الحنقا ٢/٢١٤، الأغاني ١٣٨/١٩.

وذكر الخسرواني الرومي التستري المثلث^(١). وقد كسا هشام الكعبة بالديباج الخسرواني وكانت منه كسوتها أن تكسى بأنسجة اليمن^(٢). أما تستر فإن المسعودي يقول: «غزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم، فنقل خلقاً من أهلها أسكنهم في بلاد السوس وتستر وغيرها من مدن كور الأهواز فتناسلوا وقطنوا تلك الديار، فمن ذلك الوقت صار الديباج التستري وعدة من أنواع الحرير يحمل يتستر»^(٣). ويقول ابن حوقل يتخذ بتستر الديباج الذي يحمل إلى جميع الآفاق، وكانت تعمل بها كسوة الكعبة للبيت الحرام إلى أن افتقر السلطان وحلف به الرحمة ويكون بتستر لجميع من ملك العراق طراز وصاحب يستقل له ما يشتهي^(٤). ويقول المقدسي «تستر معدن كل حاذق له في عمل الديباج والقطن»^(٥). ويرتفع من تستر الديباج الحسن^(٦). وذكر الرشيد الفرش الديباج التستري^(٧). وذكر أبو القاسم البغدادي ديباجاً تسترياً بالذهب^(٨).

تتخذ من الديباج الستور^(٩)، والقباب، والخيام، والخرايط، والوسائد. وتتخذ منه الألبسة والسياب بما في ذلك الطيالة، والأقبية والبرانس، والدراريع، والخفطان، والجلال، والتكك.

وقد ذكرت من أنواع الديباج: الديباج الرومي^(١٠) من خصائص الروم^(١١)

(١) الذخائر والتحف ٧، ٣٠، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٩/٥، ٦٢، ٦٣، ٧٥، ٧٧، ١٦٧، ١٧٧،

١٨٥، ٢٦٣، ٣٠٢، ٣١٥، وانظر انعاظ الحنفا ٢/٢١٤.

(٢) فتوح البلدان ٤٦، الطبري ٣/١٣-٣.

(٣) مروج الذهب ٣/١٨٦.

(٤) ابن حوقل ٢٥٤.

(٥) أحسن التقاسيم ٤٠٩.

(٦) المصير نفسه ٤١٦.

(٧) الذخائر والتحف ٦٦.

(٨) حكاية أبي القاسم البغدادي ٥.

(٩) الذخائر والتحف ٧٨، ٢١٤، رسوم دار الخلافة ١٦، انعاظ الحنفا ٢/١٤، ١٣٩.

(١٠) غريب ٩١، الذخائر ٤٣، ٤٥، انعاظ الحنفا ٢/٨٣.

(١١) ثمار القلوب ٥٣٥.

وديباج تستري^(١) بالذهب وديباج خراساني^(٢)، وديباج من الهند^(٣)، وديباج ملكي قيمته مائتا دينار هدية عضد الدولة^(٤)، وديباج خسرواني^(٥) رومي تستري مثقل^(٦).

وأكثر الخسرواني مذهب أو مطرز، وهو أحمر^(٧). وهو الحرير الرقيق الحسن الصنعة الذي ذكره في شعره الفرزدق:

لَيْسَتْ الْفِرْنَذُ الْخُسْرَوَانِي فَوْقَهُ مشاعرٌ مِنْ خَزْ الْعِرَاقِي الْمُطَوِّفِ^(٨)
وقال ذو الرمة:

كَأَنَّ الْفِرْنَذُ الْخُسْرَوَانِيَّ بِشَنَةِ بأعطافٍ أنقاءِ الصفوقِ العوانكِ
من المنسوجات التي ذكرتها المصادر السقلاطون^(٩).

الجلود:

تتوفر في الجزيرة مختلف الحيوانات الداجنة والوحشية، كثير منها كان يستفاد من جلدها محلياً، غير أننا سنقصر بحثنا على ما أشارت المصادر إلى استعماله، مرتجين أن ذكر نوع من الجلد دليل على كثرة استعماله بخاصة وأنها في بحثنا هذا لا نعتمد على الأخبار الأدبية التي تذكر حوادث فردية أو جزئية قد تكون فريدة، إنما نعتمد على مصادر لغوية بالدرجة الأولى، تهتم بالشائع المعروف.

الماعز: ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان معلومات قيمة عن مدى استخدام جلد الماعز، فهو يقول: «ولا يذكر الماعز بفضيلة إلا بارتفاع ثمن جلده وغزارة لونه، فإذا صرت إلى عدد كثرة النعاج وجلود النعاج والضأن كلها أربى ذلك على

(١) الذخائر والتحف ٦٦، حكاية أبي القاسم ٣٩.

(٢) الذخائر والتحف ٢٧.

(٣) لطائف المعارف ٢١٥.

(٤) رسوم دار الخلافة ٩٨.

(٥) حكاية أبي القاسم ٧٧؛ وانظر عن البساط الخسرواني، اتعاط الحنفا ٢/٢٩٣.

(٦) الذخائر ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٨٦، ٩٥، ٩٩.

١١٩، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٣، ١٨٥، ٣٠٢، ٣١٥.

(٧) اتعاط الحنفا ٢/٢٨٣، ٢٨٣، ٢٩٠.

(٨) المعرب للمجاليقي ٦٠.

(٩) الذخائر والتحف ٦٣، ٦٤؛ الهقوات النادرة ٣٢٦.

ما يفضل به الماعز الضان في ثمن المجلد والغزر في اللبن^(١). ويقول أيضاً: «وربما يبيع جلد الماعز بثمانين درهماً وأكثر، والشاة إذا كانت كذلك فلها غلة نافعة فإنها تقوم بأهل البيت، والنعاج البقرية من السيت وغير السيت مقسوم نصفها بين الماعز والبقر، لأن الشرط من جلودها خطر وبذلك القبي والشبع^(٢)»

ويقول أيضاً: «من جلودها تكون القرب والزقاق والمناكل، وكل خرج وشعر ورطب وسكية وسقاء وقرادة مسطوحة كانت أو مثلوثة، ومنها ما يكون الخوان والبطائن والجرب، ومن الماعز يكون أنطاغ البسط وجلال الأثقال في الأسعار وجلال قباب الملوك، وبقباب الأدم يتفاخر العرب.

قال عبيد بن الأبرص:

فانذهب إليك فأنسي من بني أسد أهل القياص وأهل الجود أندادي^(٣)

الغنم: أما جلود الغنم، ففي كتاب الرسول لوفد همدان أن لهم من الصدقة الثلب والنباب والفصيل والفار والكبش الحوري. يقول ابن الأثير: الحور جلود تتخذ من جلود الضان، وقيل هو ما دبغ من الجلود بغير القرظ، وهو أحد ما جاء على أصله ولم يعلم^(٤).

وقد وردت عدة تفسيرات للحور، فيذكر ابن سيده عن ابن الأعرابي الحور جلود بيض، وقال مرة الحور جلد رقيق كأنما يمزقن بالجلد الحور. وقال أيضاً الحور جلد أحمر يؤتى به من فارس.

والحور الجلد المصبوغ. يقول أبو عبيدة: الحور السلف، وقيل هي جلود تعمل منها الأسفاط.

ويقول ابن منظور: والحور البقر لبياضها. والحور الجلود البيض الرقاق تعمل فيها الأسفاط، وقيل السلفة، وقيل الحور الأديم المصبوغ بحمرة. وقال أبو حنيفة هي المجلود الحمر التي ليست بقرظية. وقال الشاعر:

(١) الحيوان ١٣٦/٥؛ فصلنا في بحث الجلود لقلة اهتمام الباحثين الحديثين بدراستها.

(٢) المصدر نفسه ١٤١/٥.

(٣) المصدر نفسه ١٤٣/٥.

(٤) لأن العرب ٣٠١/٥.

فَنُظِّلُ يَرْشُخُ مِسْكَاً فَوْقَهُ عُلُقٌ كَأَنَّمَا قُدَّ فِي أَثَوَائِهِ السَّحُورُ^(١)
البقر: ذكرت أيضاً جلود البقر؛ فيقول ابن السكيت: «ذو بقر الترس يعمل
من جلود البقر وأنشد:

وَذُو بَقَرٍ مِنْ صَنْعٍ يَشْرَبُ مَقْفُلٌ وَأَسْمَرُ دَانِءٍ السَّهْلَالِيُّ يَعْتَرُ
الإبل: يدعى جلد البعير الجَلْدُ^(٢). يذكر ابن منظور عن ابن سيده اليلب
الترسة، وقيل الدرق، وقيل هي البيض تصنع من جلود الإبل، وهي نوع كانت
تتخذ وتنسج وتجعل على الرؤوس مكان البيض^(٣). ومما يذكر أنه يصنع من
جلد الإبل أيضاً الجحف، وهي ضرب من الترسه وأحدثها جحفة. وقيل هي
من الجلود خاصة وقيل هي من جلود الإبل متورة. وقال ابن سيده هي من
جلود الإبل يطارق بعضها ببعض^(٤).

الحيتان: لقد ذكر من جلود الحيتان السفن، وهو جلد خشن غليظ كجلود
التماسيح يكون على قوائم السيوف، وقيل هو حجر ينحت به ويلين وقد سفنه...
وقال أبو حنيفة السفن قطعة خشطاء من جلد ضب أو جلد سمكة يسحج بها
القدح حتى تذهب عنه آثار المجراة، وقيل السفن جلد السمك الذي تحك به
السياط والقدحان والسهام والصحاف ويكون على قائم السيف.
وقال الأعشى:

وَمِنْ كُلِّ عِلْسٍ لَهُ غَزْرَةٌ تَحْكُ الدَّوَابِرَ حَكَّ السُّفْنِ
وقال الليث، وقد يجعل من الحديد ما يسفن به الخشاب، أي يحك به
حتى يلين، وقيل السفن جلد الأطوم، وهي سمكة بحرية تسوى قوائم السيوف
من جلدها^(٥).

(١) لسان العرب ٣٠/٥.

(٢) فقه اللغة للثعالبي ١١٤.

(٣) لسان العرب ٣٠٦/٢.

(٤) المصدر نفسه ٢٨٢/٧.

(٥) المصدر نفسه: مادة حدث.

جلود الحيوانات الوحشية: يذكر الجاحظ بعض أنواع الجلود فيقول: وخير السنجاب القاقم ثم الظهور منه، ثم الخزري، ثم الخوار.

وخير الشعالب الأسود الخزري الخليظ الشعر الذي لا يُغشّ بصبغ، ثم الأبيض ثم الأحمر المحصري ثم الأحمر الخزري ثم الخلنجي. وخير القاقم أكثرها أذناً، وخير السمرور الصيني، ثم الخزري الشديد البياض مع شدة السواد الطويل الشعر، ومنتهى ثمن الجلد منها (نمور البربر) خمسون ديناراً، وأما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يبلغان في الثمن ولا يرتفعان، وخير النمرور الوشي^(١).

تروى عن الجلود أحاديث، جاءت عن طريق معاوية، أن رسول الله نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها^(٢)، وأنه نهى عن جلود النمرور^(٣). غير أن هذه الأحاديث مشكوك بصحتها، فقد وردت من أخبار القرن الأول عدة روايات عن استعمال المسلمين الصحابة والتابعين في الألبسة الجلود. فيروي البخاري أن الحسن ركب على سرج من كلاب البحر^(٤).

واستعملت العرب الجلود لأغراض متعددة منها:

في السلاح

الترس: فيقول ابن السكيت ذوبة الترس يعمل من جلود البقر، وأنشد:

وذو بقرٍ من صنْعٍ يشربُ مقفلٌ وأسمُرُ دانهُ الهلاليُّ يعترُ^(٥)

اليلب: فينقل ابن سيده عن أبي عبيدة، اليلب الدرق، ويقال هي جلود تلبس بمنزلة الدروع، وقيل جلود يخرز بعضها تلبس على الرؤوس خاصة، وقيل هي جلود تعمل منها دروع وتلبس وليست بترسة^(٦). ويقول ابن منظور «اليلب

(١) التبصر بالتجارة ٣٣٩.

(٢) ٤٠، خاص ١٩، مناسك ٢٣، الترمذي لباس ٣١، ابن حنبل ٤ / ١٠١٠.

(٣) ٩٩، ٢٣، ٣٢٤.

(٤) البخاري ذبائح ١٢.

(٥) المخصص ٧٥ / ٩.

(٦) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

دروع يمانية، وقيل الدرق، وقيل هي البيض تصنع من جلود الإبل، وهي نسوع كانت تتخذ وتنسج وتجعل على الرؤوس مكان البيض، وقيل جلود يُخَرَز بعضها إلى بعض تُلبس على الرؤوس خاصة. . وتعمل منها دروع، وقيل هي اسم جنس الواحد من كل ذلك يلبه، واليلب الفولاذ من الحديد. قال عمرو بن كلثوم:

علينا البيضُ واليلبُ اليماني وأسيفٌ يقمنَ وينحنينا

قال ابن السكيت سمعه بعض الأعراب فظن أن اليلب أجود الحديد، فقال: ومحور أخلص من ماء اليلب. قال الجوهري ويقال اليلب كل ما كان من جنس الجلود ولم يكن من الحديد، قال ومنه قيل للدرق يَلْب، وقال:

عليهم كلُّ سابعٍ دلاصٍ وفي أيديهم اليلبُ المدارُ

قال واليلب في الأصل اسم ذلك الجلد. قال أبو دهيل الجحي^(١):

درعي دلاصٌ سكتها سكٌ عجبٌ وجوبها القائرُ من سيرِ اليلبِ

الجحفة: يروي ابن سيده عن أبي عبيدة الجحفة من جلود وهي الدرق. ويقول ابن منظور جحف ضرب من القترسة واحدها، جحفة وقيل هي من الجلود خاصة، وقيل هي من جلود الإبل مقورة. وقال ابن سيده هي من جلود الإبل يطارق بعضها ببعض. قال الأعشى:

لسنا بسعيرٍ وبيتُ اللئِ مائِرُهُ لكنَّ علينا دروعُ القومِ والجحفُ

ويقال للترمس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب جحفة ودرقة والجمع جحف. .^(٢)

ويذكر الجاحظ أن الماعز من جلودها تكون القرب والزقاق وآلة المشاعل وكل نحيف وسمين، ووطب وشكية وسقاء ومزادة، مسطوحة كانت أو مثلوثة، ومنها ما يكون الخون وعكم السلف والبغطين والجرب، ومن الماعز تكون

(١) لسان العرب ٣٠٦/٢ .

(٢) المصدر نفسه ٣٨٢/١٠

أنطاع البسط، وجلال الأثقال في الأسفار، وجلال قباب الملوك وبقباب الأدم تنفاخر العرب^(١).

ويذكر الثعالبي جلد السير، مسد الجلد، خرز الخف خصف النعل، كتب القرية^(٢). كما يذكر المحط الخشبة الثب يعقل بها الأديم وينقش ويستعملها الأساكفة والمجلدون، الخبابة للحذاء، الغزرم للإسكاف^(٣). وتستعمل الجلود للرحال^(٤) والقياب، وكانت لرسول الله قبة حمراء من آدم^(٥).

ألوان الجلود: ذكرت المصادر عدة ألوان للجلود:

الأبيض: يقول الثعالبي القضييم الجلد الأبيض عن أبي عبيدة:

ويروي ابن سيده عن أبي الأعرابي أن الحور جلود بيض^(٦). كما يروي ابن منظور أن الحور الجلود البيض الرقاق تعمل فيها الأسفاط^(٧).

الأحمر: ذكرنا بعض الروايات التي تقول إن الحور جلد أبيض، والواقع أن روايات أخرى تذكر أن الحور جلد أحمر يؤتى به من فارس^(٨). وقيل الحور الأديم المصبوغ بحمرة. وقال أبو حنيفة هي اللبود الحمر التي ليست بقرط.

وقال الشاعر:

فَظِلُّ يَرْشُخُ مَسْكَاً فَوْقَهُ عَلَقٌ كَأَنَّمَا قَدْ فِي أَثَوَابِهِ الْحَوْرُ

قال الجوهري: الحور جلود حمر يُغشى بها اللال، الواحد حورة. وقال الحجاج يصف مخالب البازي:

بِحَجَبَاتٍ يَشْتَقُّبْنَ السُّهْرَ كَأَنَّمَا يَمْزِقُنَّ بِاللَّحْمِ الْحَوْرَ^(٩).

(١) الحيوان ٤٨٥/٥ - ٤٨٦.

(٢) فقه اللغة ١١٤.

(٣) المصدر نفسه ٢٥٧.

(٤) ابن حنبل ١٢٠/٢، أبو داود لباس.

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مادة آدم.

(٦) المخصص ١٠٣/٤.

(٧) لسان العرب ١٠٣/٥.

(٨) المخصص ١٠٣/٤.

(٩) لسان العرب ٣٠١/٥.

إن هذه التشبيهات توحي بأن لون الحور الأدكن هو أقرب منه إلى الأحمر.
الأسود: الارتدج الجلد الأسود^(١).

يقول ابن منظور المحرّم من الجلود: ما لم يدبغ أو دبغ فلم يتمرن ولم يبالغ، وجلد محرّم لم تتم دباغته.

وكان العرب يسوون سيّاطهم من جلود الإبل التي لم تدبغ، يأخذون الشريعة العريضة^(٢). وقد تدهن الجلود بشحم الحيوانات. فيروي الليث عن جابر بن عبد الله عن الرسول، يقول حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقليل يا رسول الله أرايت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس، فقال لا هو حرام، ثم قال رسول الله عند ذلك: قاتل الله اليهود إن الله لما حرم شحومها أجملوها، ثم باعوه فأكلوه شحمة^(٣). ويقول محمد بن حسن الشيباني «ولو أن رجلاً أراد أن ينتفع بشحم ميتة للدباغ أو للسراج أو غير ذلك بشيء من ذلك كان عندنا مكروهاً»^(٤).

الدباغة:

ذكرت بعض أنواع الدباغة التي تعطي للجلد ميزة خاصة أخرى ومنها:

١ - اللك، فيقول ابن سيده اللك تصبغ به الجلود التي يقال لها اللكاء، وليس ببلاد العرب ولكن قد جرى في كلامهم^(٥): «صاحب العين جلد ملكوك مصبوغ اللك، ماينتحت من الجلود الملكوك تشد به نصب السكاكين»^(٦). ويذكر ابن سيده أيضاً: «اللك وهو يعم العود كله فيكون له كالغرف وإذا أطيخ واستخرج صبغه فهو اللك بالضم تصبغ به الجلود التي يقال لها اللكاء»^(٧). ويقول التويري: «وأما اللك فيقال له أنه يسقط على قضبان الكروم من بلاد

(١) فقه اللغة ٦٧ .

(٢) لسان العرب ١٥/١٦ .

(٣) البخاري بيع ١١٢، ابن حنبل ٣١٣/٢ .

(٤) الحجج ٣٥٢ .

(٥) المخصص ١١/٢١٦ .

(٦) المصدر نفسه ١١/٢١٨ .

(٧) المصدر نفسه ١١/٢١٧ .

الهند فينعتد عليها، وزعم قوم أنه صمغ يلقط من قضبان الكروم^(١). وقد ورد
اللك في شعر للأخطل.

وقربن للبين الجمال وزينت بأحمر من لك العراق وأسودا^(٢)

٢ - الغرف: قال الأصمعي: الغرف .. جلود يؤتى بها من البحرين. وقال
أبو خيرة الغرية يمانية وبحرانية^(٣).

قال ابن السكيت: الغرف هو الثمام. وقيل ما دام أخضر فهو غرف، فإذا
يسس فهو ثمام. قال أبو عبيد «الغرف شجر يدغ به»^(٤).

٣ - السبت: وهو الجلد المدبوغ^(٥).

ذكرت بعض الأماكن المنتجة للجلود:

١ - البحرين: وكانت تصدر الغرف^(٦).

٢ - يثرب: تنتج البقر، وهو الترس الذي يعمل من جلد، والبقر كما يتجلى
في البيت التالي:

وذو بقر من صنع يثرب مقفل وأسمر دانه الهلالي يعتر^(٧)

٣ - العراق: وقد ذكر أنه ينتج اللك كما يتجلى من قول أحد الرعاة في
وصف الهوادج:

بأحمر من لك العراقي وأصفرا^(٨)

٤ - اليمن: يقول ابن رسته: «ومن عندهم يجلب الأدم والتعال المشعرة

(١) نهاية الأرب ١١/٣٢٦.

(٢) ديوان الأخطل ٩٠/٣.

(٣) لسان العرب مادة غرف.

(٤) المختصص ١١/١٤١.

(٥) فقه اللغة ١١٤.

(٦) لسان العرب مادة غرف، عن الأصمعي.

(٧) المختصص ١١/٢١٦.

(٨) المصدر نفسه ١١/٢١٨.

والأنطاع»^(١). ويقول المقدسي: «اليمن معدن العصائب والعقيق والأدم والرقيق، ومن خصائص هذه النواحي أديم زبيد.. وأنطاع صعدة وركائها»^(٢). ويقول أيضاً: «نجران مثل جرش وهما دون صعدة وأكثر ما ترى من الأدم فمن هذه المدن»^(٣).

الخفاف والنعال:

بذكر الجاحظ أن العرب تلهج بذكر النعال، والفرس تلهج بذكر الخفاف^(٤). وفي الحديث المأثور أن أصحاب رسول الله (ص) كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الأحمر والصففر، ويقولون هو من زينة نساء فرعون. ويقول ابن رسته: «أول من لبس الخفاف الساذجة في البصرة وثياب الكتان زياد بن أبيه»^(٥).

ذكرت الخفاف في عدد من التصوص، فيروي الأصبهاني أن معبد كان في ثياب السفر وعليه فرو وخفان غليظان وزبي جاف من زبي أهل الحجاز^(٦). ويروي وكيع عن أيوب ويحيى عن محمد أن رجلاً يقال له رزين ولعله كان أميراً على قوم، فغضب رجلاً برذوناً فأتى شريحاً، وجاء معه قوم يشهدون عليهم ثياب سود، وعليهم ثياب خفاف معقبة^(٧).

ويروي سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن يزيد بن حازم: رأيت علي بن الحسين يلبس طيلساناً كردياً غليظاً يتعلل يمانيين غليظين^(٨). ويروي الكافي عن جعفر الصادق أنه قال أن الخف الأحمر للسفر، وأما الحضر فلا تعدلن بالسواد شيئاً. وعن أبي جعفر أنه قال «أن البيض من الخفاف يعني المقشورة من لباس

(١) الأعلام النفيسة ١١٢.

(٢) أحسن التقاسيم ٩٨.

(٣) المصدر نفسه ٨٧.

(٤) البيان والتبيين ٣/٥٥.

(٥) الأعلام النفيسة.

(٦) الأغاني ١/٤٩.

(٧) المصدر نفسه ٢/٣٥٠.

(٨) ابن سعد ٥/١٦١.

الجبابرة، وهم أول من اتخذها، والحمر من لباس بني هاشم^(١). أما النعال فقد تردد منها ذكر الحضرمي فيروي ابن سعد أن مصعب بن عمير «كان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال».

تردد ذكر النعال السبئية فيروي «أن النبي رأى رجلاً يمشي بين القبور في نعليه فقال يا حب السبتين اخلع يمينك»^(٢). «وخرج الحجاج بتوطاً في سبتين له»^(٣). «وفي حديث عمار قيل له إنك تلبس النعال السبئية؛ إنما اعترض عليه لأنها نعال أهل النعمة والسعة»^(٤).

ويروي ابن حنبل عن «وكيع عن العمري سعيد المقبري ونافع عن ابن عمر أنه كان يلبس السبئية ويتوضأ فيها وذكر أن النبي (ص) كان يفعلها»^(٥).

وقال عتيبة بن الحارث: إنا معشر لا يخصصون نعالهم ولا يلبسون السبت ما لم يختصر. وروي ابن الأعرابي: كسبت اليماني قده لم يجرد.. وقال: القد النعال لم تجرد من الشعر فتكون ألين منه. ويروي الجاحظ: كان أبو العتاهية أهدى إلى أمير المؤمنين المأمون.. أردية قطرية وركاء يمانية ونعلاً سبئية يقول الأصمعي السبت الجلد المدبوغ، ويضيف الجاحظ: فإن كان عليه شعر أو صوف أو وير فهو مصحوب. ويقول أبو عمرو النعال السبئية هي المدبوعة بالقرظ. ويقول الجوهري السبت جلود البقر المدبوعة بالقرظ تتخذ منه النعال السبئية. والصفة الأساسية في النعال السبئية أنها لا شعر عليها. قال الأزهري كأنها سميت سبئية لأن شعرها قهد عنها، أي حلق وأزيل بعلاج من الدباغ معلوم عند دباغها. وقد روى أن عبيد بن جريح قال لابن عمر رأيتك تلبس النعال السبئية، فقال رأيت النبي (ص) يلبس النعال التي ليس عليها شعر ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها، قال إنما اعترض عليها لأنها نعال أهل النعمة والسعة»^(٦).

(١) الكافي ٤٦٦/٦.

(٢) الموشى ١٧٩.

(٣) المصدر نفسه ١٨٦.

(٤) المصدر نفسه ١٣٦.

(٥) حكاية أبي القاسم ٣٧.

(٦) الكافي.

ورد ذكر النعال السبئية في عدد من الأحاديث مما يدل على كثرة استعمالها في زمن الرسول (ص).

وذكر عن أبي عبد الله أنه وصف النعل الممسوحة بأنها حذاء اليهود، وأنه وصف نعلًا معقبة مختصر من وسطها لها قبالان ولها رؤوس، فقال هذا حذاء النبي، وأنه كره عقد شراك النعل، وكان يفضل النعل الصفراء لأنها (لباس النين)، ولأنها أرخص من النعال السوداء^(١).

ويذكر الرشاء أن الرجال الظرفاء وذوي المروءة الأدباء من زيههم لبس النعال الزيجية والنخان الكنانية والمشعرة اليمانية، والحذر اللطاف والمحتمة الخفاف ويشرك أسودها بأحمر، وأصفرها بأسود، ويلبسون الخفاف الهاشمية، والمكسورة الكنانية، ومن الأدم الخفيف بالجوارب الخز والمرعزي والقز، ويعيبون لبس الأحمر من الخفاف ولبس الدراشية الخفاف^(٢). أما متظرفات النساء فمن زيهن لبس النعال الكنانية المشعرة والمدهونة المخرصة، والخفاف الزنانية، والمكسورة والرهاوية^(٣). كما يذكر أن الجارية عندما تتمكن من قلب محبها تغلو في طلباتها ومما تطلبه الخفاف الزنانية، والنعال الكنانية^(٤). ويعيب مؤلف حكاية أبي القاسم البغدادي الأصبهانيين فيقول «ولا أرى في أسباب دوركم وأمتعتكم لمعارضكم خفافاً طاقية ولا نعالاً سندية»^(٥).

الغزل و الحياكة

يتطلب إعداد المنسوجات عدة عمليات متميزة ومتكاملة، ولكن كلاً منها متنوعة، ويمكن القول إن هذه العمليات تبدأ بالغزل والنسيج والحياكة فالقصر والصيغ ثم الطي، والخياطة.

(١) الكافي.

(٢) الموشى ١٧٩.

(٣) المصدر نفسه ١٤٦.

(٤) المصدر نفسه ١٣٦.

(٥) حكاية أبي القاسم ٣٧.

ذكرت كتب اللغة عدداً من التعابير المتعلقة بالغزل، وهي تذكر المغزل الذي يسمى أيضاً الدارة والمدرة. ويتطلب الغزل إعداد مادة الغزل، وفي اللغة كلمات تدل عليها منها السلية «شعر ينسج ثم يطوى ويشد، ثم تسل منه المرأة الشيء بعد الشيء تغزله»^(١). والجحشة «صوف كالحلق يجعله الرجل في ذراعه ويغزله»^(٢). والقمراس «شيء يلف عليه الصوف والقطن ثم يغزل»^(٣). ويسمى ما يخرج من الغزل نصل الغزل»^(٤). والمردون هو الثوب المنسوج بالغزل المردون، والردن هو «الغزل يقتل إلى قدام، وقيل هو الغزل المنكوس، والمردن المغزل الذي يغزل به الردن»^(٥).

يقول ابن المجاور عن أهل اليمن: وتغزل نساء هذه الديار (اليمن) القطن كما يغزل الوبر بالقانون، غليظ.

ويقول في مكان آخر: حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى الحائك، قال: ينقسم غزل النساء في اليمن على وجهين، منه الفارس ومنه الحميري، وهو الذي يخرج الإصبع الوسطى على الإبهام في الغزل، والفارس الذي يدخل الإبهام على الإصبع الوسطى فوق الغزل»^(٦).

يقترن الغزل بالنساء في كثير من النصوص، مما يدل على أن معظم الغزل كانت تقوم به النساء. فقد ذكر السرخسي المغزل للمرأة»^(٧). وروى ابن عباس عن الرسول أن النبي قال نعم لهو للمرأة المغزل. وعن عائشة قالت: قال (ص) مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله، وأيما امرأة ألبست زوجها من غزلها كان لها بكل سدى ولحمة مئة ألف حسنة. وعن أنس قال: قال رسول الله (ص) مروا نساءكم بالمغزل فإنه خير لهن وأزين. وعن ابن عباس: التي

(١) المخصص ٢٥٩/١٢ (عن ابن السكيت).

(٢) المصدر نفسه ٢٦٠/١٢.

(٣) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

(٤) المصدر نفسه ٢٥٩/١٢ (عن ابن ذية).

(٥) المصدر نفسه، الموضع نفسه، لسان العرب ٣٦/١٧.

(٦) المستبصر ٢٥٦/٢.

(٧) المبسوط ٢١٣/٥.

تغزل فإنها تسبح^(١). وعن سهل بن سعد أن النبي قال: عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل البارات من النساء المغزل^(٢).

كانت بعض النساء تغزل لأسرتها، فيروي البخاري أن امرأة جاءت ببرد فقالت يا رسول الله أني نسجت هذه بيدي أكسوكها^(٣). غير أن بعض النساء كن يغزلن للناس. ففي تفسير الثعالبي أن علياً انطلق إلى يهودي يعالج الصوف، فقال له هل لك أن تعطيني جزءاً من الصوف تغزلها لك بنت محمد بثلاثة أصع^(٤). وفي كتب الفقه كثير من التصوص التي يقترون فيها الغزل بالنساء؛ فيروي محمد بن حسن الشيباني عن أبي حنيفة: «رجل قال أني لبست من فلانة ثوباً»^(٥). ومن الطبيعي أن النساء لم يحتكرن النسيج، فقد كان الرجال أيضاً يقومون به^(٦). فيروي مالك «قلت لابن القاسم رأيت أن رفعت إلى حائك غزلاً ينسجه وقلت له زد عليه رطلاً من غزل من عندك»^(٧). وكان يسمى الغزال العصاب^(٨).

النسيج:

العملية الأساسية في النسيج هي تداخل الخيوط بنمط خاص، ويسمى أسطل الثوب السدي^(٩)، ويسمى أعلى الثوب اللحمة، وهو ما سدى بين الشدين^(١٠).

ذكر الشافعي المنسوجات وأنواعها، وفيها كثير مما يقوم الفرق فيه على أسلوب عملية النسيج، فقال أن الثوب «إن كان من غير وشي من العصب

(١) البركة في فضل السعي والحركة ٥٧-٥٩.

(٢) المصدر نفسه ٥٧.

(٣) البخاري كتاب البيوع، باب النسيج ٣١/٢٤.

(٤) البركة في فضل السعي والحركة ٥٩.

(٥) الجامع الصغير ٦٢.

(٦) المخصص ٤٥٩/١٢، لسان العرب ٣٦٧/٥.

(٧) المدونة ٣٨/٣.

(٨) لسان العرب ٩٢/٢.

(٩) المخصص ٥٩/١٢ (عن أبي زيد).

(١٠) المصدر نفسه ٢٥٦/١٢ (عن الخليل).

والحبرات وما أشبه وصفه ثوب حبرة من عمل بلد كذا: رقيق البيوت أو متروكاً مسلسلاً أو جنسه الذي هو جنسه وبلده، فإن اختلف عمل ذلك البلد قال من عمل كذا يعمل الذي يعرف به، وإذا عمل الثوب من قز أو من كشان أو من قطن وصفه، وإن لم يصف غزله إذا عمل من غزول مختلفة أو من كرسف مرن أو من كرسف خشن لم يصلح. وإن كان إنما يعمل من صنف واحد يبلده الذي سلف فيه لم يضربه أن لا يصف غزله، وإن وصف الدقة والعمل والزرع^(١).

والمميز الأساسي في النسيج هو شكل الخيوط التي تتحالك، وهما صنفان أساسيان: السحيل والمبرم، فالسحيل ثوب لا يبرم غزله، أي لا يفتل طائتين .. سحيل سحلوه إن لم يفتلوا سده، وقيل السحيل الغزل الذي لم يبرم، وعرف الجوهري السحيل: الخيط غير مفتول، والسحيل من الثياب ما كان غزله طاقاً واحداً، والسحيل من الحبال الذي يقتل فتلاً واحداً كما يقتل الخياط سلكه^(٢). أما المبرم فهو المفتول الغزل طائتين، ومنه سُمي المبرم وهو جنس من الثياب. والمبروم المغازل التي يبرم بها، والبريم خيطان مختلفان أحمر وأصفر، وكذلك كل شيء فيه لونان مختلفان، وقيل البريم خيطان يكونان من لونين^(٣). وما كان سداً ولحمته طائتين ليس بمبرم ولا مسحل يكون النسيج على خيطين خيطين.

يقول ياقوت: «النير القصب والخيوط إذا اجتمعت، والنير: العلم، وفي الصحاح: علم الثوب ولحمته أيضاً. ابن سيده: نير الثوب علمه والجمع أنيار، ونيرت الثوب أنيره نيراً وأنرته ونيرته إذا جعلت له علماً.. وفي حديث عمر (رض) أنه كره النير وهو العلم في الثوب.. والاسم النيرة، وهي الخيوطه والقصبه إذا اجتمعتا، فإذا تفرقتا سُميت الخيوطه خيوطه والقصبه قصبه، وإن كانت عصا فعصا، وعلم الثوب نير.. ويقال للحمة الثوب نير.. وثوب منير منسوج على نيرين. عن اللحياني، ونير الثوب هذبه. ويقال لست في هذا الأمر بمنير ولا ملحم.. والطرة من الطريق تُسمى النير تشبيهاً بنير الثوب هو العلم

(١) الأم ٣٠٨/٣.

(٢) لسان العرب ٣١٠/١٣، ٣٤٩/٢.

(٣) المصدر نفسه ٣٤٩/١٣، ٢١٠/١٢.

في الحاشية. وثوب ذو نيرين إذا نسج على خيطين وهو الذي يقال له ديابوذ، ويقال له في النسيج المتأمة، وهو أن ينار خيطان معاً ويوضع على الحقة خيطان، وأما ما نير خيطاً واحداً فهو السحل، فإذا كان خيط أبيض وخيط أسود فهو المقاناة، وإذا نسج على نيرين كان أصفق وأبقى^(١). ويقول ابن منظور: «العلم رسم الثوب وعلمه رقمه في أطرافه»^(٢) ويقول أيضاً: «رقم الثوب كتابته». وفي الحديث كان يزيد في الرقم أي ما يكتب على الثياب من أثمانها لنفع المراجعة عليه^(٣).

أما العلم، فقد ذكرت الكتب أن المطرف من الثياب في طرفيه علمان، وأن البرنكان كساء من صوف له علمان^(٤). وذكر رداء سابري له علم^(٥) وخميصة شامية لها علم^(٦) والخميصة ملاءة معلّمة من خز أو صوف^(٧)، كما ذكرت عمامة لها علم لبسها محمد بن علي^(٨) وعمامة بيضاء لها علم أحمر^(٩) ويبدو أن العلم يكون عادة من الحرير، وأنه لهذا السبب كان عبد الله بن عمر يرى أنها حرام، وقد اشترى ابن عمر عمامة لها علم فدعا بالصالح فقصه^(١٠). غير أن بعض الصحابة كانوا يلبسونه. فيروى أن علي بن الحسن كان يلبس ثوباً مصلحاً، ويقول لا بأس بالإصبعين العلم بالإبريسم في الثوب. وكان للقاسم بن محمد رداء يرى له علم. تنسج بعض الثياب النقيصة منفردة لا ينسج على منواله عدة أثواب، فيقال إنه نسيج وحده^(١١). غير أن في الغالب أثواباً كثيرة تنسج على نمط واحد، وقد يكون الثوب قطعة واحدة، أو قد يكون أكثر من قطعة.

(١) لسان العرب ١٠٥/٧-١٠٦، وانظر المخصص ١/ ٤٥٩ (عن أبي زيد).

(٢) لسان العرب ١٤٠/١٥.

(٣) المصدر نفسه ٢٧٨/٢.

(٤) فقه اللغة للثعالبي ٢٤٦ (عن ابن السكيت)، لسان العرب ١١/ ١٢٣.

(٥) لسان العرب ٢٨١/١٢ (عن الفراء).

(٦) ابن سعد ١٤٠/٥، ١٤٢.

(٧) الموطأ ٩٠/١.

(٨) ابن سعد ٢٢٧/٥.

(٩) المصدر نفسه ٧٥٢/٥.

(١٠) البخاري أدب ٦٦، مسلم ١٥١/٢، أبو داود ٨٢/٤.

(١١) الأمثال للميداني ٣٤/١.

فالرِبْطَةُ هي «الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين، وقبل الرِبْطَةُ كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحدة»^(١). واللفق «أن تضم شقة إلى أخرى فتخيطها»^(٢). «والثياب الملققة مثل العروض والمروى والملفق»^(٣)، والثوب مشبرق أفرد نسجاً وسخافة وصار الثوب شباريق أي قطعاً. وأنشد ذو الرمة:

فجاءت كنسج العنكبوت كأنه على عَصْوِئِها سابري مشبرق
والمشبرق من الثياب الرقيق الرديء النسج، ويقال للثوب من الكتان مثل السبينة مشبرق^(٤) وأشهر الثياب الرقيقة هي السابري. فذكر الثعالبي: «السابري هو الرقيق الناعم من كل ثوب»^(٥). ويقول ابن منظور: «السابري من الثياب الرقاق.. وكل رقيق سابري». وفي حديث حبيب بن أبي ثابت: «رأيت على ابن عباس ثوباً سابرياً استُشف ما وراءه. وكل رقيق عندهم سابري»^(٦).

أدوات النسيج

تتطلب الحياكة أدوات ذكرت بعضها كتب اللغة. ومما ذكرته:

- ١ - الاستاج أو الاستيج الذي يُلَفَّ عليه الغزل للنسيج بالأصابع^(٧).
- ٢ - الجحشة، صوف كالحلق يجعله الرجل في ذراعه ويغزلها^(٨).
- ٣ - المنسج، وهو الخشبة والأدوات التي ينسج عليها^(٩).
- ٤ - الوشيعه، وهي القصبة التي يجعل النساج منها لحمة الثوب للنسيج، وهي الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب^(١٠).

(١) لسان العرب ١٧٨/٩.

(٢) المصدر نفسه ٢٠٦/١٢.

(٣) المدونة ١٧٩/١٥.

(٤) لسان العرب ٣٧/٢ (عن الميث).

(٥) لطائف المعارف ٨٥، ثمار القلوب ٥٤٠.

(٦) لسان العرب ٩٥/٦.

(٧) المخصص ٢٥٩/١٤، لسان العرب ٧٩/٣.

(٨) المخصص ٢٦٠/١ عن أبي زيد.

(٩) المصدر نفسه ٢٦٠/٢ (عن الخليل).

(١٠) المصدر نفسه ٢٦٠/١٢ (كتاب الرحلى والمنزل ٣٣).

٥ - الحفة وهي الخشبة العريضة التي ينسق بها اللحم بين السدي، وقيل الحفة العصبة التي تجيء وتذهب وهي الحلاف. ويقول أبو زيد «الحفة القصبات الثلاث»، والنيرة الخشبة المعترفة^(١).

٦ - المخط وهو العود الذي يخط به الحائك الثوب^(٢).

٧ - المطمر وهو الخيط الذي يقدر به، ويسمى أيضاً الزيج^(٣)، ويقال له بالفارسية الشز.

٨ - التول وهي خشبة الحائك التي يلف عليها الثوب بأدوات الحائك المنصوبة وتسمى أيضاً منوالاً^(٤)، والتول أو المنوال الخشبة التي يلف الحائك عليها الثوب ويقال لها الحضة^(٥).

٩ - الصيصة، وهي شوكة الحائك التي يسوي بها السداة واللحمة^(٦) أو هي «الشوكة التي يمدّها على الثوب»، وقد اتخذت اسمها من القرون، لأنها تصنع منها.

١٠ - النير وهي الخشبة المعترضة^(٧).

١١ - القاص الذي يطوف الثياب على أول طيها حتى تكسر على طيها^(٨).

١٢ - المطرقة وهي عصا التجاد التي يضرب بها الصوف لينتش^(٩).

الموقف من الحياكة

وردت أقوال في ذم الحياكة وما يحصل بالنسيج، فيروي أبو نعيم أن

(١) المخصص ٢٦٠/١٢.

(٢) المصدر نفسه ٢٦٠/١٢، كتاب الرجل والمنزل ١٢٣، فقه اللغة ٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه ٢٥٨/١٢.

(٤) لسان العرب ١٠٨/١٣ (عن الليث).

(٥) كتاب الرجل والمنزل ١٢٣ (عن الأصمعي)، لسان العرب ٢٠٨/١٣.

(٦) لسان العرب ٣٠٨/٥.

(٧) المصدر نفسه ١٠٦/٧ عن أبي عينة.

(٨) المخصص ١٥٩/٢.

(٩) لسان العرب ٤٨٥/١.

الرسول (ص) قال: «العرب أكفاء لبعض الأحائك أو حجام»^(١). ويروي الجاحظ: «فأما الصناعات، فقد تقصر الأسباب بعض الناس على أن يصير حائكاً، وتقصر بعضهم على أن يكون صيرفيّاً، فهي وإن قصرت على الحياكة، فلم تقصره على خلف المواعيد وعلى إبدال الغزول وعلى تشقيق العمل دون الإحكام والصدق وأداء الأمانة»^(٢). ويقول أيضاً: «وقد سمعنا قول بعضهم الحمق في الحياكة والمعلمين والغزّالين. وقال: والحياكة أقلّ وأسقط من أن يقال لهم حمقى، وكذلك الغزّالون، لأن الأحق هو الذي يتكلّم بالصواب الجيد، ثم يجيء بخطأ فاحش، والحائك ليس عنده صواب جيد من فعال إلا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب، وليس هو من هذا بشيء»^(٣). ومما عيب به أهل اليمن أنه «ليس فيهم إلا دابغ جلد أو ناسج برد سائس فرد أو راكب مرد»^(٤).

ذكر طاشكبر زاده أربعة من الصناعات موسومين عند الناس بضعف الرأي: الحياكة والفظانون والمغازلون والمعلمون، وذلك لكثرة مخالطتهم النساء والصبيان، وكل قرين بالمقارن يقتدي. ويروي أيضاً عن مجاهد أن مريم طلبت عيسى فمرت بحياكة فأرشدوها إلى غير الطريق، فقالت: اللهم انزع البركة من كسبهم، واجعل أمّهم فقراء، وحقرهم في أعين الناس، فاستجيب دعاؤها^(٥). وقال شريح للغزّالين إذا كانت بينكم سنة فستكم بينكم^(٦).

(١) حلية الأولياء ١/١٩٠.

(٢) الحيوان ١/٦٥.

(٣) البيان والبيان ١/١٤٧.

(٤) البيان والبيان ٢/٢١٩، الحيوان ٦/١٥٢، ياقوت ٤/١٣٦.

(٥) مفتاح السعادة ٣/١٧٩. وانظر، عن بعض نقاليد ما يتصل بصناعة الألبسة، الموطأ ٢/٥٦، ٧٧، المدونة ٣/٣٩٠، ٣٩٢.

(٦) أخبار القضاة لوكيع ٢/٣٧٢، البخاري بيوع ٩٥، ابن سعد ٦/٩٤. وانظر، عن بعض نقاليد في الصناعة، المدونة ١٢/٢٩، ٣٠، ٤٧.

الفصل الرابع

مراكز النسيج في شبه الجزيرة العربية وأطرافها

أنسجة اليمن

اشتهرت اليمن بالنسيج ويستدل من بعض النصوص على أن النسيج كان أبرز حرف أهلها. فيروي الأصمعي أن خالد بن صفوان أجاب رجلاً أطنب في التفاخر باليمن، فقال له: «وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد»^(١).

تشير مصادر القرن الأول إلى الأنسجة اليمنية، ويظهر من إشارتها أنها كانت موجودة في العراق والحجاز، غير أنها كانت أكثر ذكراً في الحجاز مما يدل على سعة انتشارها فيه، فيروي ابن الفقيه أن الكعبة «كساها النبي الثياب اليمنية»^(٢) أو «إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن»^(٣). ويروي أن النبي كُفّن في يمنة^(٤). ويروي الأصبهاني أن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي بعث إلى عمر بن الخطاب بحلل من اليمن فقسمها^(٥). وقد ذكرت أمام عبد الملك

(١) البيان والنبين، معجم البلدان ١٠٣٦/٤.

(٢) البلدان ٢٠.

(٣) البخاري خمس، مسلم ١٥٤/٢؛ أنساب الأشراف ٥٠٨/١.

(٤) لسان العرب، مادة يمن؛ ويذكر البلاذري أن النبي (ص) ترك عشرة أثواب: ثوب حيرة وأزراً عمانية وثوبين صحاريين وقميصاً صحارياً وقميصاً سحولياً وجبة يمنية؛ أنساب الأشراف ١/٥٠٧.

(٥) الأغاني: ١٥٣/١٦.

«مناديل اليمن كأنها نور الربيع»^(١). وذكر أبو نعيم عن سليمان بن داود المتقري أن أباة يتجر إلى اليمن^(٢).

ذكرت الأنسجة اليمانية في العراق، فلما قدم عبيد الله بن زياد الكوفة لدى سماعه خبر مجيء الحسين إليها «فأخرج ثياباً مقطعة من مقطعات اليمن ثم اعتجر بمعجرة يمانية»^(٣). وروى ابن سعد أن الشعبي كان ممّا يلبس «عمامة حمراء قد تعجر بها من ثياب اليمن»^(٤). وكان أبو وائل يلبس مقطعات اليمنة^(٥).

وقد ذكرت اليمنة في بعض الآيات، فقال ابن قردود يرثي ابن عمار:

يا جفنة كلزاء الحوض قد كفأوا ومنطقاً مثل وشي اليمنة الحبر
وقال ربيعة الأسدي:

إن المودة والسهوادة بيننا خلق كسحق اليمنة المنجباب^(٦)
وبعث عبد الله بن أبي ربيعة إلى عمر بن الخطاب يحلل من اليمن
فقسما^(٧).

إن المنسوجات المذكورة في النصوص الآتية الذكر عامة، لم يحدد نوعها ولم يذكر في أي مناطق اليمن كانت تصنع، مما قد يدل على أنه كانت في اليمن للتنسيج عدة مراكز، وأن كثرة هذه المراكز جعلتها تنسب إلى اليمن عمومًا، غير أن كثيراً من الأنسجة اليمانية رغم عموميتها كانت ذات صفات خاصة مشتركة تميزها عن غيرها.

وبرود اليمن هي من أشهر أنسجتها، وتذكر غالباً مقرونة بها^(٨)؛ فيروي ابن

(١) الأغاني ١٨/١٦٤.

(٢) أخبار أصبهان ١/٣٧٣.

(٣) الطبري ٢/٢٤٣، الأغاني ١٦/١٤٣.

(٤) ابن سعد ٦/١٧٦.

(٥) المصدر نفسه ٦/٨٦.

(٦) لسان العرب، مادة يمن.

(٧) الأغاني ١٦/١٥٣. والنظر، عن فرش اليمن، الذخائر والتحف، ٢٩، ٤٦، ٣، ٦٥، ١٠٥، ١١١.

(٨) لطائف المعارف ١٣٥ (عن الجاحظ ١٦٨، ثمار القلوب ٥٣٤).

سعد أن النبي (ص) كان له برد يماني طوله ست أذرع في ثلاث أذرع وشبر^(١).
ويروي الواقدي بسنده عن سليم بن عامر: 'رأيت على عثمان برداً يمانياً ثمنه
مائة درهم'^(٢). ويقول حميد بن ثود:

أجدُّ بليلى مدحةً عربيةً كما حَبَر البرد اليماني لمسيح^(٣)
ويقول أيضاً:

ما بال بردك لم يمسس حواشيهُ من ثومدأة ولا صنعاء تحبير^(٤)
ويقول الهذلي:

كليبٌ لعمرى كانَ أكثرَ ناصراً وأيسرَ جرماً منك ضُرج بالدم
رمى ضرعُ نابٍ فاستمرَّ بطعنة كحاشية البرد اليماني المُتمم^(٥)
وقال الفرزدق:

وقال تخشيراً زياداً وأجفلت حوالي من بردٍ يمانى ومحبري^(٦)
ويقول ذو الرمة:

بنينا علينا ظلَّ أبرادٍ يمنيةٍ على سمك أسيافٍ قديمٍ صفالها^(٧)
ويذكر المافروخي: *لا يصلح للأكفان غير الثياب البيض القطنية والبرود
اليمانية^(٨).

حدّدت نصوص نسبة البرود اليمانية، فيروي دينار جد سليمان المكتب أنه

(١) ابن سعد ١-١٠/١٠٠.

(٢) المصدر نفسه ٣-٣٩/١.

(٣) الديوان ١٠٨.

(٤) ديوان حميد بن ثور ٨٢.

(٥) الأغاني ٤/١٢٦.

(٦) المصدر نفسه ١٩/٣٢.

(٧) ديوان ذي الرمة ٥٤٢.

(٨) محاسن أصفهان للمافروخي ٤٥.

رأى «علي بن بردين نجرانيين»^(١). ويروي عفان بن مسلم عن أبي عوانة عن عبد الله بن حنش: أنه رأى علي بن عمر بردين معافرين^(٢).

غير أن اليماني لم تحتكر البرود، بل شاركها في صنعها أقطار أيضاً، إذ يروي أنه رأى عمر بن الخطاب ملبياً برداً له قطرياً^(٣). ويروي كل من جرهموز وعلي بن ربيعة أنه رأى علي بن بردين قطريين^(٤).

كما ذكرت برود للأعراب، إذ يروي ابن الكلبي في قصة مجنون ليلى أنه كان يوماً جالساً «إذ طلع عليهم فتى عليه برودة من برد الأعراب»^(٥).

وتردّد ذكر البرود منفرداً في عدد غير قليل من التصوص؛ ويروي الفضل بن دكين عن مسعر بن إبراهيم: «كان عبد الرحمن بن عوف يلبس البرد أو الحلة تساوي خمسمائة أو أربعمائة»^(٦). ويذكر العباس بن سهل: «قدمت من عند عبد الملك بن مروان وقد أجازني وكساني برداً، كان ذلك البرد أفضل جائزتي»^(٧). وكان سعيد بن المسيّب «يلبس هذه البرود الغالية البيض»^(٨). وقد أهدى جميل بثينة، هذبة بن خرشم «بردين من ثياب كساه إياهما سعيد بن العاص وجاءه بنفقة»^(٩). كما أن يزيد بن الطثيرة أهدى له برداً وجبة ونعلين^(١٠)؛ وأن عمر بن أبي ربيعة والغريص واعدأ نساء عند العقيق «فأظلموا عليهن بمطرفة وبردين له حتى استترن من المطر»^(١١). وقال الأعرابي:

أماطت كساء الخمر عن حرّ وجهها وأدنت علي الخدين برداً مهلهلاً^(١٢).

(١) ابن سعد ٣-١٨/١.

(٢) المصدر نفسه ٤-١٢٩/١.

(٣) المصدر نفسه ١-٢٣٤/١.

(٤) المصدر نفسه ٣-١٨/١.

(٥) الأغاني ١/٦٥.

(٦) ابن سعد ٣-٩٢/١.

(٧) الأغاني ٧/٩٤.

(٨) ابن سعد ٥/٩٩.

(٩) الأغاني ٧/٩٦.

(١٠) المصدر نفسه ٧/١١٣.

(١١) المصدر نفسه ١/٦٤.

(١٢) المصدر نفسه ١/١٥٥، وانظر عن مواضع وروده في الحديث: فنيك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. مادة "برد".

وكانت البرود تستعمل في بلاط الأمويين في الشام؛ فلما دخل أبو حمزة الخارجي المدينة خطب في أهلها يذم يزيد الثالث ووصفه بأنه «يلبس بردتين قد حيكتا له وقومتا على أهلها بألف دينار وأكثر وأقل قد أخذت من غير حلها وصرفت في غير وجهها بعد أن ضربت فيها الأبشار وحلقت فيها الأشعار»^(١). كما كانت تستعمل في الكوفة والبصرة فيروي أبو إسحق أن «عبد الرحمن بن زيد عليه مقطعة برود وثياب»^(٢). ويروي الأصمعي: «رأيت ذا الرمة بمرصد البصرة وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمته مائتا دينار وهو ينشد»^(٣).

يقول ابن منظور: «قال ابن سيده البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي. قال الليث: البرد معروف من برد العصب والوشي»^(٤).

إن البردة كما جاء عند ابن منظور: «كساء يلتحف به، وقيل إذا جعل الصوف شقة وله هذب فهي بردة». وفي حديث ابن عمر أنه «كان عليه يوم الفتح بردة قصيرة قال شمر رأيت أعرابياً وعليه شبه منديل من صوف قد أترز به فقلت: ما تسميه؟ قال بردة. قال الأزهري وجمعها برد وهي الشملة المخططة». قال الليث: «وأما البردة فكساء مربع أسود فيه صغر تلبسه الأعراب». ويروي البخاري عن سهل بن سعد: «جاءت امرأة ببرد قال أتدرون ما البردة فقال له نعم هي الشملة منسوجة في حاشيتها. فقالت يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي.. فخرج إلينا وإنها إزار»^(٥).

وذكرت المصادر بعض أنواع من البرود لا نستطيع الجزم بنوعها أو محل صنعها، ومنها الخال وهي، نوع من البرود. قال الشماخ:

وبردان من خالٍ وسبعون درهماً على ذلك مقروض من القد ماعز

(١) الأغاني ١٠٦/٢٠.

(٢) ابن سعد ١٦٠/٦.

(٣) الأغاني ١١٨/١٦.

(٤) لسان العرب: مادة برد.

(٥) البخاري: بيع ٣١.

وقال امرؤ القيس: «وأكرعه وشي البرود من الخال»
والخال اللواء والبرود ذكرهما الجوهري^(١).

الأتحمية:

يقول الخليل (الأتحمية ضرب من البرود). وقد ورد ذكره في الشعر، فقال
رؤبة:

«أمسى كسحق الأتحمي أرسمه»

وقال الشاعر:

وَعَلَيْهِ أَتَسَحَّمِي نَسْجَةً مِنْ نَسِجِ هَوَزَمٍ
غَزَلْتُهُ أَمْ حُلْمِي كُلَّ يَوْمٍ وَزَنَ دَرَاهِمَ

وقال: وصهوته من أتحمي مشرعب.

وقال آخر يصف رسماً: أصبح مثل الأتحمي أتحمه.

... ويقال تحمت الثوب إذا وشيته. وفرس متحم اللون إلى الشقرة كأنه شبة
بالاتحمي من البرود وهو الأحمر. وروي عن الفراء قال: «التحمة البرود
المخططة بالصفرة»^(٢). ويقول ابن حبيب في شرح بيت أبي خراش:

كَانَ الْمَلَأَ الْمُحَضَّ خَلْفَ ذِرَاعِهِ صَرَّاحِيَّةً وَالْأَخْنِيَّ الْمُتَحَمُّ

الأتحمي: برود يمانية فيها خطوط خضر وحمر^(٣). ويقول ابن منظور:
«يقال برد مذهب وهو أرفع الأتحمي»^(٤). وهذا يدل على أن الأتحمي أنواع،
وأن فيه أصنافاً موشاة.

(١) لسان العرب مادة (خول).

(٢) المصدر نفسه. مادة تحم، المخصص ٧٣/٤.

(٣) ديوان الهذليين ١٤٦/٢.

(٤) لسان العرب مادة (ذعب).

الحبرة:

يقرن عدد من النصوص البردة بالحبرة. فيروي الشافعي «أن النبي كان يلبس برد حبرة في كل عيده»^(١). ويروي ابن سعد أن النبي كَفَّنَ في ثياب حبرة^(٢). ويروي الأصبهاني أنه عندما جاء جميل الشاعر إلى بثينة «طرحت برداً لها من حبرة في النار»^(٣).

ويقول الطفيل:

سماوُته لأسمالٍ بردٍ مُحَبَّرٍ وصهوُته من أتحمي مُصْعَبٍ^(٤)

غير أن الحبرة ذكرت في بعض النصوص منفردة. فيروي في الحديث: «كان أحب الثياب إلى رسول الله يلبسها الحبرة»^(٥). و«سجى رسول الله حين مات بثوب حبرة»^(٦). ولما جاء وفد همدان إلى النبي كان «عليهم مقطعات الحبرة والعمائم العذنية»^(٧). ويروي قتادة أن تبع الحميري هو الذي بَوَّب الكعبة «وكساها الوصائل ثياب حبرة»^(٨). ويروي الواقدي عن الحسن: «قال أبو بكر يا رسول الله أني رأيت في المنام كأن علي ثوب حبرة وأنا أظأ في عذرات الناس وفي صدري رقمتين»^(٩). ويقول الأعشى:

إذا الحبرات تلَوَّت بهم وجرّوا أسافل هُذَابِهَا

ويروي عثمان بن حفص الثقفي عن أبيه: «رأيت النصيب بالطائف فجاءنا

(١) مسند الشافعي ١/١٥٢، الثاني ٩٤٠، ابن حنبل ٣/١٣٤، ١٨٤، ٢١٥، ٣٩١.

(٢) ابن سعد ٢-٢/٦٥.

(٣) الأغاني ٧/٨٤.

(٤) المصدر نفسه ٨٦/٤١.

(٥) البخاري: لباس ١٨، الترمذي: لباس ٤٣-٤٥.

(٦) ابن سعد ٢/٥٢، وانظر أحاديث أخرى ومكانها من كتب الحديث من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

(٧) البكري ٨٤٨، ابن عساكر ٣/٤٣٧.

(٨) البلدان لابن الفقيه ٢٠.

(٩) ابن سعد ٢-٢/٥٢.

وجلس في مجلسنا وعليه قميص قوهي ورداء حبرة^(١). ويذكر خالد بن صفوان أنه قدم على هشام بن عبد الملك «وقد ضرب له سراق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن، فيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر»^(٢). ويقول مالك «أن العصب هو الحبرة وما أشبه»^(٣). ويذكر ابن شبة أن عبيد الرحمن بن عوف دفن «وعليه ثوب حبرة من عصب»^(٤). ويقول الشافعي «إن كان شيئاً نسيبه .. وإن كان غير وشي من العصب والحبرات وما أشبه وصفه ثوب حبرة من عمل كذا دقيق البيوت أو متراكماً مسلسلأ أو صفته أو جنسه الذي هو العمل الذي يعرف به لا يخرج في السلم دونه وكذلك في ثياب القطن كما وصفت في العصب قبلها»^(٥).

يقول ابن منظور: «الحبرة ضرب من برود اليمن منمر، والجمع حبر وحبرات».

الليث: برود حبرة ضرب من برود اليمانية، وليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً إنما هو وشي كقولك ثوب قمرز، والقمرز صبغة. وفي الحديث أن النبي (ص) لما خطب خديجة.. خلقت أباه بالعبير وكسته برداً أحمر .. والحيبر من البرود ما كان موشياً مخططاً، وفي حديث أبي ذر: الحمد لله الذي أطعنا الخمير وألبسنا الحيبر. وفي حديث أبي هريرة حين لا ألبس الحيبر. وقال رسول الله (ص): 'مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب والحيبر بالكسر الوشي' ^(٦).

يتبين من هذا الكلام: ١) أن الحبرة من البرود اليمانية، ولكن هنالك أنواعاً أخرى من البرود اليمانية غير الحبرة؛ ٢) أن الحبرة صفة لنسيج وليس اسم

(١) الأغاني ١/١٤١-١٤٩.

(٢) المصدر نفسه ٢/١٣٦.

(٣) المدونة ١/١٨٨.

(٤) وفاء الوفا ٢/٨٩.

(٥) الأم ٣/١٠٨.

(٦) لسان العرب، مادة الحبر.

مكان فهي ليست مفتصرة على مكان واحد من اليمن؛ (٣) أنها موشاة؛ (٤) أنها مخططة؛ (٥) أنها من ثياب الحلية.

أما النصوص الأخرى، فتظهر أن الحبرة في الغالب برود، وأنها مقطعات ورداء^(١)، ووصلات^(٢)، وسرايق^(٣).

العصب:

العصب: ضرب من الثياب يعصب غزله ويدرج ثم يصنع ويحاك، ويقال برود عصب^(٤) ما عصب به أيض لم يأخذه صنع^(٥). وذكر عصب اليمن والقطري وما أشبهه مما يصبغ غزله ولا يصبغ بعد^(٦). وورد ذكر عصب اليمن في عدة نصوص؛ فيقول الأصمعي: «أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا في اليمن: الورد والكندر والخطر والعصب»^(٧). ويقول المقدسي: «اليمن معدن العصائب والعقيق والأدم وبرود سحولا والجريب وسعيدى صنعاء»^(٨). وأشار الثعالبي إلى وشي اليمن وعصب اليمن وبرود اليمن^(٩). وتردد ذكر عصب اليمن في عدد من المصادر الأولى. ويبدو أنه كان من لباس الثرف الذي يكلف غالبا، فيروي رجاء بن حيوة عن معاذ أن من شر النساء من «إذا تحلّين ولبسن ربط الشام وعصب اليمن فأتعن الغني وكلفن الفقير ما لا يجد»^(١٠). وكانت عائشة ترى أن لا تلبس الحاقة ثوب العصب^(١١). وكان الشافعي يبيع لیس، ويقول: «وأحب ما يلبس إلي البياض فإن جاوزه بعصب اليمن القطري وما يشبهه مما

(١) الأغاني ١/١٤٠-١٤١.

(٢) ابن الفقيه ٢٠.

(٣) الأغاني ٢/٢٣.

(٤) المخصص ٤/٧٢، لسان العرب ٢٠/٩٤ (عن الخليل).

(٥) لسان العرب ٢/٩٤.

(٦) الأم ١/١٧٤.

(٧) عيون الأخبار ٢/١٠٩، ياقوت ٤/١٠٣٦.

(٨) أحسن التقاسيم ٩٨.

(٩) ثمار القلوب ٥٣٤.

(١٠) عيون الأخبار ٤/١١٤.

(١١) المدونة ٥/١١٤؛ وانظر إيابة لیس المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مادة عصب.

يصبغ غزله ولا يصبغ بعد ما ينسج فحسب^(١). ويذكر مالك ما يدل على أن العصب أنواع، ففي المدونة: «قلت فهل كان مالك يرى عصب اليمن بمنزلة هذا المصبوغ بالدكتة والحمرة والخضرة والصفرة أم يجعل عصب اليمن مخالفاً لهذا؟ قال رقيق عصب بمنزلة هذه الثياب المصبغة، وأما غليظ اليمن فإن مالكا وسع فيه ولم يره بمنزلة المصبوغ». وهو يذكر أن العصب هو الحبر وما أشبهه^(٢). وقد يؤيد أن الحبرة من العصب ما يرويه ابن شبة عن عبد الواحد بن محمد أن عبد الرحمن بن عوف دفن وعليه ثوب حبرة من العصب اتماري أن يكون فيه طمة ذهب أولاً^(٣). وقد ورد العصب في بعض الشعر، فقال وضاح اليمن:

وأبصرت سلمى بين بردي مراجلٍ وأبراد عصب من مهلهلة اليمَن^(٤)
وقال أيضاً:

وتلبس من بز العراق مناصفاً وأبراد عصب من مهلهلة الجند^(٥)
ويقول كثير:

لبسنا ثياب العصب فاختلط السدى بنا وبهم والحضرمي المختصراً^(٦)
ويدل بيت وضاح اليمن على أن العصب كان يصنع في الجند. ويقول ابن منظور: والعصب ضرب من برود اليمن سمي عصباً لأن غزله يعصب أي يدرج ثم يصبغ ثم يحاك، وليس من برود الرقم، وربما اكتفوا بأن يقولوا عليه العصب، لأن البرد عُرف بذلك الاسم، قال: «يتذللن العصب والبخر معاً والحبرات...». وفي الحديث المعتدة لا تلبس المصبغة إلا ثوب عصب. العصب برود يمانية يعصب غزلها أي يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ، وقيل هي برود مخططة والعصب

(١) المدونة ١١٤/٥.

(٢) المصدر نفسه ١٨٨/١.

(٣) وفاء الوفا ٨٩/٢.

(٤) الأغاني ٤٤/٦.

(٥) المصدر نفسه ٤٣/٦.

(٦) المصدر نفسه ٢٩/٨.

القتل، والعصب الغزال، فيكون النهي للمعتدة عما صنع بعد النسيح. وفي حديث عمر (رض) أنه أراد أن ينهي عن عصب اليمن.

الجنديّة:

أشرنا عند الكلام عن العصب إلى بيت وضاح اليمن:

وتلبس من بز العراق مناصفاً وأبرد عصب من مهلهلة الجند^(١)
مما يدلّ على العصب من الجند. وقد ورد ذكر الثياب الجنديّة في شعر
لعمرو بن أبي ربيعة:

شف عنها محقق جندي فهي كالشمس من خلال السحاب^(٢)
ويذكر ابن منظور: «وفي حديث سالم سترنا البيت بجنادي أخضر، فدخل
أبو أيوب فلما رآه خرج إنكاراً له قيل هو جنس من الأنماط أو الثياب يستر بها
الجنديان»^(٣).

إن شعر ابن أبي ربيعة يدلّ على الثياب الجنديّة محققة، وكلام ابن منظور
يدلّ على أنها خضر غير مجففة. إن كلا النصين لا يذكر أنها من البرود، كما
يستفاد من نص ابن منظور أن كل الجنديّة مصبوغة بالأخضر.

النجرانيّة:

ورد ذكر البرود النجرانيّة، فيروي يحيى بن يكير عن مالك بن اسحاق بن
عبد الله عن أنس بن مالك: «كنت أمشي مع النبي وعليه برد نجراني غليظ
الحاشية»^(٤). وفي رواية أن الرسول (ص) كفّن في ربطتين ويرد نجراني^(٥).

(١) الأغاني ٢٣٦/٦.

(٢) المعبر نفسه ٩٢/١.

(٣) لسان العرب مادة "جند".

(٤) البخاري: خمس ١٩، لباس ١٨، أدب ٦٨، جناز ٣٩، ابن ماجه مناسك ٣٠، ابن حنبل ٣/

١٥٣، ٢١٠، ٢٢٣/٤، ٢٢٤.

(٥) ابن سعد ٢-٢٥/٢ وانظر عن النجرانيّة: صحيح الأعمش ١١٤/٩.

وشوهد على علي بُردان نجرانين^(١). وقد صالح رسول الله أهل نجران على ألفي حلة من حبل الأواقي^(٢):

السعيدية والتزيدية:

ومن برود اليمن السعيدية، ويقول المقدسي أن مما نشتهر به اليمن «سعيدية صنعاء»^(٣)، مما يدل على أنه يصنع في صنعاء.

ومنها أيضاً البرود التزيدية، وقد نسبت إلى تزايد بن حلوان، وبها خطوط حمراء. يقول أبو ذؤيب:

يعشرن في حدّ الطبات كأنما كسيت برود بني يزيد الأذرع

ويذكر ابن حبيب في شرحه مشبهاً «طرائق الدم في أذرعهن بطرائق تلك البرود، لأن تلك البرود تضرب إلى الحمرة»^(٤). ويضيف ابن منظور إلى هذا الشعر بأن «التزيدية بها خطوط حمراء تشبه بها طرائق الدم». قال علقمة:

ردّ القيان جمال الحي فاحتملوا فكّلها بالتزيديات معكوم^(٥)

وقد ورد ذكر الصنعاني دون تحديد ماهيته في نص عند الشيباني، حيث يقول «لا خير في الصنعاني بالمروي نسيئة لأنه قطن»^(٦).

المعافرية:

ومن البرود اليمنية المعافرية: فيروي عفان بن مسلم عن أبي عوانة، عن عبد الله بن حش، قال: «رأيت على ابن عمر بردين معافرين»^(٧).

(١) ابن سميّد ٣-١٨/١.

(٢) انظر نص الكتاب في مجموعة الوثائق السياسية لحمد الله ص ١١١.

(٣) أحسن التقاسيم ٩٨؛ وانظر عن السعيدية: أنساب الأشراف ٤-٣١/٢.

(٤) ديوان الهذليين ١٠/١.

(٥) لسان العرب مادة زيد.

(٦) ٢٢٩؛ أشار ابن حوقل إلى تميز قطن صنعاء (٢/٣٨٤).

(٧) ابن سعد ٤-١٢٩/١؛ وانظر: لسان العرب، مادة عفر.

وهناك عدة نصوص تذكر أن الرسول كتب إلى أهل اليمن أن على كل إنسان منكم ديناراً كل سنة أو قيمته من المعافري^(١). يقول مالك: «لا بأس أن أسلمت ثوباً من غليظ الكتان مثل الزيقة وما أشبه في ثوب قصبي إلى أجل وثوب قرقي معجل: الفسطاطي عندنا بمنزلة القسي وبمنزلة الزيقة وما أشبهها من الثياب إلا ما كان من الفسطاطي الرقيق المرتفع مثل المعافري وما أشبهه فإن ذلك يضم إلى رقيق الكتان إلى الشطوي والقصبي والقرقي وعلى هذا ينظر في ثياب الكتان»^(٢). ويدل هذا النص على أن المعافري من المنسوجات الجيدة، كما يوحي أن المعافري هو من الفسطاطي الرقيق المرتفع، أي إما أن صناعة المعافري قد انتقلت إلى الفسطاط، أو أن المعافري كالفسطاطي.

يقول الأزهري: «برد معافري منسوب إلى معافر اليمن، ثم صار اسماً لها بغير نسبة»^(٣).

السحولية:

يقول الخليل: «السحولية ضرب من برود اليمن»^(٤). ويذكر المقدسي «أن اليمن معدن العصائب والعقيق والأدم وبرود سحولية»^(٥). وقد ذكرت الثياب السحولية في الكلام عن كفن الرسول؛ فيروي هشام بن عروة عن عائشة «أن رسول الله كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة»^(٦).

ويروي ابن سعد روايات يذكر بعضها أن «النبي كفن في ثلاثة أثواب يمانية بيض كرسف ليس في كفته قميص ولا عمامة»^(٧).

(١) الأم ١٠١/٤، ٧٨/٣، الخراج يحيى بن آدم ٢٢٩، فتح البلدان.

(٢) المدونة ٢٣/١٠.

(٣) الصحاح ١٩٧/٢، المخصص ٧٣/٤.

(٤) لسان العرب مادة برد.

(٥) أحسن التقاسيم ٩٨.

(٦) الموطأ ١٧٢/١، الأم ٢٣٥/١، ابن سعد ٣-١٤٣؛ وانظر الأحاديث عن كفن الرسول (ص).

المعجم المفهرس مادة سحول.

(٧) ابن سعد ٦٣/٢٠٢، لسان العرب مادة (سحل).

وفي رواية أنه «كُنْ بَشَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ، وَيَمَانِيَّةٍ غَلَاظٍ، وَثَوْبِينَ وَبُرْدٍ حَبْرَةٍ، وَرِيظَتَيْنِ وَبُرْدٍ نَجْرَانِيٍّ، وَبُرْدٍ يَمَانِيَّةٍ غَلَاظٍ، وَإِزَارٍ وَرْدَاءٍ وَلِفَاقَةٍ، وَقَطِيفَةٍ وَحَلَّةٍ حَبْرَةٍ وَحَلَّةٍ حَمْرَاءَ نَجْرَانِيَّةٍ، وَثَوْبَيْنِ أَحْمَرَيْنِ، وَثَوْبَيْنِ مِنَ السَّحُولِ قَدَمَ بِهِمَا مَعَاذُ مِنَ الْيَمَنِ»^(١). ويروي وكيع أن عمر كُنْ فِي ثَوْبَيْنِ سَحُولِيَّيْنِ^(٢). يروي الثعالبي عن أبي عمرة والأصمعي وأبي عبيدة والليث أن «كُلُّ ثَوْبٍ مِنْ قَطْنٍ أَبْيَضٌ فَهُوَ سَحْلٌ»^(٣) وعن أبي عمرو «السَّحْلُ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ»، وأن السَّحْلَ مِنَ الْقَطْنِ^(٤)؛ والسَّحُولُ وَادٍ بِالْيَمَنِ قَرِبَ الْجَنْدِ، وَهِيَ مَلَا حَفَّ قَطْنٍ بِيضَاءً^(٥).

ويروي ابن منظور عن الجوهري: «السَّحِيلُ الْخَيْطُ غَيْرُ مَفْتُولٍ، وَالسَّحِيلُ مِنَ الثِّيَابِ مَا كَانَ غَزْلُهُ طَاقًا وَاحِدًا، وَالْمَبْرَمُ الْمَفْتُولُ الْغَزْلُ طَاقَيْنِ، وَالْمَتَامُ مَا كَانَ سَدَاهُ وَلَحْمَتُهُ طَاقَيْنِ لَيْسَ بِمَبْرَمٍ وَلَا مَسْحَلٍ، وَالسَّحِيلُ مِنَ الْحَبَالِ الَّذِي يَفْتَلُ وَاحِدًا كَمَا يَفْتَلُ الْخَيْطُ سَلَكُهُ، وَالْمَبْرَمُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ نَسِيجَيْنِ فَيَفْتَلَا حَبَلًا وَاحِدًا.. وَالسَّحْلُ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْكَرْسَفِ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ»^(٦). ويقول المنخل:

كَالسَّحْلِ الْبَيْضِ جَلَا لَوْنُهَا سَحٌّ تَجَاءِ الْحَمَلِ الْأَسْوَلِ^(٧)
وَالسَّحُولِيَّةُ ثِيَابُ قَطْنٍ بِيضَاءَ وَيَقُولُ ابْنُ سَمُرَةَ إِنَّهَا شَدِيدَةُ الْبَيَاضِ^(٨).

العَدْنِيَّةُ:

ومن البرود اليمانية أيضاً العَدْنِيَّةُ، وقد ذكرت في عدة نصوص؛ فيروي أسامة بن زيد: «دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) نَعُوذُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَوَجَدْنَاهُ قَائِمًا قَدْ غَطَّى وَجْهَهُ

(١) ابن سعد ٢-٢ / ٦٥-٦٧.

(٢) المصدر نفسه ٣-١ / ٢٦٦.

(٣) فقه اللغة ٥.

(٤) المصدر نفسه ٢٤٣، وانظر لسان العرب مادة 'سحل' عن الجوهري.

(٥) الروض المبطر للحميري.

(٦) لسان العرب ١٢ / ٣٤٨.

(٧) ديوان الهذليين ٢ / ١٠.

(٨) المختصص ٤ / ٧٣، الصحاح ٢ / ١٩٧، لسان العرب ١٢ / ٣٤٨، طبقات فقهاء اليمن لابن سمره

يبرد عدني فكشف عن وجهه^(١)، ويروي الحارث بن خالد المخزومي أن عتاقة زوجة عبد الملك «أمرت لي بخمسة آلاف درهم وثياب عدنية وغير ذلك من اللطاف»^(٢). ويذكر ابن هشام أن أبا لهب كان يلبس حلة عدنية^(٣). ويذكر محمد بن حرب الهلالي عن مروان بن إبان بن عثمان أنه «خرج وعليه سبعة قمص كأنها درج بعضها أقصر من بعض ورداء عدني بثمان ألفي درهم»^(٤).

وقد عُرفت الأردية العدنية في العراق، فيروي الأصمعي: «أهدى بعض ولاة الكوفة إلى السيد رداء عدنياً»^(٥). ويروي الفضل بن دكين عن عثمان بن أبي هند العباسي: «لقيت الشعبي في يوم عيد فطر أو أضحى وعليه برد عدني»^(٦). ويروي ابن شبة عن اسحق «مر دحمان المغني وعليه رداء جيد عدني»^(٧). وقد اشتهرت عدن أيضاً بالعمائم، فيروي حازم بن حرام الجذمي: «قال أنيت النبي بصيد اصطدتها من الأردن وأهديتها إليه فقبلها وكساني عمامة عدنية»^(٨). ويروي البكري أن وفد همدان جاءوا النبي «وعليهم مقطعات الحبرة والعمائم العدنية»^(٩).

وروى ابن هشام عن رجل أحول وضياء له غديرتان عليه حلة عدنية^(١٠). وروى عبيد الله بن عبد الملك بن شداد بن الهاد: «رأيت عثمان يوم الجمعة على المنبر وعليه إزار عدني غليظ»^(١١). وذكر في العصر العباسي الثياب العدنية^(١٢) والأردية العدنية، والبرود العدنية^(١٣).

(١) ابن سعد ٢-٢٦/٢.

(٢) الأغاني ٣/١٠٢.

(٣) ابن هشام ٢/٢٦٤.

(٤) الأغاني ١٧/٨٩.

(٥) المصدر نفسه ٧/١٩.

(٦) ابن سعد ١/١٧٧.

(٧) الأغاني ٥/١٣٥.

(٨) الإصابة لابن حجر ١/٢٩٩.

(٩) البكري: معجم ما استعجم ٨٤٨، لسان العرب ١/٦٤٩.

(١٠) السيرة ٢٠/٣٢.

(١١) حلية الأولياء ١/٦٠.

(١٢) الموشى ١٣٥، حكاية أبي القاسم ٣٥.

(١٣) لطائف المعارف ١٨٤.

وقد ذكرت أيضاً البرود الحضرمية، فيروي ابن اسحق أن الرسول عندما هاجر قال لعلي: «نم على فراشي واتشح ببردي هذا الحضرمي الأخضر»^(١). ويروي ابن حنبل أن الرسول «صلى في الليل في برد له حضرمي»^(٢). وقد أنشد كثير:

ليسنا ثيابَ العصبِ فاختلطَ السدى بنا وبهم والحضرمي المخصراً^(٣)
أن النص الأول يشير إلى أن البرد الحضرمي أخضر، وربما كانت القراءة الصحيحة ليست كثير (الحضرمي المخصراً)؛ فإن كان ذلك، كان البرد الحضرمي اشتهر بلون الخضرة.

ومن الأنسجة اليمانية التي ذكرتها المصادر، الحميرية، فيروي الفضل بن دكين وأحمد بن عبد الله بن يونس عن زهير بن معاوية عن عبد الملك بن عمير أنه قال: رأيت أبا موسى داخلاً من هذا الباب وعليه مقطعة ومطرف حميري^(٤).

الصبرية والجيشانية:

ومن منسوجات اليمن الصبرية، فيروي الأصبهاني أن جريراً قدم الحجاج فأكرمه الحجاج وكساه جبة صبرية وأنزله فمكث أياماً^(٥).

ومنها الجيشانية، وجيشان موضع باليمن تنسب إليه الخمر السود. قال عبيد بن الأبرص:

فأبنا ونازعنا الحديثَ أوانساً عليهن جيشانية ذات أغيال^(٦)

(١) السيرة لابن هشام ٩٥/٢.

(٢) ابن حنبل ٢٦٥/١.

(٣) الأغاني ٢٩/٨؛ سيرة ابن هشام ١٠٤/١.

(٤) ابن سعد ٨٥/٢-٤.

(٥) الأغاني ٤٠/٧.

(٦) البكري ٤١٠.

منسوجات يمانية أخرى:

وذكرت أيضاً مناديل اليمن، فيروي الأصبهاني عن محمد بن القاسم الأنباري عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي: «أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه أي المناديل أشرف، فقال قائل منهم مناديل مصر... وقال آخرون مناديل اليمن، كأنها نور الربيع»^(١).

وذكر مالك الملاحف اليمنية، فيقول «ولا بأس أن يشتري الثوب من الكتان والشوطي أو القصبي بالأثواب اليمنية والشفائق وما أشبه ذلك الواحد بالاثنتين أو الثلاثة يبدأ بيد أو إلى أجل إن كان من صنف واحد»^(٢). ويُذكر أيضاً «ثياب القطن لا يسلف بعضها من بعض إلا الغلاظ منها الشقائق والملاحف اليمنية الغلاظ من المروي والهروي والقوهي والعنبي، فهذا لا بأس أن يسلم بعضه في بعض»^(٣).

لا تُذكر الملاحف اليمنية في مصادر القرن الأول، ولا يمكن الجزم بسبب عدم ذكرها، وهل هو راجع إلى عدم وجودها آنذاك أو إلى قلة استعمالها أو لأسباب أخرى أدت إلى عدم ذكرها.

وتذكر كتب الحديث الأزر الغلاظ اليمنية، فيروي محمد بن بشار عن عبد الوهاب عن أيوب عن حميد بن هلال عن أبي بردة: «أخرجت إلينا عائشة كساء ملبداً وقالت في هذه نزع روح النبي (ص). وزاد سليمان عن حميد عن أبي بردة: أخرجت إلينا عائشة إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة»^(٤).

الحلل:

ويقول ابن منظور أن «الحلل برود اليمن» (لسان العرب مادة حلل). ولما

(١) الأغاني ١٦/١٨.

(٢) الموطأ ٧٢/٢ وانظر أيضاً الحجج للبيان ٢٢٩.

(٣) المدونة ٢٣/١.

(٤) البخاري: خمس ٥ مسلم ١٥٤/٢، ابن ماجه: اللباس ١٩٢/٢.

وصل الحسين التعميم في طريقه إلى الكوفة فلقى بها غيراً قد أقبل بها من اليمن بعث بها بجير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن وعلى العير الورسي والحلل ينطلق بها إلى يزيد^(١).

يذكر ابن منظور عدة معانٍ للحلة، فيقول: «قال خالد بن جنية: الحلة رداء وقميص وتماها العمامة، قال ولا يزال الثوب الجيد يقال له في الثياب حلة.. قال والحلل الوشي والحبرة والخز والقز والقوهي والمروى والحريز. وقال اليمامي: الحلة كل ثوب جيد جديد تلبسه غليظ أو دقيق ولا يكون إلا ذا ثوبين. وقال ابن شميل: الحلة القميص والإزار والرداء ولا تكون أقل من هذه الثلاثة. وقال شمر الحلة عند الإعراب ثلاثة أثواب. وقال ابن الأعرابي يقال للإزار والرداء حلة، ولكل واحد منهما على انفراده حلة. قال الأزهري: وأما أبو عبيد فإنه جعل الحلة ثوبين. وفي الحديث «خير الكفن الحلة» والحلل برود اليمن ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين، وقيل ثوبين من جنس واحد. قال: والحلة إزار ورداء برد أو غيره ولا يقال لها حلة حتى تكون من ثوبين (لسان العرب، مادة حلل). ويتبين من هذه النصوص:

(١) أن الحلة لا تقتصر على الثياب اليمانية.

(٢) أنها لا تختص بجنس معين وإن كانت الآراء مختلفة.

(٣) فهي رداء وقميص (خالد بن جنية) وإزار (شمر).

(٤) ثوبان أو ثلاثة أثواب أو إزار ورداء.

(٥) إنها من وشي وحبرة وخز وقز قوهي ومروى.

والراجح أن الحلل اليمانية هي من الحبرة.

وقد ذكرت المقطعات والمعاجر اليمانية في العراق، فيروي الطبري أن عبيد الله بن زياد عندما جاء الكوفة.. «أخرج ثياباً مقطعة من مقطعات اليمن ثم اعتجر بمعجرة يمانية»^(٢).

(١) الطبري ٢/٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه ٢/٢٤٣.

كما ذكرت القطائف اليمانية، فيروي السرخسي: «لا بأس بقطيفة يمانية بقطيفتين كرديتين إلى أجل»^(١).

ذكرت المصادر عدداً من الثياب التي نسبت إلى اليمن من برود اليمن؛ وقيل هو الثوب الناعم^(٢). و«المرحّل ضرب من برود اليمن سمي (بذلك) لأن عليه تصاوير رَحْل»^(٣). والمرط المرحل خزّ فيه عَلم وفيه تصاوير وهو موشى، وكان الرسول (ص) يصلي في مرط مرّحل، وكست عائشة نساء من الأنصار مروطاً مرّحلة^(٤). ومن البرود المرّحلة السبراء، وهي تعمل من القز وتكون فيها خيوط كالسيور^(٥).

ومما يتصل بالموضوع معلومات ذكرتها المصادر عن ألبسة اليمن، مذكّره نشوان بن سعيد أن معن بن زائدة ألزم الناس بلبس الثياب المصبغة بالنيل وترك شعورهم منشورة، فصار ذلك عليهم جمالاً وزينة لقدم عهدهم بذلك ومعرفتهم له^(٦).

وأهل حضرموت «لبس رجالهم الأزرق مكشفين الرؤوس حفاة، ولبست نساؤهم الفتوحى، ويصبغ الثوب بالزاج، وتصفّر النساء رؤوسهن في أوسطها بما يشبه الهدهد يسمونه الفوطه ويسمى الفتوح لاستفتاح صنعاء، ويقال إنه فتح الخياط، وكانوا يلبسوه نساء بغداد إلى أواخر دولة الإمام إلى محمد بن الحسن المستضيء بنور الله أمير المؤمنين، وتسخت في أيام دولة أبي العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين، ولبس نساء جميع العرب وجميع التركمان والكرد والبادج ونساء أهل سيستان إلى الآن منه»^(٧).

ويذكر الهمداني أن أهل بوادي صنعاء أصحاب لباس الحمرة. وأن الرجل

(١) المبروط للسرخسي ٢٨/١٣.

(٢) المخصص ٧٣/٤.

(٣) المصدر نفسه ٧٣/٤، لبان العرب ٢٩٥/١٢.

(٤) شمس العلوم ٤٨، لبان العرب ٢٩٥/١٢.

(٥) لبان العرب ٥٦/٦.

(٦) شرح القصيدة الدامغة ٢١٠.

(٧) المستبصر ١٨٩/٢.

المسّن يلبس اللباس الرقيق في الشتاء الشديد البرد وجمود الماء فلا يضره ذلك ويلبس الثياب العكروي في الصيف والصوف والخز فلا يضره^(١).

أنسجة البحرين وعمان:

يروى الطبري عن هناد وأبي كريب عن وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن ابن سيرين: «أن أبا موسى كسا ثوبين من معقدة البحرين»^(٢). ويروي ابن منظور «أن أبا موسى كسا في كفارة اليمن ثوبين ظهرايياً ومعقداً، قال النضر: الظهراي ثوب يجاء به من مر الظهران، وقيل هو منسوب إلى ظهران قرية من قرى البحرين، والمعقد برد من برود هجر»^(٣).

وقد ذكرت منسوجات هجر، فيروي سفيان عن سماك بن حرب عن سويد بن قيس أنه قال: «جلبت ومخرمة العبدى بزاً من هجر فأثينا به مكة»^(٤). ويروي ابن سعد أن الرسول (ص) بعث سليط العامري إلى هذة الحنفي فقبل هذا الإسلام وأجاز سليط بن عمر بجائزة وكساه أثواباً من نسيج هجر، فقدم بذلك كله على النبي وأخبره به^(٥).

القطرية:

إن أكثر منسوجات البحرين ذكراً هي المنسوجات القطرية^(٦)، قد ذكر استعمالها في زمن الرسول فما بعده، وفي الحجاز وفي العراق، ووصفت بأنها ثياب، وأزر، ويرد وأردية، ولا نعلم هل كان مصدر هذا التنوع عدم دقة الرواة في الوصف، أو أنها كانت متعددة الأنواع، أو أنها كانت أقمشة يمكن أن تصنع عدة ثياب، ومع هذا فإن لها صفات خاصة مميزة.

(١) الإكليل ٨٩/٨.

(٢) تفسير الطبري ١٧/٧.

(٣) لسان العرب، مادة (ظهر)، وانظر أيضاً باقوت ٥٨١/٢.

(٤) أبو داود: يروع ١٧٤، النسائي: يروع ٥٤٤، الترمذي: يروع ٦٤٤.

(٥) ابن سعد ١٨/٢-١.

(٦) الأم ١٧٤/١.

فيروي ابن حنبل عن «محمد بن جعفر عن شعبة عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن عائشة أنها قالت: كان لدى الرسول الله (ص) ثوبان عمانيان أو قطريان فقالت عائشة أن هذين الثوبين غليطان... وأن فلاناً قد جاءه بز فابحث إليه يبعك ثوبين إلى الميسرة»^(١). ويروي أيضاً عن «عبد الرحمن بن عباد بن راشد أنه قال: سمعت الحسن يقول حدثني رجل من بني سليط أنه مر على رسول الله (ص) وهو جالس على باب المسجد وعليه ثوب قطري ليس عليه غيره محضب به»^(٢). وفي حديث عائشة قال أيمن دخلت على عائشة وعليها درع قطري ثمنه خمسة دراهم»^(٣). ويروي محمد بن عبد الله الأسدي عن سفيان الثوري عن سعيد الجريري عن أبي عثمان أنه قال: أخبرني من رأى عمر يرمي الجمرة عليه إزار قطري مرفوع برقعة من آدم»^(٤). ويروي علي بن سهل بسند عن أبي سلمان أن عمر عليه إزار قطري يدهن إبل الصدقة بالقطران»^(٥).

ويروي قدامة بن عتاب رأيت علياً يخطب في يوم من أيام الشتاء عليه قميص قز وإزار قطريان معتماً بسب كتان ممّا ينسج في سوادكم»^(٦). ويروي جرموز رأيت علياً وهو يخرج من القصر وعليه قطريتان إزار إلى نصف الساق ورداء مشمر قريب منه»^(٧).

ويروي يثاق بن سلمان: مر بي عمر بن الخطاب فالتقى إلي قميصه فقال اغسل هذا بالأشنان فعمدت إلى قطريتين فقطعت من كل واحدة منهما قميصاً ثم أتيت فقلت البس هذا فإنه أجمل وألين، فقال أمن مالك؟ قلت من مالي قال هل خالطه شيء من الذمة، قلت لا إلا خياطة، قال أعرب هلم إلي قميصي قال فلبسه وأنه لأخضر من الأشنان»^(٨).

(١) ابن حنبل ١٤٧/٤، وانظر النسائي: يروع ٧٠ الترمذي: يروع ٤، ٢٠٧/٦.

(٢) ابن حنبل ٢٤/٥.

(٣) لسان العرب، مادة قطر.

(٤) ابن سعد ٢٣٧/١-٣، أنساب الأشراف ٣٢٥ (طبعة إحسان صدقي العدد).

(٥) الطبري ٢٧٧٤/١.

(٦) ابن سعد ١٦/١-٣.

(٧) المصدر نفسه ٢٣٨/١-٣.

(٨) المصدر نفسه ١٨/١-٣.

ويروي سليمان بن الربيع أنه رأى عبد الله بن عمرو بن العاص رجلاً «أبيض الرأس واللحية بين بردين قطرين عليه عمامة ليس عليه قميص»^(١).

ويروي علي بن ربيعة أنه «رأى علي بن بردين قطرين»^(٢). ويروي الجاحظ أن أبا العتاهية أهدى المأمون هدايا منها «أردية قطرية»^(٣).

أشارت بعض النصوص إلى صفات الأنسجة القطرية؛ فيقول الشافعي: «وأحب ما يلبس إليّ البياض، فإن جاوزه بعصب اليمن والقطري وما أشبهه مما يصغ غزله ولا يصغ بعد ما ينسج فحسن»^(٤). ويروي عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن عائشة أنها قالت كان علي رسول الله (ص) ثوبان عمانيان أو قطريان، فقالت له عائشة أن هذين ثوبان غليظان^(٥). ويذكر ابن سيده أن القطرية نوع من البرود؛ ويذكر شمر عن البكرائي قال: البرود القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة، وقال خالد بن جندب هي حبل تعمل بمكان لا أدري أين هو، قال وهي جياذ وقد رأيتها وهي حمر تأتي من قبل البحرين^(٦).

ويبين من هذا:

- (١) أن القطرية يصغ غزلها قبل نسجها.
- (٢) أنها ثياب غليظة فيها بعض الخشونة، وهي رخيصة.
- (٣) أنها من البرود والثياب والأزر وقد تجعل قميصاً.
- (٤) أنها حمراء اللون.

(١) ابن سعد ٤-١٢/٢.
 (٢) المصدر نفسه ٣-١٨/١.
 (٣) البيان والتبيين ٣-١٢١.
 (٤) الأمل ١-١٤٧.
 (٥) ابن حنبل ٤-١٤٧.
 (٦) المخصص ٤-١٧٢، لسان العرب مادة 'قطر'.

المنسوجات العمانية:

أشارت المصادر إلى المنسوجات العمانية، فيروي ابن سعد أن النبي كان له برد يماني طوله ستة أذرع وشبر، وأزر من نسيج عمان أربع أذرع وشبر في ذراعين وشبر فكان يلبسهما في الجمعة ويوم العيد ثم يطويان^(١). ويروي أيضاً: أجاز رسول الله فروة بن مسيك باثنتي عشرة أوقية وحمله على بعير نجيب وأعطاه حلة من نسيج عمان^(٢).

الصحارية:

ومن الأنسجة العمانية، الصحارية وهي منسوبة إلى مدينة صحار، فيروي محمد بن عمر، عن إبراهيم بن الحصين، عن داود بن الحصين، عن عبد الرحمن بن جابر، أن سعد بن معاذ كفن في ثلاثة أثواب صحارية^(٣). ويروي ابن عمر أنه كفن في ثلاثة أثواب. قال وكيع ثوبين سحوليين، وقال محمد بن عبد الله الأسدي صحارين وقيص كان يلبسه^(٤).

أنسجة العراق:

اشتهرت المنسوجات العراقية منذ صدر الإسلام وامتدت شهرتها واستعمالها إلى الحجاز. فيروي الذهبي أن مالك كان يقول إنما كانت العراق تجيش علينا بالدرهم والثياب، ثم صارت تجيش علينا بسفیان الثوري^(٥). ويروي عن ابن وهب، عن الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، أنه قال: «يقدم البرّ من العراق فيأتي صاحب المدينة بتسمية متاعه وصفاته فيبتاعه الناس منه ثم يبيعونه بعضهم من بعض». وقول مالك في الرجل يقدم له أصناف من البرّ فيحضره

(١) ابن سعد ١/١٠١.

(٢) المصدر نفسه ٣٨٣/٥.

(٣) المصدر نفسه ٣-٢/١١.

(٤) المصدر نفسه ٣-٢/٢٢٦، أنساب الأشراف ٣٠٨ (طبعة إحسان صدقي العمدة)، وانظر لسان

العرب مادة 'صحار'.

(٥) طبقات الحفاظ ١/٤٧١.

السوام ويقرأ عليهم في عدل كذا وكذا ملحفة بصرية وكذا راثطة سابرية وذرعها كذا وكذا، ويسمي أصناف ذلك البرّ بأجناسه وذرعه وصفته»^(١).

ويروي الذهبي عن عبد الواحد بن زياد، عن معمر بن راشد الأزدي مولاهم البصري: «قال كنت مملوكاً لقوم من طاحية فبعثوني ببرّ أبيه فقدمت المدينة فنزلت داراً»^(٢)، وأرسل مصعب بن الزبير إلى عمر بن أبي ربيعة ثياباً من وشي العراق لم ير مثلها»^(٣).

ويقول وضاح اليمن:

وتلبس من برّ العراق مناصفاً وأبراد عصب من مهلهلة الجند^(٤)
وتظهر هذه النصوص أن العراق كان يصدر البرّ، غير أن نص المدونة يظهر أن بعض المستوجات من العراق كالربط السارية.

ويقول الأخطل:

وقربن للبين الجمال وزينت بأخمر من لكّ العراق وأشود^(٥)
ويقول ابن منظور أن لكّ العجلود أو الثياب المصبوغة بنبات اللكّ، واللكّ عصارته التي يصنع بها»^(٦).

وقد وردت إشارات إلى خزّ العراق فيقول الأعشى:

عولين ديباجاً وفاخر سندس ويسخر أكسية العراق تحف^(٧)

ويروي الأصبهاني عن عمر بن أبي ربيعة قوله: إذ طرقتي رسول مصعب بن الزبير بكتابه يقول فيه: فإذا بثياب من وشي وخزّ العراق لم أر مثلها»^(٨).

(١) المدونة ٤٤/١٠، الموطأ ٧٨/٢.

(٢) طبقات الحفاظ ١٧١/١.

(٣) الأغاني ٢٤٤/٩.

(٤) المصدر نفسه ٤٣/٦.

(٥) ديوان الأخطل ٩٠/١.

(٦) لسان العرب مادة اللكّ.

(٧) الأغاني ١٤٠/٥، ٣٥/٦.

(٨) المصدر نفسه ١٤١/٨.

ويروي أبو جعفر: «أهديت لعلّي بن الحسين مستنّة من العراق فكان يلبسها فإذا أراد أن يصلي نزعها»^(١).

ويروي الأصمعي عن الأصمعي «أن تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخمر فباعها وبقيت السود منها فلم تنفق»^(٢).

ويقول حميد بن ثور:

تَحْشِرْنَ إِمَّا أَرْجُواناً مُهَذَّباً وَإِمَّا سِجْلَاطَ الْعِرَاقِ الْمُخَشَّمَا^(٣)

ويذكر الجواليقي في شرح هذا البيت السجلاط ثياب كتان موشية كأوشية خاتم وهي، زعموا، بالرومية سجلاطس^(٤). ويقول ابن منظور أيضاً السجلاط: «ضرب من ثياب الكتان ونمط من الصوف تلقيه المرأة على هودجها.. ويقال للكساء الكحلي سجلاطي.. وخز سجلاطي إذا كان كحلياً. وفي الحديث أهدي له طيلسان من خز سجلاطي قيل هو الكحلي، وقيل هو على لون السجلاط وهو الياسمين. وهو أيضاً ضرب من ثياب الكتان ونمط من الصوف تلقيه المرأة على هودجها»^(٥).

الترسية والكسكرية:

ذكرت في العراق الثياب الترسية، فيقول الجواليقي النرس قرية في سواد العراق يحمل منها الثياب الترسية^(٦).

كما ذكرت الثياب الكسكرية، فيروي عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن عطاء أبي محمد، قال: «رأيت علياً خرج من الباب الصغير وعليه قميص كرايس كسكري فوق الكعبيين»^(٧).

(١) ابن سعد ١٤١/٨.

(٢) الأغاني ٧٣/٢.

(٣) ديوان حميد بن ثور ٣١.

(٤) المعرب ١٨٥، وانظر أيضاً لسان العرب مادة «سجلط».

(٥) لسان العرب ٤٩/٦.

(٦) المعرب ٣٣٧.

(٧) ابن سعد ١٩/٣.

البصرية:

وذكرت الملاحف البصرية، فيروي الموطأ وقول مالك في الرجل يقدم عليه أصناف الخبز فيحضر السوام ويقرأ عليهم برنامجهم، فيقول في كل عدل كذا وكذا ملحفة بصرية وكذا ربطة سابرية ذرعها كذا وكذا، ويسمي لهم أصنافاً من البرز وأجناسه وهي تصنع من القطن^(١).

الميسانية:

ومن أنسجة العراق الميسانية، وقد ذكرت في بعض الأشعار. فيقول حميد بن ثور:

وَجَاءَتْ يَهْزُ الْمَيْسَنَانِي مَشِيهَا كَهْزُ الصَّبَا غَصْنِ الْكُثَيْبِ الْمُرْهَمَا^(٢)
ويقول أبو داود:

وَيَصْنُ الْوَجُوهَ فِي الْمَيْسَنَانِي كَمَا صَانَ قَرْنَ شَمْسٍ غَمَامُ^(٣)
وذكر الثعالبي المطارح^(٤) الميسانية. ويذكر الجاحظ أن متنوعات ميسان الأنماط والوسائد^(٥).

ويقول ابن الفقيه لأهل كورة دجلة والسواد وميسان ودستميستان من الستور والبسط وعمل الميسان والحريير والدراكن والدورنك، وغير ذلك من أنواع البسط والفراش ما ليس لآخر^(٦). وكان مما خلفه الرشيد ألف مخدة ميسان وألف وسادة ميسان^(٧). وقد ذكرت من أنسجة العراق أيضاً السيجان العراقية التي تعمل من الصوف^(٨). ومما ذكر عمائم الأيلة^(٩).

(١) الموطأ ١٧٨/٢، وانظر الحجج للشياني ٢٣٦.

(٢) الحاوي للماوردي ٢٠٤/٣.

(٣) لسان العرب، مادة من.

(٤) لطائف المعارف ١٨٣، ٢٣٦، ثمار القلوب ٢٣٨.

(٥) البصر بالتجارة ٣٤٦.

(٦) البلدان ٣٤١.

(٧) مطالع البدور ٦١ (عن الرشيد).

(٨) المدونة ٨٧/٩.

(٩) لطائف المعارف ٢٣٥.

ويقول مجنون بني عامر:

ولم تغن سيجان العراقيين نقرة ورقش القلنسي بالرجال الأطاول^(١)
الكوفية:

وقد ذكرت الربط الكوفية في نص رواه أبو نعيم عن عبيدالله بن عبد الملك ابن شداد، أنه رأى على عثمان يوم الجمعة على المنبر إزاراً عدياً غليظاً وريطة كوفية ممشقة^(٢). ويذكر الوشاء الخزوز الكوفية^(٣).

أنسجة عراقية أخرى:

ويذكر الشيباني الثياب اليهودية، فيقول: «رجل اشترى عبداً بعشرة أثواب يهودية ووصف الطول والعرض والرقعة إلى أجل معلوم»^(٤). وكان الربط من المنتوجات العراقية، فيقول ربيعة بن مقروم:

جعلن عنيق أنماط خدورا وأظهرن الكراذي والعهونا
على الأحجاج واستشعرن ريطاً عراقياً وقسيماً مصوناً^(٥)

ويذكر ابن سعد سب الكتان مما ينسج في العراق، فيروي عفان بن مسلم عن أبي عوانة، عن مغيرة، عن قدامة بن عتاب، أنه رأى علياً يخطب في يوم من أيام الشتاء عليه قميص قز وإزاران قطريان معتماً بسب كتان مما ينسج في سوادكم^(٦).

كما ذكرت المسح الموصلية، فيقول السرخسي وكذلك لابأس بمسح موصلية بمسحين سابريين إلى أجل^(٧)، وذكرت الطنافس الحيرية^(٨).

(١) البيان والتبيين ٩٩/٣.

(٢) حلية الأولياء ٦٠/١.

(٣) المعوش.

(٤) الجامع الكبير ١٣٥، ٢٤٣، الأصل ٢١ (٧٠) ٣١ (٩٩).

(٥) لسان العرب، مادة قس.

(٦) ابن سعد ٣-١٦/١.

(٧) الأصل ١٢١/١١، المبسوط ٢٨/٩.

(٨) الذخائر والتحف ٢٧، ٣٢.

وذكر الجاحظ ممّا تنتجّه الموصل الستور والمسوح^(١). وذكر ابن واصل الثياب الموصلية^(٢). وذكر الثعالبي أن صوف تكريت بعد صوف مصر وأرمينية^(٣).

وكانت واسط مشهورة باليزبون^(٤) واشتهرت الحيرة بالطنافس^(٥)؛ وتتخذ بالنعمانية الطنافس الحيرية^(٦). ولعل من العراق الثياب الزطية التي تردد ذكرها في كتب الفقهاء الأولين^(٧).

منسوجات بغداد:

ذكر الشافعي المنسوجات البغدادية، وذكر الثعالبي حُصْر بغداد^(٨)، وذكر مؤلف حدود العالم أن «صناعة بغداد القطن ومصنوعاته»^(٩)، وذكر المقدسي «بغداد مشهورة بالأزر»^(١٠)، واشتهرت العمامة الرصافية التي كان يلبسها الخلفاء وأحياناً كبار رجال الدولة^(١١)، ويدل اسمها على أنها كانت ممّا يعمل في بغداد.

أسس أبو جعفر المنصور بغداد لتكون مركز إقامة للخليفة وحرسه وجنده ورجال الإدارة والحاشية، فهي المركز الإداري الأول في الدولة. وكانت منذ بداية نشأتها تصلها موارد ضخمة من جبايات الأقاليم، فكثر فيها الأموال وازدادت الثروات ومقتنوها، وتطورت الحياة الحضرية فيها تطوراً كبيراً، بفضل سياسة الخلفاء في رعاية عموم الاتجاهات دون انحياز ضيق لفئة محدودة. وكان من أبرز آثار ذلك تطوّر واسع في الحياة المعاشية، بما في ذلك العناية

(١) التبصر بالتجارة ٣٤٦، لطائف المعارف ١٨٣.

(٢) مفرج الكروب ١٨٢/٤، ١٨٤.

(٣) لطائف المعارف ٢٢٣، ثمار القلوب ٤٢٣.

(٤) الحيوان ٩٤/٣.

(٥) الذخائر والنفح ٣٥/٢٧.

(٦) ابن رسته ١٨٦.

(٧) الأصل ١١٤ [١٨٤] ١٣٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٠، ٦١ [١٨٠] ٨٥ [١٩] ٨٩ [١٠].

١٠٦، ١٣٤، ١٤٨، المبسوط ٢/١٣، ٣٧، ٥٤، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨٩.

(٨) الأم ٩٣/٣، ١٠٨.

(٩) لطائف المعارف ٢٣٦، ثمار القلوب ٦٢٨.

(١٠) حدود العالم ١٣٨.

(١١) أحسن التقاسيم ١٢٨.

بالملبوسات؛ واقتضى ذلك نمو الصناعات ومنها المتعلقة بالملبوسات. ولا بد أن حاجات العامة من السكان كانت تسد بصناعات محلية لم تذكر المصادر منها غير أسماء الأسواق التي تعرض السلع، وربما تصنعها.

اعتمد أهل بغداد، في الحصول على أكثر السلع المترفة للأغنياء والعلية، على استيرادها من مراكز صنعها، وأتاحت الحرية إلى اختيار أجودها من تلك المراكز. ولعل كثيراً من منتجات المراكز التي أشارت إليها المصادر كانت مما يرد بغداد في القرنين التاليين لإنشائها. وكان لهذا تأثير في إنماء تجارتها مما أشارت إليه المصادر. ولم يؤثر انتقال الخلفاء إلى سامراء، الذي لم يدم أكثر من نصف قرن، على تجارة بغداد التي احتفظت بمركزها التجاري العالمي^(١)، وصارت تمون سامراء بما تحتاجه من سلع. واقتضى تطور الحياة أن تنمو فيها صناعات تميزت بها. غير أن المصادر لم تذكر مراحل إنشاء ونمو هذه الصناعات وأصول تقاليدها والقائمين بها إلى أوائل القرن الرابع، حيث يتردد ذكر العمائم الرصافية ومناسج القطن والحريز والإبريسمات، وصناعة الكاغذ التي تقوم موادها الأولية على منتجات النسيج.

كانت المراكز الرئيسة لما ذكرته المصادر من صناعات النسيج في بغداد تقع في الأطراف الشمالية الغربية من الجانب الغربي، ففيها تقع العنابية ودار القز التي يشير اسمها إلى أنها كانت مركز هذه الصناعات. وهذه المراكز كانت فيها عند تأسيس بغداد، فهي قطائع للجند.

تقع هذه المنطقة قرب شارع باب الشام وفي شماليه^(٢)، وكان فيها بعد تأسيس بغداد ربيض حميد وريض نصر النافذ إلى دجيل^(٣)، وصاحبها هذين الربيضين من رجال الجيش في زمن المنصور، ولا بد أن قاطنيها كانوا من الجند لم تذكر المصادر أصولهم. ومن النصرية قطاع السرخسية وفيه درب

(١) انظر البلدان لليعقوبي ٢١.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ٣/٣٠١، ٤/٣٧١، ٥/٢٩، ٣٩.

(٣) بغداد لابن الفقيه ١٤٩، معجم البلدان ٢/٢٥١.

الحاكة^(١). وقد خرب ريفض حميد^(٢)، ولا بد أن ريفض نصر هو الذي صار يسمى في القرون التالية النصرية^(٣) ظل عامراً وكان آخر محال بغداد^(٤).

يذكر ياقوت أن جهاز سوق الهيشم والنصرية والعنابيين ودار القز متصلة بعضها ببعض كالمدينة المفردة في آخر خراب بغداد، يعمل بها في هذه الأيام الكاغد^(٥). ولم يتردد ذكر جهاز سوق الهيشم، وإنما تردد ذكر جهاز سوق الفرس، وكان في زمن المنصور يتصل به قواطع الخوارزمية والبخارية ودكان الأبناء^(٦). وذكر ياقوت "النصرية بينها وبين دجيل ثلاث محال جهاز وسوق العنابيين ومحلة أخرى؛ ولعل النص في الأصل جهاز سوق الفرس أو الهيشم، ثم العنابيين^(٧)".

تظهر هذه النصوص أن أقدم من استوطن هذه المناطق السرخسية، والخوارزمية والبخارية والفرس؛ ولم تعرف مراكز نسج في البلاد التي نسبوا إليها.

فأما دار القز، فقد بقيت إلى زمن متأخر وكان عليها سور^(٨)، وكانت مفردة في الصحراء بها دكاكين لحمل الكاغد^(٩). وأول ذكر لخططها يرجع إلى سنة ٣٩٠^(١٠). أما العنابية، فكان بينها وبين الحربية صحراء^(١١)، أي أنها كانت ناحية إلى الطرف الشرقي، ووردت إشارات إلى أنها أحد محال الجانِب الغربي^(١٢).

(١) ذيل تاريخ بغداد لابن التيجار ٣٧/١، ٧٧.

(٢) معجم البلدان ٧٥٠/٢، ابن التيجار ٦٧٣.

(٣) معجم البلدان ١٥٧/٢.

(٤) التكملة لوفيات الثقلة للمندري ٢٣٤٧.

(٥) معجم البلدان ١٦٧/٢.

(٦) سهران ١٣٤، تاريخ بغداد للخطيب ١١٤/١.

(٧) معجم البلدان ٧٥١/٢.

(٨) المنتظم ١٤٧/١٠.

(٩) معجم البلدان ١٦٧/٢، مراصد الاطلاع ٥٠٧.

(١٠) ذيل تاريخ بغداد لابن التيجار ٨٧/١.

(١١) تاريخ بغداد للخطيب ٤٣/١٢، المنتظم ٤٧/٨، طبقات الحنابلة ١٩٨/٢.

(١٢) التكملة لوفيات الثقلة ٢١٩، ٦٢٢، ٨٠١، ١٤٦١، ١٩١٥، ٢١٩٠.

لم يرد ذكر لأول القاطنين في العتائية، وإنما ذكر أن "بها تصنع الثياب العتائية، وهي حرير وقطن مختلف الألوان"^(١)، وهي ذات خطوط صفراء وحمراء كالشمام^(٢).

ورد أول ذكر للمنسوجات العتائية في سنة ٣٩٨ لمّا وضع نصر بن سابور «العشر على ما يعمل من الثياب الإبريسمات والقطنيات، فثار أهل العتائية وباب الشام»^(٣).

ولا بد أن تسمية العتائيات منسوبة إلى هذه المحلة ببغداد؛ ومع أنها لم تحتكر صناعته إذ اشتهرت بها مع بغداد نيسابور^(٤) وأصفهان^(٥) وأنطاكية^(٦)، إلا أن الراجع أنها منشأ هذا النسيج، ولكن المصادر لم تذكر أصول صنّاعه ومصدر مهارتهم في صناعته، علماً بأن سكان المحلة الأولين من أصول لم تعرف عند تأسيس بغداد بصناعة النسيج.

المنسوجات المصرية:

تتوفر عن المنسوجات المصرية معلومات في صدر الإسلام أشارت إليها المصادر اللغوية والفقهية، ومعلومات من القرنين الثالث والرابع ذكرتها كتب البلدان والتاريخ التي ألفها المصريون أو من زار مصر، ووصفوا معالمها وما يتعلّق بمنسوجاتها؛ وتختلف أسماء المنسوجات المصرية في القرنين الأول والثاني عن أسمائها في القرون التالية، ممّا يدل على حدوث تطورات واسعة في أنواع المنسوجات المصرية إبان هذه القرون.

فأما ما ذكرته الكتب عن أسماء منسوجات مصر، فمن أولها القبطية، فيروي محمد بن عبد الله الأسدي بسند عن عبد الله بن محمد بن عقيل: «أن النبي

(١) ابن حوقل ٢١٢، رحلة ابن جبير ٢٠٢.

(٢) مقدرات ابن البطار ٣٠١/١.

(٣) لطائف المعارف ٢١٩. ثمار القلوب ٢٥٤، المقدسي، ٣٢٣، ابن الفقيه ٢٥٤.

(٤) لطائف المعارف ١٩٥.

(٥) الاضطخري ٩٩، حدود العالم ١٣١.

(٦) الإبريس.

كسائه حلة سبراء وكسا أسامة قبطيتين^(١). ويروي ابن أسامة بن زيد «كساني رسول الله قبطية كثيفة»^(٢). ويذكر ابن اسحق أن الرسول «تكشف عن بطنه وكأنه قبطية مصرية»^(٣). ويذكر مالك «الساج المدرج في جرابه والثوب القبطي المدرج في طيه»^(٤).

والقبطية ثياب بيض^(٥). وفي حديث قال ابن أبي الحقيق: «ما دلنا عليه إلا بياضه من سواد الليل كأنه قبطية». وفي حديث ابن عمر أنه «كان يجلب بدنه القباطي بالأنماط»^(٦). وقد ذكرت القبطية في الشعر الجاهلي، فقال زهير:

ليأتينك مني منطقٌ قلَّعَ باقي كما دَنَسَ القبطية الودكُ^(٧)
وقال الكميت:

ليأخَّ كأن بالأتحمية مشبعٌ إزاراً وفي قبطية مُتَجَلِّبُ

الأشمونية والشطوية:

من الأنسجة المصرية المذكورة في مصادر الأزمنة المتقدمة، الأشمونية. فقد روى ابن سعد أن علي بن الحسين «كان يشتري كساء الخزّ بخمسين ديناراً فيشتوبه، ثم يبيعه ويتصدق بثمنه، ويصيق في ثوبين من ثياب مصر أشمونين بدينار»^(٨).

أما الشطوية، فهي من الأنسجة المصرية المذكورة في مصادر القرن الأول، فيذكر ابن سيده أن الشطوية ضرب من ثياب الكتان منسوبة إلى شطا، وهي

(١) ابن سعد ١-٤/١٠٧.

(٢) المصدر نفسه ١-٤/٤٥، ابن حنبل ٥/٢٠٥، ويروي البلاذري أن عمر أوصى لاتلبسوا نسائكُم القباطي، أنساب الأشراف ٣٢٥ (طبعة إحسان صدقي العمدة).

(٣) ابن هشام ٩/٢.

(٤) الموطأ ٢/٧٧، المدونة ١٠/٣٨/٧١.

(٥) الصحاح مادة قبط، المخصص ٧١/٤.

(٦) لسان العرب مادة قبط. وذكر مالك القبطي المدرج في طيه (المدونة ٨/١).

(٧) لسان العرب مادة قبط.

(٨) ابن سعد ٥/١٦١، وانظر: ابن حوقل ١٤٨.

أرض^(١). ويضيف ابن منظور: وقيل شطي اسم قرية بناحية مصر تنسب إليها الثياب الشطوية. ويقول الشاعر: تجلّل بالشطوي والحبرات (يريد الشطوي)^(٢).

يقول مالك: «وكذلك الكتان رقيقه كله واحد القرقبي والشطوي والتنيسي^(٣). ويتبين من هذا النص أن الشطوي هو من الكتان الرقيق. وقد تطرقت نصوص أخرى إلى نوع هذا النسيج وعلاقته بالمنسوجات الأخرى. ولم يكن مالك يجيز أن يسلم الشطوي في القصبي^(٤). ويقول أيضاً: ولا بأس أن يشتري الثوب من الكتان أو الشطوي أو القصبي بالأثواب من الأتريبي أو القسي أو الزيقة أو الثوب الهروي والمروى بالملاحف اليمانية والشقائق وما أشبه ذلك، الواحد بالاثنتين أو الثلاثة يداً بيد أو إلى أجل إن كان من صنف واحد، فإن كان ذلك نسيئة فلا خير فيه. قال مالك: ولا يصلح حتى يختلف فيتين اختلافه فإذا أشبه بعض ذلك بعضاً وإن اختلفت أسماؤه فلا يأخذ فيه، اثنتين بواحد إلى أجل وذلك أن يأخذ. أو يأخذ الثوبين من القرقبي بالثوب من الشطوي^(٥). ويقول الشيباني: «الشطوي جنس غير القصبي معروف ذلك، والشطوي غير جنس المروي»^(٦). يذكر مالك الأنسجة القرقبية، فيقول: «وكذلك الكتان رقيقه كله واحد القرقبي والشطوي والتنيسي كله واحد». ونذكر من الأنسجة الكتانية «ولا بأس بالزيقة والمريسية وذلك أنها غلاظ كلها»^(٧).

القسيّة:

ذكر عدد من المصادر منسوجات مصرية منسوب كلّ منها إلى بلد بمصر، منه القسيّة التي ذكرت في عدد من الأشعار، فقال ربيعة بن مقروم:

على الأحداج واستشعرن زَيطاً عراقيّاً وقسّياً مصوناً^(٨)

(١) المخصص ٧٢/٤.

(٢) لسان العرب مادة شطي.

(٣) المدوّنة ٢٣/٩.

(٤) المصدر نفسه ٢٣/٩، الحجج للشيباني ٢٢٩، وانظر عن القسطاطية: المدوّنة ١٤٦/٣.

(٥) الموقفاً ٧٢/٢.

(٦) انظر عن الشطوي المدوّنة ٣٣/١، ٤/٩ طيبة الساسي، حكاية أبي القاسم ٨٦.

(٧) المدوّنة ٩، ٦٠، وعن شطّا انظر ابن حوقل ١٠٣، أحسن التقاسيم ٢٢١.

(٨) لسان العرب مادة قس.

وقال النميري:

فأدلين حتى جاوز الركب دونه حجاباً من القسيّ والحبرات^(١)

وروى عاصم بن كلب الجرمي عن أبي بردة بن أبي موسى «أن علياً قال إن القسيّة ثياب أتتنا من الشام أو من مصر مضلعة؛ فيها حرير فيها أمثال الأترنج، قال أبو بردة فلما رأيت السبينة عرفتها»^(٢). والقسيّة ثياب مضلعة يجاء بها من مصر فيها حرير^(٣). ويقول ابن سيده: «الثياب القسيّة منسوبة إلى قسّ وهو موضع، وهي ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر، وقد نهي عن لبسها». ويضيف ابن منظور: «القسي هي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر نسبت إلى قرية على ساحل البحر قريبة من تنيس يقال لها القس. وقيل أصل القسيّ القزي بالزاي منسوب إلى القز وهو ضرب من الإبريسم، وقيل منسوب إلى القس وهو الصقيع لبياضه»^(٤). وقال ابن منظور: «السبينة ضرب من الثياب تتخذ من مُشافة الكتان أغلظ ما يكون. منسوبة إلى موضع بناحية المغرب يُقال له سَبِين»^(٥). ويدل هذا على أن السبينة هي القسيّة وهي مضلعة فيها أمثال الأترج.

ذكر مالك في كلامه عن السلف: «ولا بأس أن يشتري الثوب من الكتان أو الشطوي أو القصبي بالأثواب من الأتربي أو القسيّ أو الزيقة»^(٦). وذكر أن القسيّ بمنزلة الزيقة وما أشبهها من الثياب، وأشار إلى أنها تختلف عن القسطاطي الرقيق «مثل المعافري وما أشبهها فإن ذلك يضم إلى رقيق الكتان إلى الشطوي والقصبي والقرقي»^(٧).

ذكر ابن قتيبة أن النبي نهى عن القسيّ وهي ثياب مضلعة بحرير كما نهى عن المياثر الحمر وهي مركب كانت للعجم من ديباج^(٨).

(١) الأغاني ٢٤/٦.

(٢) ابن حنبل ١٣٤/١، النهاية في غريب الحديث ١٤٦/٣.

(٣) ابن حنبل ١٢٤/١، ١٥٤.

(٤) لسان العرب مادة قس.

(٥) النهاية في غريب الحديث ١٤٦/٣، لسان العرب: مادة سين.

(٦) المدونة ٧٣/٩.

(٧) الموطأ ٧٢/٢.

(٨) الأشربة لابن قتيبة ١١١.

القرقية والسبينة:

ذكر مالك المنسوجات القرقية، فقال: «وكذلك الكتان رقيقه كله واحد القرقبي والشطوي والتنيسي كله واحد». وذكر أيضاً لم يكن يجيز أن يسلم الشطوي في القصب^(١).

ذكرنا من قبل حديث عاصم بن كليب الجرمي عن أبي بردة بن أبي موسى عن علي أنه قال «نهاني رسول الله عن الميثرة وعن القسية، قلنا له يا أمير المؤمنين وأي شيء الميثرة، قال شيء كان يضعه النساء لبعلتهن على رجالهن، قال قلنا وما القسية، قال ثياب تأتينا من قبل الشام مصلعة فيها أمثال الأترج، قال أبو بردة فلما رأيت السبينة عرفت، قال أبو بردة فلما رأيت السبينة عرفت أنها هي»^(٢).

المنسوجات المصرية في مصادر القرنين الثالث والرابع:

ذكر اليعقوبي عدداً من مراكز النسيج في مصر وما ينتجه كل مركز، فقال:

القيوم: بها يعمل الخيش.

القس: بها تعمل الثياب القسية والأكسية من الصوف الجيد.

أهناس: بها تعمل الأكسية.

أسيوط: بها يعمل الفرش القرعزي الذي يشبه الأرمني.

بهنسا: بها تعمل الستور البهنسية^(٣).

أخميم: بها يعمل الفرش القطوع والجلود الأخميمية^(٤).

شطأ: بها تعمل الثياب الشطوية.

دمياط: بها تعمل الثياب الصفاق الدبيقية والثياب الشروب والقصب^(٥).

(١) الموطأ ٧٢/٢.

(٢) الحجاج للشيباني ٢٢٩.

(٣) البلدان ٣١١، وانظر فضائل مصر ٦٨، المقدسي ٢٠١.

(٤) البلدان ٣٣٣.

(٥) المصدر نفسه ٣٣٧.

أورد ابن ظهيرة في كتابه «الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة» معلومات ذكر أنه نقلها ملخصة عن كتاب ابن زولاق «الموازنة بين مصر وبغداد»، فصل فيها ما اختلفت به مصر دون غيرها من البلاد من مأكول وملبوس ومشروب وغيرها بالقدم، فقال: فمن ذلك القصب الديبقي الملون والأبيض والمقصور والثوب منه يبلغ مائة دينار.

وما يلبسه الرجال والنساء كما قدّمنا من عمل تنيس ودمياط والقلموني من كل نوع وكل نقش، ومنها طراز من الصوف والمطارج والشقاق، فإنها أبهى الصوف والستور والمقاطع والخيم والبراقع وفرش الطنافس والمياسر وغيرها^(١).

ونقل عن ابن زولاق: ومنها ما يعمل بمصر من الأثواب الديبقي والشرب، والقصبي وليس في الدنيا ما يبلغ الثوب الذي يعمل فيه مائتي دينار وأكثر وليس فيه ذهب إلا بمصر. فالإزار للمرأة زفته مرار ذهب، ومبلغ العمامة الديبقي مائة دينار. وأما بغداد فيعمل فيها العتابي ولا يخلو من غش، وأفضله ما يعمل بخراسان وأصفهان، وقطن مرو خير من قطن بغداد، وأكثر ما يبلغ الثوب الزهيري وهو أفضل ما يحمل من بغداد أربعين ديناراً وأقل^(٢).

ذكر ابن بسام في كتابه أنيس الجليس في «أخبار تنيس» أن تنيس «بها من المناسج التي تعمل فيها الثياب خمسة آلاف منسج عدد عمالها عشرة آلاف جنس سوى من يطيب ويرقم من ذكر وأنثى، عدد ما فيها من الأسفاط ألف وخمسمائة سفت، ومن الرزم ألف رزمة، وبرسم خزانة السلطان أربعمئة سفت فيها من الأمتعة ما لا يرى مثله، ثياب مذهبة من هيئة المخيطة منسوجة، والثوب الواحد بألف دينار ومناديل المنيل بخمس مائة دينار، ومراتب: المرتبة بألف دينار، ومطارد ومقاطع ومقارض ومستور مخمل من معين، وسقلاطون ديبقي ومصمت ديبقي، وعتابي وما لا يمكن وصفه»^(٣).

(١) الفضائل الباهرة ١٣١؛ ووردت إشارات إلى أردية مصر، ثمار القلوب ٥٣٤؛ وأنها بيضاء، الذخائر ٢٢٧ الموشى ١٣٦؛ وأشار إلى الأردية المصرية الثمالي، ثمار القلوب ٥٣٤؛ وكانت بيضاء، الذخائر، التحف ٢٧ الموشى ١٣٦، ١٨٤.

(٢) الفضائل الباهرة ١٤٦.

(٣) أنيس الجليس ٢٧؛ وانظر عن تنيس ودمياط، فضائل مصر ٢٧، ابن حوقل ١٠٣.

وذكر ابن زولاق في كلامه عن كور مصر: «فمنها تنيس بها ثياب الكتان الدبقي والمقصور والشقاق والأردية وأصناف المناديل والمناشف الفاخرة للأبدان والأرجل والمخاد والفرش القلموني المَعْلَم والمطرز، ويبلغ الثوب المقصور منها خمس مائة دينار وأقل وأكثر، ولا يُعلم في بلد ثوب يبلغ مائتي دينار فما فوقها وليس فيه ذهب إلا بمصر، وليس في الدنيا ملك جاهلي ولا إسلامي يلبس خواصه وحرمه غير ثياب مصر»^(١).

وذكر الحميري عن تنيس: «وأهلها ذور يسار وثروة وأكثرهم حاكّة وبها تحاك ثياب الشروب التي لا يصنع مثلها في الدنيا، ويصنع فيها لصاحب مصر قمص لا يدخل فيها من الغزل سدى ولحمة غير أوقيتين وينسج من الذهب أربع مائة دينار قد أحكمه صانعه حتى لم يخرج إلى تفصيل ولا خياطة غير الجيب واللبات تبلغ القيمة فيه ألف دينار، وكذلك إلى الآن يصنع لكل ملك يملك مصر هذا الثوب في كل عام، ويسمى هذا القميص البدنة، وليس في جميع الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه وهو ساذج دون ذهب مائة دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط»^(٢).

وذكر ابن زولاق عن دمياط: «وبها يعمل القصب البلخي من كل فن لا تشارك تنيس في شيء من عملها، وبينهما مسافة نصف نهار، ويبلغ الثوب الأبيض وليس فيه ذهب ثلاثمائة دينار، ولا يعمل بدمياط مصبوغ، ولا يعمل بتنيس أبيض»^(٣).

نقل ابن ظهيرة أن مدينة بهنسا وبها طراز الستور الذي يحمل إلى الآفاق من سائر البلاد ولا يخلو منه مجلس ملك ولا أنيس»^(٤).

(١) الفضائل الباهرة ٥٣.

(٢) الروض المغطار ٦٩٤.

(٣) الفضائل الباهرة ٥٤.

(٤) المصدر نفسه ٦٧، وانظر فضائل مصر ٦٨، المقدسي ٢٠١.

ونقل الحميري عن بهنسا: «وبهذه المدينة تعمل الستور البهنسية وتنسج الطرز، والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والثياب المتميزة ويعمل بها التجار الستور الثمينة: طول الستر ثلاثون ذراعاً وأزيد، والفص قيمة الإثنين منها مايتا مثقال وأكثر من ذلك وأقل، ولا يصنع بها شيء من الستور والأكسية وسائر الثياب منها جيلاً بعد جيل، وهذه الأكسية والفرش مشهورة في جميع الأرض»^(١).

ويشغل ابن ظهيرة أن الاسكندرية بها منسج الكتان والغلائل والمعتب الذي يحمل منه إلى الآفاق، ومنسج الساماني والعباداني^(٢)، وبلد الأشمونيين وما يعمل بها من الأزرق والكتان ويحمل إلى سائر الآفاق، ومنها أسبوط وجبل أبي منبده، وبها منسج الأرمني والأبيض والمثلث وسائر أنواع الملبوس لا يخلو منه ملك إسلامي ولا جاهلي^(٣).

القيوم وبها يعمل الطراز الصوف الشفاف والمطارف والمطرز والمعلم الأبيض والملون، ويحمل منه إلى أقصى البلاد ويبلغ الثوب منه عشرين ديناراً وكذلك المطرف^(٤).

الدبيقية:

ومن المنسوجات المصرية التي ذكرتها المصادر المتأخرة هي الدبيقية، وقد ذكرت في المصادر. ويقول ابن منظور: «الدبيقي من دق ثياب مصر معروفة تنسب إلى دبيق»^(٥). ويروي الأصبهاني أن أبا دهمان سرق من محمد بن عبد الملك منديلاً دبيقياً فجعله تحت عمامته^(٦). والدبيقية أكثر ما يتردد ذكرها في القرن الرابع من المنسوجات المصرية^(٧)، وهي ثياب صفيقة^(٨)، كالهواء قيمته

(١) الروض المعطار ٧٧.

(٢) الفصائل الباهرة ٥٨.

(٣) المصدر نفسه ٦٢.

(٤) المصدر نفسه ٦٣، وانظر عن سخا ابن حوقل ٥٨، وعن أسبوط: فضائل مصر ٥٨.

(٥) لسان العرب مادة دبيق.

(٦) الأغاني ٥٠/٢٠.

(٧) انظر لطائف المعارف ٢٢٦، انعاظ الحنقا ١/ ٢١٤، ٢/ ٣٠/ ١٥٩.

(٨) الموشى ٢٢٥.

سبعون ديناراً^(١)، وقد تكون من الحرير^(٢)، وهي بيضاء^(٣)، أو بيضاء مذقبة^(٤)، أو معلّمة^(٥)، أو مدبرة بسواد^(٦)، أو مذقبة مصققة كالطوق^(٧). ويصنع من الديبقي السراويل^(٨)، والدراعات^(٩)، والقباء^(١٠)، والمناديل^(١١)، والخيام^(١٢)، والمظلة^(١٣)، والسحلل^(١٤)، والخلع^(١٥)، والشباب^(١٦). ويذكر المقريزي أن السحاكس بأمر الله أمر أن لا تلبس المرأة سراويل قطع من ثماني شفق ديبقي^(١٧).

وفي العراق ذكرت حكاية أبي القاسم الشرب الديبقي^(١٨). وذكر الصابي المنديل الديبقي^(١٩)، وأن حلة المناديل دراعة ديبقية^(٢٠). وخلعت لابن بقية دراعة ديبقية^(٢١)، وحمل المعتضد هدايا إلى الطائع في عشرة أكياس ديبقية^(٢٢).

-
- (١) الذخائر والتحف ٢٥٢٩.
 - (٢) اتعاظ الحنفا ٢/ ١٥٠، ١٥٩.
 - (٣) المصدر نفسه ٢/ ١٥٠، ١٦٠.
 - (٤) المصدر نفسه ٢/ ١٤٤، ١٥٠، الذخائر والتحف ٧٠، حكاية أبي القاسم ٣٥.
 - (٥) اتعاظ الحنفا ٢/ ١٤٤.
 - (٦) المصدر نفسه ٢/ ١٣٧.
 - (٧) المصدر نفسه ٢/ ١٣٣.
 - (٨) رسوم دار الخلافة ٢٨، اتعاظ الحنفا ٢/ ٣٠.
 - (٩) رسوم دار الخلافة ٩٣، ٩٦، ٩٨.
 - (١٠) المصدر نفسه ٩٣.
 - (١١) المصدر نفسه ٦٨، ٩٥، نشرار المحاضرة ١٤/ ٦.
 - (١٢) اتعاظ الحنفا ٢/ ٢٨٧.
 - (١٣) المصدر نفسه ٢/ ١٥٩.
 - (١٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٩.
 - (١٥) المصدر نفسه ٢/ ١٥٠.
 - (١٦) رسوم دار الخلافة ٦٨، اتعاظ الحنفا ٢/ ١٣٧، ١٥٩.
 - (١٧) اتعاظ الحنفا ١/ ٢١٤، وانظر عن الديبقي: رسوم دار الخلافة ٦٨، ٩٣، ٩٦، نشرار المحاضرة ٣/ ١٢٠، الذخائر والتحف ٧٥، ٨٠، ١٠٥، ١٦٢، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٧٣، ٣٩١.
 - (١٨) حكاية أبي القاسم ٨٦.
 - (١٩) رسوم دار الخلافة ٦٨.
 - (٢٠) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
 - (٢١) المصدر نفسه، ٩٨.
 - (٢٢) المصدر نفسه، ١٠٠.

مراكز نسيج أخرى:

ينقل ابن ظهيرة أن مدينة بهنسا وبها طراز الستور الذي يحمل إلى الآفاق من سائر البلاد ولا يخلو منه مجلس ملك ولا أنيس^(١).

أخميس وبها يعمل الطراز الصوف الشفاف والطارف والمطرز والمعلم الأبيض والملون ويحمل منه إلى أقصى البلاد ويبلغ الثوب منه عشرين ديناراً وكذلك المطرف^(٢).

أنسجة الشام:

ترد في المصادر الحجازية بصورة خاصة أخبار الأنسجة الشامية، فيروي ابن سعد أنه «لما ارتحل رسول الله من الخرار في هجرته إلى المدينة فكان الغد لقيه طلحة بن عبيد الله جاثياً من الشام في غير فكسا رسول الله (ص) وأيا بكر من ثياب الشام»^(٣).

ويروي أيضاً عن هشام بن عروة عن أبيه أن الثياب التي أعطاهما إياها «ثياب بيض من ثياب الشام فلبسها فدخل المدينة في ثياب بيض»^(٤). ذكرت في النصوص من الشام جباب، وخميصة، والبرانس، والريط، فيقول مالك: «أهدى أبو الجهم بن حذيفة لرسول الله خميصة شامية لها علم»^(٥). ويروي البخاري عن يحيى عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن مسلم عن مسروق، عن المغيرة بن شعبه، قال: «كنت مع النبي... وعليه جبة شامية فذهب ليخرج يده من كمها فضاقت فأخرج يده أسفلها»^(٦). ويروي حفص بن غياث عن الحسن بن عبيد الله: «رأيت عبد الرحمن بن يزيد يسجد في برنس شامي»^(٧). ولهذا النص

(١) الفضائل الباهرة ٦٧.

(٢) المصدر نفسه ٦٣.

(٣) ابن سعد ١-٣ / ١٥٣.

(٤) المصدر نفسه ١-٣ / ١٢٢.

(٥) الموطأ ٩٠.

(٦) البخاري: الصلاة ٦.

(٧) ابن سعد ٦ / ٨٣.

أهميته إذ يدل على أن البرانس الشامية كان لها سوق في الكوفة، وكان على عبد الرحمن بن عوف جبة شامية^(١) وورد ربط الشام^(٢).

ويروي حفص بن حيوة عن معاذ أنه قال شر النساء.. من إذا تحلّين الذهب ولبسن ربط الشام وعصب اليمن فاتبعن الغني وكلفن الفقير ما لا يجد^(٣). وهذا النص يدل على غلاء أسعار ربط الشام.

إن الأنسجة المذكورة وُصفت بأنها شامية دون تحديد مكانها، غير أن بعض الأنسجة حُدّدت أنواعها تحديداً أوفر.

الغوطية:

يروي ابن الأثير «من حديث سهيل بن عمرو حين استهزاء النبي (ص) ماء زمزم فاستعانت امرأته بأثيلة ففرّتا مزداتين وجعلتاها في كرّين غوطيين قال ابن الأثير: الكرّ جنس من الثياب الغلاظ^(٤)».

القسطلانية والمرنبانية والمقدية:

ويذكر ابن سيده أن القسطلانية قطف منسوبة إلى عامل أو بلد والواحد قسطلانية، المرنبانية أكسية تصنع بالشام.. صاحب العين كساء مرنباني ومؤرنب، فالمرنباني لونه لون الأرنب، والمؤرنب ما قد خلط غزله وبر الأرنب.

ويقال هو كالمرنباني «منبجاني منسوب إلى منبج»^(٥). ويقال أيضاً المقدية ضرب من الثياب لا أدري لمن نسبت^(٦). ويقول ابن منظور: «والمقدية خفيفة الدال قرية بالشام من عمل الأردن»^(٧).

(١) ابن سعد ٩١/١٠٣.

(٢) عيون الأخبار ١١٤/٤، ثمار القلوب ٥٤٤.

(٣) عيون الأخبار ١١٤/٤، وانظر عن ربط الشام: ثمار القلوب ٥٣٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث ١٥/٣، لسان العرب مادة: كرر.

(٥) المخصص ٨٠/٤.

(٦) المصدر نفسه ٧٣/٤.

(٧) لسان العرب مادة مقد.

مراكز النسيج في الأهواز:

لم تذكر المعاجم العربية أو كتب اللغة منسوجات إقليم الأهواز ومدنه. غير أن كتب التاريخ تذكر أقدم صناعات النسيج التي نقلها إلى هذا الإقليم أسرى الروم الذين أوطنهم سابور الثاني فيها^(١). كما تذكر كتب البلدان وبعض كتب الآداب ما اشتهرت به مدن الإقليم من منسوجات وأبرزها الخزّ والقزّ والديباج.

ففي السوس يصنع الخزّ^(٢)، ومنها يحمل إلى الآفاق^(٣)، كما يصنع فيها الفرش^(٤)، والمطارف^(٥)، والعمائم^(٦)، والثياب^(٧)؛ ويصنع فيها أيضاً البرّ^(٨).

وفي تستر يصنع الديباج^(٩)، ومنها يحمل إلى جميع الآفاق، وكانت تصنع فيها كسوة الكعبة من العهود العباسية الأولى، وفيها لكل من ملك العراق طراز وصاحب يشتغل له ما يشتهي^(١٠). وفيها «أطراز الديباج الفاخرة توصف مع ديباج الروم»^(١١).

وتصنع فيها أيضاً المقاعد، وأنماط وثياب مروية^(١٢)، ويعمل فيها القطن^(١٣) وفي الأهواز يصنع ديباج القزّ^(١٤)، ومنوط القزّ^(١٥)، ويصنع الفرش في

(١) الطبري ٩٨/١.

(٢) حكاية أبي القاسم ٣٥؛ المقدسي ٤١٦؛ لطائف المعارف ٢٢٧، ٢٧٤؛ رسوم دار الخلافة ٩٣.

(٣) ابن حوقل ٢٥٢.

(٤) حكاية أبي القاسم ٣٥.

(٥) أحسن التقاسيم، الموشى ١٧٩، ١٨٦.

(٦) الموشى ١٣٦.

(٧) الذخائر ٦٨.

(٨) أحسن التقاسيم ٤١٦؛ وذكر العرجي في شعره طراز السوس؛ الأغاني ٩٤/١.

(٩) مروج الذهب ١٨٦/٣. أحسن التقاسيم ٤٠٩، ٤١٦.

(١٠) ابن حوقل ٢٥٤.

(١١) لطائف المعارف ١٧٤، ٢٢٥.

(١٢) أحسن التقاسيم ٤١٦.

(١٣) المصدر نفسه ٤٠٩.

(١٤) التبصر بالتجارة ٣٤٦٥.

(١٥) أحسن التقاسيم ٤١٦.

سوسنجر^(١)، ومن نهر ابان يحمل إلى أرمينية فيغزل وينسج^(٢).
ومن بصنا تصنع الستور^(٣)، والأنماط^(٤)، وكذلك في قرقوب^(٥) وفي نهر
تيري تصنع الأزر^(٦)، والثياب^(٧)، وبز ومناديل ومقانع قز^(٨). واشتهرت عبادان
بالحصر السامانية العبادانية.
أما إقليم فارس فكان يصنع الكتان الذي يتسج عندهم أو يستورد من
مصر^(٩)، وأهم مراكز صناعته في كازون^(١٠)، وسيراف^(١١)، وسيتيز^(١٢)،
وجنابة^(١٣).
ويصنع الديباج والنخز في شيراز^(١٤)، والقز في فسا^(١٥)، والإبريسم في
خيص^(١٦) وسابور^(١٧)، والقطن في يزد وأبرقويه^(١٨).
وتنتج الثياب في دارايجر^(١٩)، والبسط في جهرم، والبسط والمستور
والمقاعد في غندجان^(٢٠)، والأكسية في أرجاء من الإقليم^(٢١).

(١) الذخائر ٢٧، حكاية أبي القاسم ٣٥.

(٢) البلدان لليقوي ٣٢٢.

(٣) أحسن التقاسيم ٤١٦.

(٤) المصدر نفسه ٤٠٨.

(٥) المصدر نفسه ٤١٦، الذخائر والتحف ٣٧٣.

(٦) أحسن التقاسيم.

(٧) ابن حوقل ٢٥٤.

(٨) أحسن التقاسيم ٤١٦.

(٩) المصدر نفسه ٤٤٢.

(١٠) المصدر نفسه ٤٣٤.

(١١) المصدر نفسه ٤٤٢.

(١٢) ابن حوقل ٤٣٤.

(١٣) الموشى ٧٨.

(١٤) أحسن التقاسيم ٤٤٢.

(١٥) ابن حوقل ٢٦٤.

(١٦) أحسن التقاسيم ٤٦٣.

(١٧) ابن حوقل ٢٦٤.

(١٨) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

(١٩) أحسن التقاسيم ٤٤٢.

(٢٠) ابن حوقل ٢٦٤.

(٢١) الموشى ١٧٩.

وكانت بَمَ أهل صناعة وحذاقة ومتاجر مقصودة، ثيابها في الآفاق معروفة..
عامتهم حاكّة .. أكثر ما يعمل من الثياب بها^(١).

مراكز النسيج في المناطق الشمالية

المنسوجات الكردية والرومية:

ذكرت المسوح الكردية دون تحديد مكان نسجها، فيروي سليمان بن حرب عن يزيد بن حازم، قال رأيت على علي بن الحسن طيلساناً كردياً غليظاً^(٢).
ويروي عبد الله بن جعفر قال أبو المليح بيع طيلسان ميمون بن مهران حين مات في ميراثه بمائة درهم، قال أبو المليح كانت الطيالة كردية يلبس الرجل الطيلسان ثلاثين سنة ثم يقلبه أيضاً^(٣). وقالت زوجة روح بن زباع تهجوه:

بكى الخز من رُوح وأنكر جلده وعجت عجيجاً من جذام المطارف
وقال العبا قد كنت حيناً لباسكم وأكسية كردية وقطائف^(٤)

ويقول السرخسي: «لا بأس بقطيعة يمانية بقطيعتين كرديتين إلى أجل»^(٥).
وذكر محمد بن الحسن الشيباني الطيالة الكردية والخوارزمية^(٦).

وذكر الصوف الأذري وهو منسوب إلى أذربيجان. وذكر صاحب حكاية أبي القاسم المسوح الكردية^(٧).

ورد ذكر زلالي قاليفلا^(٨)، كما ذكر الديباج الرومي، والقطف الرومية^(٩) والفرجية الرومية^(١٠)، وهي مما يستورد من بلاد الروم.

(١) أحسن التقاسيم ٤٧٠.

(٢) ابن سعد ١٦١/٥.

(٣) المصدر نفسه ١٢١/٢-٤.

(٤) الأغاني ١٣٣/٨.

(٥) الأصل ١٢٠/١ [٨]، المبسوط ٢٧/١٣.

(٦) الأصل ٢٠/١ [٨].

(٧) حكاية أبي القاسم ٣٧.

(٨) لطائف المعارف ١٨٣؛ حكاية أبي القاسم ٣٧.

(٩) انعاظ الحنفا ٢٧٥/١، ٢١٤، ٢٨٣؛ ثمار القلوب ٥٣٥/٤٥؛ الذخائر والتحف ٤٣؛ البلدان

لاين الفقيه ١٩١؛ لطائف المعارف ٢٤/٢٤٧.

(١٠) حكاية أبي القاسم ٣٥.

المنسوجات الأرمنية:

ترد ذكر المنسوجات الأرمنية، فيروي ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز تناول وسادة أرمنية فطرحها^(١) بينه وبين الأرض^(٢).

وكان فرش قاعة استقبال الخليفة في بغداد في القرن الرابع الهجري من الفرش الأرمني^(٣).

ويقول ابن سيده أن الدركل ثياب شبه الأرمنية، والسراجح أن هذه المنسوجات كانت تصنع من الصوف الذي كان لما تنتجه أذربيجان منه ميزة خاصة، فيروي ابن منظور حديث أبي بكر: «لئلمن النوم على الصوف الأذري كما يآلم أحدكم على النوم على حشك السعدان»^(٤). والأذري نسبة إلى أذربيجان. وذكر البساط الأرمني^(٥)، والأنخاخ الأرمنية^(٦).

يذكر الجاحظ أن من منتجات أرمنية وأذربيجان اللبود والبراذع والفرش والبسط الرقاق والتكك والصوف^(٧). ويذكر المقدسي: «يحمل من بردعة الإبرسيم الكثير، ومن باب الأبواب ثياب الكتان والرقيق والزعفران والبغال الجياد، ومن بردعة الستور». ويذكر أيضاً: «ولا نظير لشككهم ومحفورياتهم وقرمزهم وأنماطهم وصبغهم»^(٨). وذكر اليعقوبي أن نهر أبان في الأهواز به يصنع الفرش الذي يعمل منه الأرمني ثم يحمل إلى أرمنية فيغزل ويتسج^(٩). وذكر الثعالبي أن صوف أرمنية بعد صوف تكريت ومصر^(١٠). وذكر المقرئ الحرير الأرمني^(١١). وذكر

(١) حكاية أبي القاسم ٨٦.

(٢) ابن سعد ٢٥١/٥.

(٣) رسوم دار الخلافة: ٨.

(٤) محاسن أصفهان للمافروني ٨٢.

(٥) لطائف المعارف ١٨٣.

(٦) الذخائر والتحف ١٦٢.

(٧) التيسر بالتجارة ٣٤٦.

(٨) أحسن التقاسيم ٣٨٠.

(٩) البلدان ٣٢٢.

(١٠) لطائف المعارف ٢٢٣، ثمار القلوب ٤٣٣.

(١١) أنماط الحنفا ٣٠/٢.

الأثاث الأرميني منذ زمن الأمويين، فكانت لعمر بن عبد العزيز وسادة أرمينية^(١)، وكان للموليد بن يزيد بيت مفروش بالأرميني أرضه وحيطانه^(٢).

وذكر الرشيد الفرس الأرميني في مواضع كثيرة من كتابه^(٣) (١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٣، ٢٤٧، ٣١١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٧٣، ٣٩٦).

وذكرت التسكك الأرمينية المنقوشة^(٤)، والمخاد^(٥)، والمطارح^(٦)، والنخاخ^(٧)، والفرش^(٨)، والبساط^(٩)، والزريبة^(١٠)، والفرش الأرميني^(١١). وذكر المقرئ حرير أرمينية^(١٢). ووردت إشارة إلى العمام الصقلية^(١٣)؛ كما وردت إشارة إلى ما ينسب إلى المغرب من الزلالي^(١٤)، والنخز الملين^(١٥)، والأقطاع المذقبة^(١٦)؛ وإشارة إلى أندلسية وقرطبية^(١٧). كما وردت إشارة إلى الطراحات القبرصية^(١٨).

- (١) ابن سعد ٢٥١/٥.
- (٢) الأغاني ٦٢/٦.
- (٣) الموشى ١٧٩، ثمار القلوب ٥٣٤.
- (٤) تكملة تاريخ الطبري لعريب، وهو في الأصل الأوراق للصولي ٦٠.
- (٥) حكاية أبي القاسم ٣٥.
- (٦) الذخائر والتحف ١٦٢.
- (٧) عريب ٢٥.
- (٨) لطائف المعارف ١٨٣، الذخائر ٤٥.
- (٩) الأغاني ١٨١/٦.
- (١٠) انظر رسوم دار الخلافة ٨٣، ٩٠، الذخائر ٢٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣.
- (١١) أتماظ المحققا.
- (١٢) الذخائر والتحف ٢٨.
- (١٣) حكاية أبي القاسم ٣١.
- (١٤) الذخائر والتحف ٦٨.
- (١٥) حكاية أبي القاسم ٣٥.
- (١٦) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
- (١٧) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
- (١٨) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

الفصل الخامس

منسوجات بلدان الهضبة الإيرانية

ذكر ابن حوقل أن أصبهان يرتفع منها العتابي والوشي، وسائر ثياب الإبريسم والقطن، وما يجهز بذلك إلى العراق وفارس وسائر الجبال وخراسان وخوزستان، وليس كعتابي أصبهان من الجودة والجمهورية^(١).

وذكر ابن رسته أن أصبهان تعمل بها البسط التي لا ترتفع عن فرشها، واستعملها الرؤساء والأجلة ولا تستكثر، مشهور في الآفاق حسنها وجودة صنعها ويقائنها، وإن استعملت مع الأرمني الفاخر من الفرش حسنت معه، وإن بسطت وحدها، وكان يعمل بها الستور المرتفعة التي تفوق الموصلية والواسطية حُسناً وجودة وإتقاناً^(٢).

وذكر محمد بن الحسن الشيباني القطائف الأصبهانية^(٣). وذكر كذلك صوف همدان^(٤). وذكر المقدسي: يصنع فيها وفي نواحيها البرز^(٥).

وذكرت الثياب الرازية في كتب التراجم والفقهاء. فقد روي أن ابن عبيد وعبد الله بن نمير بسند، عن عبد الله بن أبي الهذيل، قال: رأيت علي بن أبي حمزة رازياً إذ إن كفه بلغ الظفر فإذا أرخاه قال بلغ نصف ساعده، وقال عبد الله بن

(١) ابن حوقل ٣٦٣.

(٢) الأعلام النقية ١٥٣.

(٣) الأصل ١٢١/١، المبسوط للبرقي ٢٨/١٣.

(٤) الأصل ١٢٠/١.

(٥) أحسن التقاسيم ٩٥.

نمير بلغ نصف ذراع^(١). وقال ذو الرمة: «وليل كأثناء الرويزي جُبته»، ولعله أراد بالرويزي الرازي^(٢).

وذكر الشافعي الثوب الرازي^(٣). ويقول الطبري أن «السابرية من سابور، والطيالسة من الري، والحبرية من اليمن»^(٤).

وقال ابن الفقيه إن الري «لهم الثياب الرازية التي لا يعمل في سائر الدنيا إلا في بلدهم، ولقد رأيت ثوباً منها تكسیره نحو مائتي شهر، وقد بيع بعشرة آلاف درهم»^(٥). وقال المقدسي: «يحمل من الري البرود والمنيريات والقطن»^(٦). وقال ابن حوقل: «يرتفع من الري بالجلب منها إلى غيرها من البلاد والقطن المحمول إلى العراق وأذربيجان وغيرهما والثياب المنيرة والأبراد والأكسية»^(٧). وذكر الثعالبي: «الثياب المنيرة من الري»^(٨) وأن «برود الرس موصوفة ببرود اليمن، يقال لها المعدنيات تشبهاً ببرود عدن واليمن»^(٩).

أما البلدان الواقعة في الأطراف الجنوبية من بحر قزوين، فكانت قزوين تنتج الجوارب والأكسية^(١٠)، وتنتج قومس الطيالسة^(١١)، والأكسية الصوفية القومسية الرفيعة^(١٢)، كما تنتج المناديل البيض من القطن المعلمة وثياباً رقاقاً من صوف^(١٣).

(١) ابن سعد ٣-١٧/١، حلية الأولياء ٣/٣٦١.

(٢) لسان العرب مادة روز.

(٣) الأم ٣/٩٣، ١٠٨.

(٤) تفسير الطبري ٦٢/٢٤.

(٥) البلدان ١٩٢ (مخطوطة مشهد).

(٦) أحسن التقاسيم ٢٩٥.

(٧) ابن حوقل ٣٨٠.

(٨) لطائف المعارف ٢٨٤.

(٩) المصنف نفسه ٨، ثمار القلوب ٤٢٨، نهاية الدرب للتوحيدي ٤٦٢/١.

(١٠) أحسن التقاسيم ٣٩٧، ثمار القلوب ٥٣٤.

(١١) أحسن التقاسيم ٣٦٧، المرشئ ١٧٩.

(١٢) البلدان للياقوت ٢٣٦.

(١٣) أحسن التقاسيم ٣٦٧.

وذكر الثعالبى أكسية الدامغان^(١). والثياب السود من جرجان^(٢)، و«المقانع القزيات تحمل إلى اليمن»، وديباج، وديباج دون^(٣)، وثياب حرير^(٤)، وينتجون الإبريسم الفاخر، وأكبر مراكزه بكراباد^(٥) ولهم الخشخاشية^(٦)، وهي تفوق في الرقة والنعومة حفيات نيسابور^(٧).

واشتهرت طبرستان بالإبريسم، ويحمل منه إلى جميع الآفاق وليس بسائر الأرض من ملك الإسلام والكفر ناحية تقارب طبرستان في كثرة الإبريسم^(٨)، غير أنه لإبريسم أقل جودة مما في جرجان^(٩). ويرتفع منها الأكسية الصوفية الشمينة والبرنكانات، وهي تفوق البلاد^(١٠)، وينتجون أيضاً مناديل قطن وشرابييات ودساتك ساذجة مذهبة، وفي قطنهم حضرة، وهو بضامي قطن صعدة وصنعاء. وبطبرستان مزارع كتان وقنب^(١١)، ويصنع فيها القز، وأصل قصبه طبرستان بها ثياب عجيبة، وحكاة حذاق^(١٢). والديلم إقليم القز والصوف، صنّاعه حذق وبزّه معروف بمصر والعراق^(١٣). وذكر لطبرستان الفرش^(١٤)، فمن مخلفات الأمين ألف بساط طبري وألف وسادة طبرية وألف مخدة طبرية^(١٥).

القوهية:

ذكرت خاصة في الحجاز، الأنسجة القوهية. وأغلب النصوص التي وردت

- (١) شار القلوب ٥٣٤.
- (٢) لطائف المعارف.
- (٣) أحسن التقاسيم ٣٦٧.
- (٤) البلدان لليعقوبي ٢٧٧.
- (٥) ابن حوقل ٢/٢٨٢.
- (٦) لطائف المعارف ٢٢٥.
- (٧) المصدر نفسه ١٩.
- (٨) ابن حوقل ٢/٢٨١.
- (٩) المصدر نفسه ٢/٢٨٢.
- (١٠) ابن الفقيه ١٥٣ب (مخطوطة مشهدة)، الذخائر والتحف للرشدي ٦٦.
- (١١) أحسن التقاسيم ٣٥٤.
- (١٢) الأعلام النفيسة ١٥٠.
- (١٣) أحسن التقاسيم ٣٥٣.
- (١٤) الذخائر ٢٧، ١٥٩ عريب ٢٥.
- (١٥) مطالع البدور ١٦١، عن الرشدي.

فيها تذكر أنها قُمَص: فيروي شريك بن عبدالله عن شيخ من الحاطبيين، عن أبيه: «رأيت على عثمان (ابن عفان) قميصاً قوهِياً وهو على المنبر»^(١). ويروي أحمد بن إبراهيم الدورقي عن وهب بن جرير بن حازم، عن أبيه، عن محمد بن الزبير الحنظلي، أنه عند بيعة يزيد «جاء الحسين أولهم وعليه قميص قوهِى وإزار مصبوغ بزعفران»^(٢).

ويروي محمد بن يزيد عن حماد بن إسحق، عن أبيه، عن عثمان بن حفص الثقفي، عن أبيه، قال: «رأيت النصيب بالطائف فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قوهِى ورداء حبرة»^(٣).

ويقول النصيب:

سَوَدْتُ فَلَمْ أَمْلِكْ سَوَادِي وَتَحْتَهُ قَمِيصٌ مِنَ الْقَوْهِىِّ بَيْضٌ بِسَائِقِهِ^(٤)
ويروي محمد بن سلام عن أبيه: «أقبل طويس وعليه قميص قوهِى وحبرة قد ارتدى به»^(٥).

ويروي سعد بن عمران أن عمر بن أبي ربيعة أرسل إلى اليمن .. وكتبه في قوهِية .. وكتب إليه:

وَقَرطَاسُهُ قَوْهِيةٌ وَرِبَاطُهُ بِعَقْدٍ مِنَ الْيَاقُوتِ صَافٍ وَجَوْهَرٍ^(٦)

ويروي محمد بن مسلم عن جرير: «قال ابن سريج دهاني فتية من بني مروان قدخلت عليهم وأنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية، وهم في القوهِى والوشى يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية»^(٧).

(١) ابن سعد ٣-١/٣٩، أنساب الأشراف ٨/٥.

(٢) أنساب الأشراف ٤-٢/٢٢.

(٣) الأغاني ١/١٤١.

(٤) لسان العرب مادة قوهِ.

(٥) الأغاني ١٣/١٦٢، ١/١٣٠.

(٦) المصدر نفسه ١/٩١.

(٧) المصدر نفسه ١/١٢٠.

ويذكر عبد الرحمن بن مقرون: «فخرجت الزرقاء في إزارين قوهيين متوردين»^(١). وذكر الوشاء: استعملت من القوهية المبطننة^(٢) والأقية. فيروي الطبري: «فأتوا ابن ضبارة بغلمان عليهم أقبية قوهية مصبغة ألواناً فأقامهم للناس، وهم أكثر من مائة غلام لينظروا إليه»^(٣).

تميزت القوهية بالرقعة، فقد غنت جارية للمتوكل شعراً لخديجة بنت المأمون جاء فيه:

لو ألبس القوهي من رقة أوجعه القوهي أو خدشاً^(٤)

يقول ابن منظور: «القوهي ضرب من الثياب بيض فارسي. (الأزهري) الثياب القوهية معروفة منسوبة إلى قوهستان. قال ذو الرمة: من القهز والقوهي بيض المقانع»^(٥). وقد ذكر مالك الأنسجة القوهية^(٦).

يقول الاصطخري أن قوهستان «فيها شيء كثير من الكرايس يحمل إلى الآفاق ومسوح ونخاخ وليس بها أمتعة مرفعة»^(٧). ويقول المقدسي: «يرتفع من قوهستان ثياب تشبه النيسابورية»^(٨) بيض. ويقول الوشاء: «لا يحسن لبس البافيات من القوهي»^(٩).

يتبين من هذه النصوص:

١ - أن الأنسجة القوهية هي في الغالب قمصان، وقد تكون أردية أو أقية.

(١) الأغاني ١٣/١٢٥.

(٢) الموشى ١٣٩، ٢٤٥، ٢٧٨.

(٣) الطبري ٣/١٩٨٠.

(٤) الأغاني ١٤/١١٠.

(٥) لسان العرب، مادة قوة.

(٦) الموطأ ٢/٧٢.

(٧) مالك ٢٧.

(٨) أحسن التقاسيم ٣٢٤.

(٩) الموشى ١٧٩.

٢ - أنها انتشرت في الحجاز في زمن عثمان فما بعده، وأكثر النصوص عنها في الحجاز.

٣ - كان يلبسها الخلفاء والشعراء، فهي من لباس الطبقة الموسرة.

٤ - أن لونها أبيض، ولكنها قد تكون موزدة أو مصبغة ألواناً.

٥ - أنها رقيقة لينة.

٦ - تذكرها كتب الفقه قليلاً.

يلذكر الثعالبي أن سجستان تنتج دبايخ الفرش^(١).

السابري:

تردد في المصادر ذكر «السابري»، فقال حميد بن ثور:

فجاءت يمثل السابري أتعجبوا^(٢)

ويقول جميل بثينة:

لها مقلتا ريم وجبيل جداية وكشج كطبي السابرية أهيف^(٣)

ويروي الحسن بن يزيد الطحان عن إسحق بن منصور، عن عبد السلام، عن رجل، عن أبيه حوشب، عن ميمون، قال: اشتريت من ابن سيرين سابرياً^(٤). ويروي عارم بن الفضل عن حماد بن زيد، عن أيوب، أنه قال: «رأيت على القاسم بن محمد قلنسوة من خز خضراء ورداء سابرياً له علم ملون مصبوغ بشيء من زعفران»^(٥).

ويقول ذو الرمة:

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق^(٦)

(١) لطائف المعارف ٢٠٥.

(٢) ديوان حميد بن ثور ٧٥.

(٣) الأغانى ٨٦/٧.

(٤) تفسير الطبري ٢١/٥.

(٥) ابن سعد ١٤٠/٥.

(٦) الكامل للمبرد ٤٤٨؛ لأن العرب مادة سبري.

ويقول ابن دريد: «السابريّ كل ثوب رقيق، وليس كما يظن الناس أنه منسوب».

ويقول القطامي:

كأن سبيبة من سابريّ أعارئها رداءً أو قناعاً
ويقول في شرحه: «سبيبة شقة كتان رقيقة.. قال السائب من الكتان خاصة ولا يكون من القطن يعني البقرة، يقول كأن على ظهرها سبيبة بيضاء من الكتان»^(١).

ويقول الثعالبي عند كلامه عن الثوب الرقيق: «سابري إذا كان لابسه بين المكتسي والعريان»^(٢).

ويقول ابن منظور «والسابري من الثياب الرقاق، وكل رقيق سابري، وعرض سابري رقيق ليس بمحقق. وفي المثل عرض سابري بقوله من يعرض عليه الشيء عرضاً لا يبالغ فيه، لأن السابري من أجود الثياب يرغب فيه بأدنى عرض. قال الشاعر:

بمنزلة لا يشتكي السلّ أهلها وعيش كمثل السابريّ رقيق
وفي حديث حبيب بن أبي ثابت: رأيت على ابن عباس ثوباً سابرياً استشف ما وراءه. كل رقيق عندهم سابريّ والأصل فيها الدروع السابرية، منسوبة إلى سابور»^(٣).

ويروي مالك عن ابن وهب، عن يونس بن يزيد، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن: «يحرم.. السابرية بالسابريتين.. والحلال منه كالربطة السابرية بالربطتين من نسج الولايد عاجل أو آجل، فهذا الذي يختلف فيه الأسواق والحاجة إليه، وعى أن يور مرة السابري وينفق نسج الولايد»^(٤).

(١) ديوان القطامي ٤٥.

(٢) فقه اللغة ٢٤١.

(٣) لسان العرب مادة سبر.

(٤) المدونة ٢٤/٩.

ويذكر الشيباني عن أبي حنيفة: «الرجل يقدم أصنافاً من البرّ فيحضره السّوام ويقرأ عليه برنامجاً، ويقول في كل عدل كذا وكذا ملحفة بصرية، وكذا وكذا ربطة سابرية ذرعها كذا وكذا، ويسمّي أصناف البرّ لهم بأجناسه»^(١). ويذكر السرخسي المسح السابري^(٢)، ويقول: «لا بأس بمسح موصلّي بمسحّين سابريين إلى أجل»^(٣).

يقول ابن حوقل إن «سابور المشهورة بالثياب السابري»^(٤). ويقول الجاحظ: «من فارس الثياب الكتان التوزي والسابري»^(٥). والسابري من البرّ^(٦)، والسابري هو الرقيق الناعم.

منسوجات خراسان وما وراء النهر

اشتهرت خراسان بإنتاج المنسوجات، وخاصة القطنية، فيذكر الجاحظ: «قد علم الناس أن القطن بخراسان، والكتان بمصر، ثم للناس من ذلك تفاريق في البلدان ما لا يبلغ بعض بلاد هذين الموضعين»^(٧). ويذكر أيضاً اللبود الخراسانية في آخر قائمة أصناف اللبود الجيلة^(٨). ويذكر الرشيدى ديباج خراسان^(٩).

وذكر الجهشيارى في تقدير ما تجبّيه الدولة في أول خلافة الرشيد، أقاليم كانت عليها أن ترسل من جباياتها المنسوجات، فكانت خراسان ترسل من المتاع سبعة وعشرين ألف ثوب، وجرجان ألفي من الإبريسم، وقومس سبعين كساء، وطبرستان والرويان وديباون مائتي كساء وخمسمائة ثوب وثلاثمائة

(١) الحجج للشيباني ٢٣٦.

(٢) المبسوط ٢٨/١٣، وانظر الأصل للشيباني ١/٥ [١٦] ١٨ [٥٦]، المدونة ٢٤/٩، الموقأ ٧٨/٢.

(٣) المبسوط ٢٨/٨.

(٤) ابن حوقل ٢٦٤/٢.

(٥) التبصر بالتجارة ٣٤٦.

(٦) الحجج ٢٣٦.

(٧) ثمار القلوب ٥٣٠.

(٨) التبصر بالتجارة ١٨.

(٩) الذخائر والصف للرشيدى ٢٧، ٣٠، ٧٥، ٢٣٧؛ المشي ١٧٨، ١٨٤.

منديل، وجيلان عشرين كساء، وإفريقية مائة وعشرين بساطاً، وأرمينية عشرين من البسط المحفورة، وخمسمائة وثمانين من الرحم^(١). ولا بد أن هذه الجبايات من منتوج البلاد التي ترسلها؛ والملاحظ أن مصر لم ترسل في جباياتها منسوجات؛ ولعل هذه الجبايات لم تقتصر على زمن هارون الرشيد، وإنما كانت سارية قبله وبعده؛ وكميتها قليلة نسبياً تدل على أنها مما تزود به الخلافة لتتصرف بها ولا توزع على الأهالي.

نيسابور:

من أكبر مراكز النسيج في خراسان هي نيسابور، فيذكر الثعالبي: «من خصائص نيسابور الثياب الحفية، ومناديل الأحيرية، والتاخنج والراخنج والصمت، فأما الحلل والعتاييات والسقلاطونيات فإن بغداد وأصبهان تشاركان فيها»^(٢).

ويذكر ابن الفقيه: «لأهل نيسابور الثياب الملحمة والطاهرية، ولهم التاخنج والراخنج، وليس هذا إلا لهم»^(٣). ويقول المقدسي: «ترتفع من نيسابور ثياب البيض الحفية، والبياض، والعمائم الشهبانية والراخنج والتاخنج والمقالع وبين الثوبين والملاحم بالقز والمصمت، والعتابي، والسعيدى، والطرائف، والشطبي، وثياب الشعر والغزل»^(٤). ويقول الاصطخري: «أنفس ثياب القطن والإبريسم ما يقع من نيسابور ومرو»^(٥).

ويذكر ابن حوقل عن نيسابور: «ويرتفع منها من أصناف البزّ وفاخر ثياب القطن والقز ما ينقل إلى سائر بلدان الإسلام وبعض بلدان الشرك لكثرتهم وجودته لإيثار الملوك والرؤساء لكسوته، إذ ليس يخرج من بلد ولا ناحية كجوهريته ولا يشاكله لرفعته وخاصيته»^(٦).

(١) الوزراء للجهشياري ٢٨٣-٢٨٧.

(٢) لطائف المعارف ١٩٤.

(٣) البلدان لأبن الفقيه ٢٥٤، وانظر لطائف المعارف ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٢، الموشى ١٧٨، ١٧٩.

٢٢٥، سكاية أبي القاسم ٣٥.

(٤) أحسن التقاسيم ٣٢٣.

(٥) المسالك ١٥٨؛ وانظر ابن حوقل ٣٧٧.

(٦) صورة الأرض ٤٣٣/٢.

ذكر الوشاء الأزر النيسابورية^(١) والحجاب النيسابورية^(٢). كما ذكر من ألبسة الظرفاء وذوي المروءات والأدباء، الملاحم الخراساني وطبالسة الملاحم النيسابورية، والحجاب النيسابورية، والمبطنات التاخنج^(٣). وذكر من ألبسة معظرفات النساء المقانع النيسابورية وأزر الملاحم النيسابورية الخراسانية^(٤). وذكر أيضاً ملبح الملاحم النيسابوري^(٥). ويشير إلى التاخنج والقوهي^(٦). وذكر لنيسابور الجباب^(٧) والحفيات^(٨) والمنوح^(٩)، والطبالسة العلم^(١٠). وذكر مؤلف حكاية أبي القاسم: «ما أرى على بدن واحد منكم ولا تاخنج»^(١١). وقد انتشرت صناعة النسيج في نواحي نيسابور، فقد ذكر اليعقوبي: «نيسابور بها يعمل في جميع نواحيها الإبريسم»^(١٢). وذكر المقدسي: من رساتيق نيسابور ثياب كثيرة غليظة. ويذكر الثعالبي أن الحصل والعتايات والسقلاطونيات عرفت بها نيسابور وبغداد وأصفهان^(١٣).

مرو:

ويذكر اليعقوبي أن مرو «بها جيد الثياب الموصوفة من ثياب خراسان»^(١٤). ويذكر ابن الفقيه: «لأهل مرو الثياب المروزية والملاحم الفائقة التي هي أعلى الملاحم»^(١٥). ويقول المقدسي: «من مرو الملاحم ومقانع العخر والإبريسم

- (١) الموشى ١٣٦.
- (٢) المصدر نفسه ١٧٩.
- (٣) المصدر نفسه ١٧٨-١٧٩، لطائف المعارف ٢٠٢.
- (٤) الموشى ١٨٤.
- (٥) المصدر نفسه ٢٢٥.
- (٦) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
- (٧) الموشى ١٧٩.
- (٨) لطائف المعارف ١٩٠، ٢٢٦، ٢٣٥.
- (٩) البسوط للسرخسي ٢٨/١٣.
- (١٠) الموشى ١٧٩.
- (١١) حكاية أبي القاسم ٣٥٠.
- (١٢) البلدان ٢٧٨.
- (١٣) لطائف المعارف ١٩٥، وانظر ٢٣٥.
- (١٤) البلدان ٢٧٩.
- (١٥) البلدان لابن الفقيه ٢٥٤.

والقصيلة». ويقول الاصطخري: «وأنفس ثياب القطن والإبريسم ما يرتفع من نيسابور ومرو». ويقول أيضاً: «ويرتفع من مرو الإبريسم والقز الكثير، وبلغني أن أصل الإبريسم بجرجان وطبرستان إنما نقل قديماً من مرو، وربما حمل بزر دودة القز منها إلى طبرستان، ومنها يرتفع القطن الذي يتسبب إليه القطن اللين والثياب التي تجهز إلى الآفاق»^(١).

ويذكر الثعالبي: «وكانت العرب تسمي كل ثوب صفيق حمل من خراسان المروي، وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجاني». وقد بقي اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة. ومما تختص به مرو الثياب الملحم^(٢). ويقول أيضاً: «مرو يُحمل منها الملحم والملبن والمرى والمكانس»^(٣). ويذكر ابن الوردي: طراز نيسابور وملحم مرو^(٤).

ذكرت المنسوجات المروية منذ صدر الإسلام، فكان القاسم بن محمد يلبس المروي^(٥). وكان أبو سعد عليه قباء مروي مصبوغ بسواد نظر إليه دعبل^(٦). ولما زار الغريز بئينة أخرجت له ملحفة مروية مشبعة من العصف^(٧). وذكر مالك الثياب الملفقة مثل الطوطي والمروي والملق^(٨).

وقد ذكرت مصادر القرن الرابع الهجري اشتهاار مرو بالأنسجة القطنية^(٩).

والمروية من ألبسة المترفين، غير أن بعض المروية لم تكن من النوع الجيد. فقد ورد في حكاية أبي القاسم ذكر ثياب هفت خشن مروي غليظ^(١٠). وورد في

(١) المسالك ٢٦٣، وانظر ابن حوقل ٢٣٦/٢.

(٢) لطائف المعارف ٢٠١.

(٣) المصدر نفسه ٢٠٠؛ ثمار القلوب ٥٤٢.

(٤) خريدة المجانب ٢١٦، لطائف المعارف ٢٣٥.

(٥) ابن سعد ١٤١/٥.

(٦) الأغاني ٢٣/١٨.

(٧) المصدر نفسه ١٣٧/٢.

(٨) المذبذبة ٢٧٩/١٥، وذكر الثعالبي 'صفيق الشاهجاني وصفيق الملحم' لطائف المعارف ٢٠١،

وذكر مواضع حكاية أبي القاسم 'ثوب خشن مروي غليظ'، حكاية أبي القاسم ٧٧.

(٩) البلدان لليعقوبي ٢٧٩، ابن حوقل ٤٣٦/٢، ٤٥٢.

(١٠) حكاية أبي القاسم ٣٧.

بعض المصادر ذكر الثوب المروي^(١)، والثوب الرقيق المروي^(٢)، والملحمة المروي^(٣).

الهروية:

ذكرت الأنسجة الهروية في القرن الأول.

فيروي عفان بن مسلم عن سلام بن مسكين عن عمر أنه قال: ما أحصي ما رأيت على سعيد بن المسيب من عدة قمص الهروي، قال وكان يلبس هذا البرود الغالية البيض^(٤).

ويروي يونس الكاتب: «وعلى ابن سريج ثوبان هرويان مرتفعان»^(٥). ويذكر ابن طلحة الأرقمي أنه زار دار مسلم بن يحيى فقال: «ثم طلعت علينا عجوز كلفاء عجفاء كان شعرها شعر ميت عليها قرقر هروي أصفر»^(٦).

ويقول العرجي:

بفناء بيتك وابن مشعب حاضر في سامرٍ عطرٍ وليلٍ مقمرٍ
مستشعرين ملاحفاً هرويةً بالزعفرانِ صباغها والعصفر^(٧)

ويروي أبو حنيفة عن عطاء بن السائب بن جهمان: «بينما عبد الله بن عمر في المسمى عليه ثوبان لون الهروي إذ عرض له رجل فقال أتلبس هذين الثوبين المصبوغين وأنت مُحرم، فقال إنما أصبغا بمدر»^(٨).

(١) الأم ١٠٨، ٣٩/٣.

(٢) لطائف المعارف ٢٣٥.

(٣) المصدر نفسه ٢٠٠.

(٤) ابن سعد.

(٥) الأغاني ٩٩/١.

(٦) المصدر نفسه ٩٩/٢١.

(٧) المصدر نفسه ٥١/١.

(٨) الخراج لأبي يوسف ٩٦.

ورد ذكر الثياب الهروية في كتب الفقه، فذكر الشيباني: «رجل غصب ثوباً هروباً قيمته أقل من مائة، فاستهلكه فصالح منه على مائة درهم..» وقال أبو يوسف.. يبطل الفضل على قيمته حتى لا يتغابن الناس فيه^(١). ويقول مالك «فإذا أشبه بعض ذلك بعضاً وإن اختلفت أسماؤه فلا يأخذ الثوبين من المروي أو القوهي إلى أجل»^(٢). «ولا بأس أن يشتري... الثوب الهروي أو المروي»^(٣). «ولا بأس أن يشتري... الثوب الهروي أو المروي بالملاحف اليمانية والشقاق وما أشبه ذلك»^(٤).

ويقول الشيباني: «المروي بالهروي نسيئة لأن الهروي جنس غير المروي... فإذا اختلفت الأجناس وإن كان أصلها قطن كلها أو كتان كلها فلا بأس به، فلا بأس بالهروي والمروين»^(٥).

ويذكر السرخسي العدل الهروي^(٦) والجواب الهروي^(٧).

وهو يذكر مثلاً جراباً هروباً بثلاثمائة ألف درهم^(٨)، وجراباً هروباً فيه خمسون ثوباً بألف درهم^(٩).

وفي التهذيب «حاسراً لا تعصب» معناه جعلتها هروية وقيل صبغتها وصفرتها ولم يسمع بذلك إلا في هذا الشعر. وكانت سادات العرب تلبس العمائم الصفراء، وكانت تحمل من هراة مصبوغة فليل لمن لبس عمامة صفراء قد هرى عمامته، يريد أن السيد هو الذي يتعمم الصفراء دون غيره. وقال ابن قتيبة هريت

(١) الجامع الصغير للشيباني ٩٩.

(٢) الحجج للشيباني ٢٢٩.

(٣) المدونة ٢٣/٩.

(٤) الموطأ ٧٢/٢.

(٥) الحجج للشيباني ٢٢٩.

(٦) المبسوط للسرخسي ٣٩/١٣.

(٧) المصدر نفسه ٦٣/١٣، ٨٢/٢٢، ١٧٤، ٣٧/١٣؛ وانظر الأصل للشيباني ٩٩/١، ١١٥.

(٨) المبسوط ٢/١٣.

(٩) لسان العرب، مادة هرى.

العمامة لبستها صفراء. ويقول ابن الأعرابي: ثوب مهري إذا صبغ بالصبيغ، وهو ماء ورق السمسم، ومهري أيضاً إذا كان كلون المشمش والسمسم^(١). يتبين من هذه النصوص:

١ - أن الألبسة الهروية استعملت في الحجاز كثيراً، وورد ذكرها في كتب الفقه.

٢ - أنها ظلت شائعة حتى في القرن الثاني.

٣ - أن منها قمصاناً وثياباً وملاحف، وعمائم.

٤ - أنها من قطن.

ذكر المقدسي: «من هراة المنجز الكثير وديباج»^(٢). وذكر الثعالبي: «ومما يحمل من هراة إلى الآفاق الكرايس والمبارم والدبابيج وطرائق الصفريات»^(٣)، وكذلك: «الكرايس التي يقال لها الأرتيج»^(٤).

مراكز أخرى في خراسان وما وراء النهر:

ومن مراكز النسيج في خراسان نسا وإبيورد وكان منها القز^(٥). أما خوارزم، فيرتفع منها ثياب القطن والصوف أمتعة كثيرة تصل إلى الآفاق^(٦) ويأتي منها أيضاً «برود وفروش وثياب اللحف وديباج بكشكش ومقانع ملحمة»^(٧). وذكر محمد بن حسن الشيباني الثياب الخوارزمية^(٨).

(١) أحسن التقاسيم ٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه ٣٢٤.

(٣) لطائف المعارف ٢٠٠.

(٤) المصدر نفسه ٢٢٦.

(٥) أحسن التقاسيم ٢٢٤.

(٦) الإصطخري ١٧٠، ابن حوقل ٤٨١/٢.

(٧) أحسن التقاسيم ٣٢٥.

(٨) الأصل ١٢/١.

وذكر اليعقوبي أن الطالقان تعمل بها اللبود الطالقانية^(١). ويذكر أن قاين يُحمل منها بز كثير^(٢)، ويهيق يرتفع منها بز كثير^(٣). ويقول أيضاً: من نيسابور وأبيورد القز وثيابه. ويذكر القزويني أن سرخس لأهلها يد باسطة في عمل العصائب.

أما بلاد ما وراء النهر، فإن الاصطخري يقول إن «فيها من ثياب القطن ما يفضل عنهم حتى ينقل عنهم إلى الآفاق، ولهم الفراء والصوف والأويرا»^(٤). ويقول ابن حوقل: «ويرتفع من بخارا ونواحيها ما يحمل إلى العراق وسائر البقاع ثياب تعرف بالبخارية وكرابيس ثقال الأوزان، غليظة السبك، مُبرمة الغزل، فيرغب العرب فيها، وكذلك البسط وثياب من الصوف للفرش في غاية الحسن ومقاعد ومصليات محاريب»^(٥). ويقول الاصطخري: «ويرتفع من بخارا ونواحيها من ثياب القطن ما ينقل إلى الآفاق، وكذلك البسط والمصليات وثياب من الصوف يستحسن»^(٦). ويقول المقدسي: «ويرتفع من بخارا الثياب الرخوة والمصليات والبسط، وثياب الوشي»^(٧).

ويقول المقدسي: «ومن سمرقند ثياب سيمكون والسمرقندية .. ومن بتاكت ثياب تركستان .. ومن سمرقند أيضاً ديباج يحمل إلى الترك وثياب حمر تسمى مرجل وسينيزي وخز كثير وثياب .. ومن فرغانة وأسبجاب.. الثياب البيض»^(٨).

ويقول ابن حوقل أن ويزار، وهي مدينة تبعد عن سمرقند فرسخين، «يعمل بها الثياب الويزارية القطنية، وهي ثياب تلبس خاماً غير مقصورة وفيها قليل صفرة، وكانها للينها خز، وتجلب إلى فارس والعراق وسائر الأقطار فتستحسن،

(١) لطائف البلدان ٢٢٦.

(٢) أحسن التقاسيم ٣١٥.

(٣) المصدر نفسه ٣٢١.

(٤) المسالك والممالك ٢٨٨.

(٥) ابن حوقل ٤٠٤.

(٦) المسالك والممالك ٣١٤-٣١٥.

(٧) أحسن التقاسيم ٣٢٤.

(٨) المصدر نفسه ٣٢٥.

ولها بقاء معروف، وليس بخراسان أمير أو وزير أو قاض أو عامر... أو جندي إلا والثياب الويذارية الظاهرة على ما يلبسه من فاخر الثياب في الشتاء، وجمالهم بها ظاهر وزيتهم بها فاشية، وفيها نعمة، وهي ثياب صفيقة ترفة ويبلغ الثوب منها عشرين ديناراً إلى دينارين... وتستهدى من العراق وتجلب فيفتخر بلبوسها^(١).

ويقول المقدسي: «ومن كرمينية المناديل، ومن دبوسية من وذار الثياب الويذارية، وهي ثياب على لون المصمت، وسمعت بعض السلاطين ببغداد يسميها ديباج خراسان»^(٢). وذكر الثعالبي مما يستورد من ما وراء النهر الثياب الويذارية^(٣). ويذكر الاصطخري أن الطواويس يرتفع منها الثياب القطن ما ينقل إلى سائر المواضع^(٤). ويقول المقدسي: «ومن اربنجن أزر الشتاء ثم اللبود الأحمر»^(٥)، ويذكر الشافعي الثياب من بلخ^(٦)، وورد في حكاية أبي القاسم من خرشنة الطنافس الخرشنية^(٧).

(١) ابن حوقل ٤٢٥ - ٤٢٦.

(٢) أحسن التقاسيم ٣٢٤.

(٣) لطائف المعارف ٢١٩.

(٤) المسالك ٢٧٥.

(٥) أحسن التقاسيم ٣٢٤.

(٦) الأم ٩٣/٣، ١٠٨.

(٧) حكاية أبي القاسم ٣٥.

الفصل السادس

ألوان الألبسة

الألوان

للألوان أهمية كبيرة في إظهار سمات الملابس وتميزها. وهي من أبرز مظاهر الزينة التي دعا إليها القرآن الكريم في عدد من الآيات، فقال تعالى ﴿يَبْنَى مَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَشَرُّوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [٣١] قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴿[الاعراف/ ٣١] ... [٣٢]. وذكر زينة الحياة الدنيا في عدة آيات (الكهف ٧، ٨، ٤٦، الحديد ٢٠، هود ١٥، القصص ٦٠، الأحزاب ٢٨). ووردت كلمة الزينة ومشتقاتها في حوالي أربعين آية. وذكر اختلاف الألوان في سبع آيات؛ كما ذكرت خمسة ألوان، هي الأحمر والأصفر والأخضر والأسود والأبيض، وكل منها وصف لبعض الأشياء؛ واللون الوحيد الذي خص به الملبوسات هو الأخضر، وليس في القرآن حض على استعمال لون معين أو تفضيله على غيره.

تظهر الأحاديث، التي رويت عن الرسول (ص)، أنه والمسلمين الأولين لم يقتصرُوا على استعمال لون معين، وإنما استعملوا ألْبسة لها ألوان متعددة. ولم يرد عنهم ذكر تحريم لون معين؛ كذلك لم يقيّدوا استعمال الألوان، إلا في الإحرام والحداد. فكانت ألوان الملابس يتحكّم فيها الذوق السائد بحكم التقاليد والمؤثرات الحضارية التي تعرّض لها المجتمع، وكان العباسيون أول من فرض لوناً خاصاً رسمياً للألبسة هو الأسود.

أشار المؤلفون المعنيون بالتاريخ والأدب إلى كثير من الألوان، وعني علماء اللغة بإيراد تفاصيل عنها. فذكر الثعالبي في الفصول التي خصصها للألوان تفاصيل عن كل من اللونين الأبيض والأسود، وبعض المعلومات عن اللون الأحمر، ولم يذكر اللون الأخضر إلا مرة واحدة. وذكر البيروني عدداً من الألوان المتصلة بالأحجار والجواهر، وأضاف عدداً كبيراً من الألوان، وبخاصة الأبيض، والأسود، والأحمر.

ذكرت المصادر المصرية، بخاصة، تعابير متصلة بالملبوسات، ولكنها لم تحدد ماهيتها. والراجع أن لها صلة بالألوان أكثر مما هي للمنسوج. ومن هذه التعابير الطميم والمثقل. وكان المثقل من أفخر الثياب، وهو ملبوس الطبقة العليا^(١). وذكر المثقل الطميم^(٢)، والديباج المثقل^(٣)، والفرش المثقلة^(٤)، والجبّة المثقلة^(٥)، والشرب المثقل بالذهب، والخيام المثقلة^(٦)، ومظلة مثقلة^(٧)، وثياب مثقلة اسكندرانية^(٨)، وهشامية^(٩). وورد ذكر الثياب المثقلة في العراق.

وذكرت المصمت وصفاً للعمامة السوداء^(١٠)، والدراعة^(١١)، والقميص^(١٢)، والثوب^(١٣)، والثوب الأصفر المصمت^(١٤).

(١) اتعاظ الحنفا ٢/١٣٩، ١٥٣، ١٨٥، ٢٣٤؛ الذخائر والتحف ٨٦، ١٠٥، ٣٧٣، ٣٩٠.

(٢) اتعاظ الحنفا ٢/١٥، ١٤٨؛ وانظر عن الطميم اتعاظ الحنفا ٢/٤٠، ١٣٩، ١٥٤، ١٨٤، ٢٤٨، ٢٨٨.

(٣) المصدر نفسه ٩/٢٧٥، ٦٢، ١٤٨، ١٨٣، حكاية أبي القاسم ٣١.

(٤) اتعاظ الحنفا ٢/٢٧١، ٢٧٥.

(٥) المصدر نفسه ٢/٣.

(٦) المصدر نفسه ٢/١٤٤.

(٧) المصدر نفسه ٢/٢٨.

(٨) الأغاني ١/١٨٩.

(٩) رسوم دار الخلافة ٩٧، حكاية أبي القاسم ٣٥.

(١٠) رسوم دار الخلافة ٩٣.

(١١) المصدر نفسه ٩١.

(١٢) اتعاظ الحنفا ٢/٣، ٢٢.

(١٣) المصدر نفسه ٢/٧١.

(١٤) الذخائر والتحف ٦٦، ٧٥، ٣٥٥.

وذكر في المشرق المصمت الديقي^(١)، والمصمت الفرادة^(٢)، وسواد مصمت^(٣). وكان المصمت من خصائص نيسابور^(٤).

يروى ابن قتيبة: «نهى رسول الله (ص) عن المفدم، وهو المشيع، وأذنه فيما خف صبغه من ذلك المصبوغ بالزعفران، فكان النبي (ص) يلبس ماخف صبغه. ولبس الناس المعصفر وابتذلوه.. وأن الرسول (ص) نهى عن كل مغتر كما نهى عن المفدم والمعصفر»^(٥). وذكر أن القاسم بن محمد كان «يلبس ملحفة معصفرة ويجلس على مجلس معصفر فيه تصاوير عنقاء»^(٦). وذكر أن إبراهيم كان يلبس المعصفر ويقول ابن قتيبة وأنا أعلم أنه زينة الشيطان، واتخذتم الحديد وأعلم أنه حلية أهل الناس، وإنما أراد إبراهيم إخفاء نفسه بمثل هذا اللباس ولمجالسة الشرط ومخالفة قوم من الأدياء، وكان أيوب يلبس قلنسوة شرب وقال لن أنبسها لعيون خير أحب إلى من أن أدها لعيون الناس»^(٧).

ذكرت المصادر، وبخاصة المصرية، تعبير الشرب^(٨)، فذكر الوشاء الشروب المزرة من ألبسة المتطرفات^(٩). وذكر الرشيد الشروب^(١٠). وذكر المقرئ متدبل شرب ملون^(١١)، وطيلسان شرب مغوف^(١٢)، وورد وصفها للعمائم وأكثرها مذهبة^(١٣)، ومنها بيضاء^(١٤)، وتكرر في المصادر ذكر الملحم. فذكر

(١) الموشى ٩، ١١.

(٢) الموشى ١٧٩.

(٣) رسوم دار الخلافة ٩٣.

(٤) لطائف المعارف ١٩٥.

(٥) الأثرية لابن قتيبة ١١٠، ١١١.

(٦) المصدر نفسه ٨٣.

(٧) المصدر نفسه ٨١.

(٨) اتعاظ الحنفا ١٣٦/٢، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٤.

(٩) الموشى ٨٤.

(١٠) الذخائر والتحف ٣٣٨.

(١١) اتعاظ الحنفا ٣٠/٢.

(١٢) المصدر نفسه ١٥٩/٢.

(١٣) المصدر نفسه ١٤٨/٢، ١٧٣.

(١٤) المصدر نفسه ١٦٣/٢.

الوشاء ملحمة خزّ ومعلم^(١). ووردت إشارات إلى ملحمة خراسان^(٢)، وملحمة نيسابور^(٣).

ذكر جابر بن حيان «قاعدة الأصباغ عندهم النوشادر، واللون الذي يراد كالصفرة من الزرنيخ والنوشادر. والأخضر من مياه الأوراق الخضراء والنوشادر المحلول فيها والأبيض (البياض والنوشادر) المبيض، وكذلك إن صبغ بغير هذه بما في طبعه أن يصبغ ذلك اللون كما يصل الزرنيخ في الأصفر من اللون واستعمال الزعفران وما جرى مجراه، وكذلك في جميع الألوان»^(٤).

ويذكر ابن القتيبة في كلامه عن ثعلب بآرمينية «وبها من الشب المنسوب إليها وهو شب الحمرة المعروف باليماني، ومنها يحمل إلى اليمن وواسط، ولا ينصبغ الصوف بواسط إلا به وهو أقوى من المصري»^(٥). ويذكر ابن البيطار أن «الشب، ذكره ديوقورديس، أصنافها كلها أو القليل منها توجد في معادن بأعيانها بمصر، وقد يكون في مواضع أخرى»^(٦).

ويختلف اللون الواحد في مدى تشبّعه بالصبغ. وقد أورد اللغويون نصوصاً عما يتعلق بالعصفر والزعفران من ذلك، فينقل ابن سيده عن أبي حنيفة الدينوري: «ثوب مجسد إذا كثر فيه الزعفران حتى يجف فيقوم قياماً، ومنه يقال للدم جاسد»^(٧). ويقول ابن منظور: «الثوب المجسد هو المشبع عصفاً أو زعفراناً والمجسد الأحمر، يقال على فلان ثوب مشبع من الصبغ وعليه ثوب مفدم، فإذا قام قياماً من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان إجمالاً فهو مجسد... أو لجسد ما أشبع صبغه من الشب»^(٨). ويذكر ابن سيده: «وثنوب مفروك

(١) الموشى ١٧٨.

(٢) المصدر نفسه ١٧٨، ١٨٤، الذخائر والتحفة ٣٠، ٧٥.

(٣) الموشى ١٧٨، ١٧٩، ٢٢٥، لطائف المعارف ٢٠٢. وانظر عن الملحمة: رسوم دار الخلافة ٩٠، الذخائر والتحفة ٦٦.

(٤) مختار رسائل جابر بن حيان ٣٦١.

(٥) مختصر كتاب البلدان ١٨٥.

(٦) جامع الأدوية المفردة ٥٣/٣.

(٧) المخصص ٢١١/١١.

(٨) لسان العرب ٩٢/٤.

بالزعفران وغيره إذا صبغ صبغاً شديداً^(١). ومن هذا يتبين أن الثوب إذا كثف صبغه يقال له مشبع أو مجسد أو مفرك.

والألوان الثياب تكون إما بسبب نسجها من مواد أولية ملونة، أو بسبب صباغتها. ومن المعلوم أن بعض مواد التسيج ملونة بطبيعتها، فالقطن قد يكون أبيض أو ورياً، والصوف قد يكون أبيض أو عسلياً أو مائلاً إلى الحمرة، والنسيج يتلون بلون المادة التي تنسج منها.

أما الثوب المصبوغ، فقد يتم صبغه بعد نسجه أو بعد خياطته، أو قد يتم بصبغ الخيوط التي ينسج منها. وقد أشارت كتب الفقه إلى الصنف الأول في معرض الحكم على المشاكل القانونية التي قد تنجم بين أصحاب السلعة والصبّاعين، كأن يخطئ الصبّاع فيصبغه بغير اللون المطلوب، أو بتسبّع أو خفيف وبمواد غير المتفق عليها، أو في عدم المحافظة على النقاوة عند الصبغ أو تخفيف. وقد جاء في المدونة: «قلت أرأيت إن اشتريت ثوباً صبغته بعصفر أو بسواد أو بزعفران أو بورس أو بمشق، أو بخضرة أو بغير ذلك من الصبغ فزاد الثوب الصبغ خيراً أو نقص، فأصببت به عيباً دلّسه لي البائع»^(٢). وبعض الثياب يصبغ غزلها، ثم تنسج من الغزل المصبوغ، فيقول الشافعي: «وأحب ما يلبس إليّ البياض، فإن جاوزه بعصب اليمن والقطري وما أشبه، مما يصبغ غزله ولا يصبغ بعدما ينسج، فحسن»^(٣). وقد ألمح مالك إلى تميّز صبغ عصب اليمن، فقد جاء في المدونة: «قلت فهل كان مالك يرى عصب اليمن بمنزلة هذا المصبوغ بالدكّة والحمرة والخضرة والصفرة، لم يجعل عصب اليمن بمنزلة هذه الثياب المصبغة، وأما غليظ عصب اليمن، فإن مالكا وسع فيه ما لم يره بمنزلة المصبوغ»^(٤).

تردد ذكر العصب في المصادر، وأشار بعضها إلى صبغه، فيقول ابن منظور:

(١) المخصص ٢١١/١١.

(٢) المدونة ١٦٩/١٠.

(٣) الأم ١٧٤/١.

(٤) المدونة ١١٣/٥.

«والعصب ضرب من برود اليمن، سُمي عَصَباً لأن غزله يغصّب، أي يُدرج، ثم يصبغ ثم يحاك، وليس من برود الرقم. وفي الحديث: المعتدّة لا تلبس الثياب المُصَبَّغة إلا ثوب عصب. العصب برود يمنية يعصب غزلها، أي يجمع ويشدّ ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً لبقاء ما عُصب منه أبيض لم يأخذه صبغ. وقيل هي برود مخططة، والعصب القتل، والعصّاب الغزّال. فيكون النهي للمعتدّة عما صُبِغ بعده»^(١).

ويطلق العصب على عدة منسوجات أشهرها الحبرة، فيذكر مالك: العصب هو الحبر وما أشبهه^(٢). ويروي السهوي أن عبد الرحمن بن عوف «دفن عليه ثوب حبرة من العصب»^(٣). وقد جاء في الحديث: «كان أحبّ الثياب إلى رسول الله (ص) يلبسها الحبرة»^(٤).

والعصب من المنسوجات الغالية فيروى عن معاذ أنه قال: «شر النساء إذا تحلّين بالذهب ولبسن ربط الشام وعصب اليمن، فأتعبن الغني وكلفن الفقير ما لا يجده»^(٥).

لم يكن العصب يصنع إلا في اليمن، فيقول الأصمعي: «أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن، الورس والكندر والخطر والعصب»^(٦). ويقول المقدسي «اليمن معدن العصائب»^(٧). ويتبين مما ذكر ابن منظور:

١ - أن العصب يصبغ غزله قبل حياكته.

٢ - أن طريقة صبغه هي أن يدرج (أي يلف ويشد).

(١) لسان العرب ٩٢/٢. وانظر من إباحة صبغ العصب في الأحاديث التي وردت في كتب الصحاح، فسنك مادة (عصب). وانظر ما كتبه في مجلة الأبحاث (الأنسجة في القرنين الأول والثاني)، ص ٥٦٤ - ٥٦٥، سنة ١٩٦٢.

(٢) المدونة ١/١٨٨.

(٣) وفاء الوفا ٢/٨٩.

(٤) البخاري لباس ١٨؛ الترمذي لباس ٤٥، وانظر مقالنا عن الأنسجة ٥٦٢ - ٥٦٣.

(٥) عيون الأخبار ٤/١١٤.

(٦) المصدر نفسه ٢/١٠٩. وانظر جامع الأدوية المفردة ٤/٨٣، ١٩١.

(٧) أحسن التقاسيم ٩٨.

٣ - أن كل خيط من خيوط نسيجه يكون ميقعاً، أي أنه بعضه مصبوغ وبعضه أبيض.

٤ - الثوب المنسوج بالعصب يكون ذا ألوان متعددة، أي كالמושى، وقد يكون مخططاً.

٥ - أن أصباغه خاصة.

٦ - أنه يقارب برود الرقم.

٧ - العصب أنواع، منها الحبرة، والجندية؛ وبعضه غليظ وبعضه رقيق.

٨ - الثياب القطرية تصبغ على الطريقة نفسها.

٩ - العصب من الثياب الغالية الثمن ومن لباس الطبقة الموسرة.

١٠ - أن اليمن كانت تحتكر صناعة العصب حتى أواخر القرن الرابع على الأقل. غير أن الكليني يذكر ما يدل على أن صناعتها كانت تقلد في البصرة فهو يروي بسند عن الحسن بن راشد أنه سأل جعفر الصادق عن ثياب تعمل بالبصرة على عمل العصب اليماني من قرّ وقطن هل يصلح أن يكفن فيها الموتى قال: إذا كان القطن أكثر من القرّ فلا بأس^(١).

لم تذكر المصادر أصباغ العصب وألوانه، غير أن ارتفاع أثمانه واقتصار صنعه على اليمن قد يدل على أن ألوانه المتعددة تظهر منسجمة نرتاح إليها النفوس العلية التي تلبسه. وهذا يتطلب مهارة فائقة في الحياكة، لعلها من الأسرار المستعملة فيه هي التي مكّنت أهل اليمن من احتكار صناعته.

ذكرنا أن وضاح اليمن ذكر في إحدى قصائده: «أبراد عصب من مهلهلة الجند». وقد ورد في بيت لعمر بن أبي ربيعة ما يشير إلى طريقة تكوين الجندية حيث يقول:

شفت عنها محققٌ جنديٌّ فهي كالشمس من خلال السحاب

ويقول الأصهباني الذي روى هذا البيت: «الثوب المحقق هو الوشي على صور الحُقُق»^(١).

ويقول ابن منظور: «ثوب محقق عليه وشي على صورة المحقق». كما يقال برد مرجل وثوب محقق. ويقول عن المحقق: «حقائق الشجر صغارها شبهت بحقائق الإبل... والحقة هذا المنحوت من الخشب والعاج وغير ذلك.. قال رؤبة «سوى مساحيهم تقطيط الحُقُق». وصف حوافر حمر الوحش، أي أن الحجارة سوت حوافرها كأنما قُطِطت تقطيط الحُقُق»^(٢).

الوشى:

لا ريب في أن كثيراً من المنسوجات والثياب ذات ألوان متعددة بأشكال مختلفة، قد تكون في أصل المنسوج بسبب تنوع ألوان خيوط النسيج، أو قد تكون مطبوعة ومنقوشة عليها بعد إنجاز نسجها، ويسمى هذا النوع الأخير الوشي. وقد تردّد ذكره في المصادر التي ذكر بعضها أنواعاً من الوشي كما ذكر بعضها أشكال النقوش، وكلاهما يرتبط بالنقش وليس بنوع القماش. والواقع أن المادة التي بين أيدينا لا تكفي للتمييز بدقة بينها. ومنذكرها في ما يلي آملين أن تقع في المستقبل على مادة أوفر تمكّننا من التحقق من الفرق بينهما.

يذكر ابن منظور عن الجوهري أن الوشي من الثياب معروف؛ وعن ابن سيده أنه يكون من كل لون، وأن الوشي في اللون خلط لون بلون^(٣). وهذا التعريف لا يستلزم أن يكون الوشي مرادفاً لما يسمى البرودري اليوم، فقد يكون الخلط في أصل الحياكة أو في طبع القماش بصنع على سمات خاصة.

ميّز الشافعي بين الثياب الملونة بالوشى وغيره، فقال في باب السلف من الثياب وجوب تحديد أحوالها بدقة: «إن كان وشياً نسبة يوسفياً أو نجرانياً أو فارعاً أو باسمه الذي يعرف به، وإن كان غير وشى من العصب وما أشبه وصفه ثوب حبرة». ويقول أيضاً: «هكذا هذا في الثياب يقال هذا من وشى صنعاء

(١) الأغاني ٢٤٠/١، وانظر لسان العرب ٣٤/١١.

(٢) لسان العرب ٢٤٠/١١.

(٣) المصدر نفسه ٢٧١/١٩.

والوشي الذي يقال له اليوسفي^(١). وذكر الجاحظ أصناف الوشي فقال: «وخير الوشي الثوب السابري، والكوفي، والإبرسمي، والمذهب المنسوج، ثم الوشي الاسكندراني البحت، ثم المنسوج بالذهب ثم الوشي الغزلي، ثم الذي لا إبريسم فيه ولا ذهب، وهو اليماني لأنه يرتفع على هذا السبيل من الغزلي. والإبرسمي الكتان لا يبلغ في الثمن ما يبلغه اليماني، لأنه ربما بلغ الثوب الغزلي ألف دينار^(٢). ويتبين من كلام الجاحظ أن الوشي عرفت به عدة أماكن منها سابور والكوفة والاسكندرية. والواقع أن المصادر ذكرت وشي العراق، فقد ذكر الأصهباني «ثياباً من وشي وقر العراق»^(٣)، وقال حميد بن ثور:

تخبرت إما أرجوانياً مهذباً وإما سجلاًط العراق الممختماً
وقد عرفت بعض الكتب السجلاًط بأنها «ثياب موشاة كأن وشيها خاتم»^(٤).

غير أن أشهر الأقاليم التي عرفت بالوشي هي اليمن. فبالإضافة إلى إشارات الشافعي والجاحظ التي ذكرناها أعلاه، يذكر الأصهباني عن عمر بن أبي ربيعة «عليه حلية موشية يمانية»^(٥). ويذكر أن الفرزدق «طلع في حلة أفواف يمانية موشاة»^(٦).

وبلاحظ أن اليمن هي التي اشتهرت بالوشي والتي احتكرت العصب، فيقول الثعالبي: «يقال وشي اليمن وعصب اليمن، ويضرب بها المثل في الحسن ونُسبة بالرياض والألفاظ، ويقال من نفائس الملابس برود اليمن»^(٧). ولعل اشتهار اليمن بالوشي والعصب، واتفاقها بالنقوش كان من أسباب الخلط بين الزخارف الناجمة عن التطريز (البرودري) والزخارف التي من الأصباغ، هذا بالإضافة إلى غلاء ثمن كليهما، وأن بعض ما تذكر المصادر الأدبية أنه وشي، هو في

(١) الأم ١١٨/٣.

(٢) التبرع بالتجارة ٢١.

(٣) الأغاني ٢٤٤/٩.

(٤) لسان العرب ١٨٤/٩، المغرب للجواليقي ٨٢.

(٥) الأغاني ٩٩/١.

(٦) المعسر نفسه ٣٣٨/٩. وانظر أيضاً ٢٥٩/٨.

(٧) ثمار القلوب ٥٣٤. وانظر عن وشي اليمن الذخائر والتحف ٢٩، ٣٠، ٤٦، ٦٤، ٦٥، ١٠٥، ١١١، ١٥٤، ١٦٢، ٢٩٠، ٣٣٠.

الحقيقة أصباغ متنوعة للشوب، ولذلك أوردته في هذا المقال. ويلاحظ أن ابن البيطار يقول «البرود وهي العصب»^(١). ويقول الليث: «البرد معروف من برود العصب والوشي»^(٢)، ويقول أيضاً «الفوف ضرب من عصب البرود»^(٣).

ذكر الوشي في بعض النصوص مجرداً وغير مقترن بأي نسيج. فيروي المثنى ابن سريج: «دعاني فتية من بني مروان، فدخلت عليهم وأنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية، وهم في القوهي والوشي يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية»^(٤).

وترد ذكره في المصادر مقروناً بالحلل، فذكر الأصبهاني أنه كان «على الوليد بن يزيد حلة وشي»^(٥)، و«على الفرزدق حلة أفواف يمانية موشاة»^(٦)، وأن عمر بن أبي ربيعة «كان يلبس تلك الحلل من الوشي»^(٧).

وذكرت المصادر أيضاً مقطعات الوشي، فذكر الأصبهاني أنه كان للنصيب مقطعات وشي^(٨). وذكر ابن سعد أنه «كان أبو وائل يلبس مقطعات اليمنة»^(٩). وينقل ابن منظور عن ابن الهيثم أن «القطع ضرب من الثياب الموشاة، والجمع قطع. والمقطعات برود عليها وشي مقطع»^(١٠).

وورد في المصادر ألبسة متعددة موشاة، فقد ذكر الأصبهاني أنه كان على الوليد بن يزيد قلنسوة وشي مذهبة^(١١)، وأنه كان عليه جبة وشي، ورداء، وخف وشي، وأن النصيب دخل على عبد العزيز بن مروان في جبة وشي^(١٢).

(١) جامع الأدوية المفردة ٨٣/٤، ١٩١.

(٢) لسان العرب ٥٤/٤.

(٣) المصدر نفسه ١١/١٨٠.

(٤) الأغاني ٣١٠/١٣.

(٥) المصدر نفسه ٣/٣٠٨.

(٦) المصدر نفسه ٩/٣٨٨.

(٧) المصدر نفسه ١/٨٦.

(٨) المصدر نفسه ٧/١٣١.

(٩) ابن سعد ٨٦/٦.

(١٠) لسان العرب ١٠/١٥٦.

(١١) الأغاني ٧/٩١.

(١٢) المصدر نفسه ٦/٢٨١.

وذكرت المصادر من أنواع الوشي السعيدى^(١)، والأتحمي^(٢)، والمصمت^(٣)، والديباج بالذهب المنسوج^(٤).

ويبدو أن أكثر أشكال التلوين شيوعاً هو المخطط، وهذا يتجلى في البرود. فيقول ابن منظور: «قال ابن سيده: البرد ثوب فيه خطوط، وخص بعضهم به الوشي... والبردة هي الشملة المخططة. قال الليث: «البرد معروف من برود العصب والوشي»^(٥).

وذكرت المصادر عدة أنواع من البرود المخططة منها الحبير. وقد عرفه ابن منظور: «الحبير من البرود ما كان موشياً مخططاً»^(٦). ومنها الأتحمي وهو «ضرب من البرود... ويقال تحمت الثوب إذا وشيته، وروي عن الفراء: التحمة البرود المخططة بالصفرة»^(٧). وفي ديوان الهذليين: «الأتحمي برود يمانية فيها خطوط حمرة»^(٨). ويذكر ابن منظور: «البرد المذهب هو أرفع الأتحمي»^(٩)، والبرود التزيدية بها خطوط حمرة^(١٠)، والرقم هو «ضرب من البرود.. والرقم ضرب مخطط من الوشي، وقيل من الخز، وفي الحديث أتى فاطمة فوجد على بابها ستر موشى فقال مالنا والدنيا والرقم، يريد النقش والوشي، والأصل فيه الكتاب، ورقم الثوب يرقمه خطه»^(١١).

ذكر وكيع: «كانت الخيزران قد وجهت رجلاً نصرانياً على الطراز بالكوفة وكتبت إلى عيسى بن موسى أن لا يعصي له أمراً، فخرج من زقاق النخع على

(١) الأغاني ٩٩/١.

(٢) الموشى ١٧٩.

(٣) الموشى ١٢٧.

(٤) رسوم دار الخلافة ٩٣.

(٥) حكاية أبي القاسم ٣٥.

(٦) لسان العرب ٥١/٤.

(٧) المصدر نفسه ٢٣٠/٥.

(٨) المصدر نفسه ٣٣٠/١٤.

(٩) ديوان الهذليين ١٤٦/٢.

(١٠) لسان العرب ٢٨٠/٢، ٣٣/١٢.

(١١) المصدر نفسه ١٤٥/١٥.

خز وطيلسان على بردون، قال: أنا رجل المحمل الوشي وأجره مثل مائة درهم في الشهر^(١).

ومن المعلوم أن اليمن اشتهرت بالبرود، فيذكر الجاحظ أن «من خصائص اليمن السيوف والبرود»^(٢). ويذكر الثعالبي برود اليمن^(٣)، كما يذكر: «ويقال في نفائس الملابس برود اليمن»^(٤).

غير أن صنع البرود انتشرت فيما بعد في أماكن أخرى. فيذكر الثعالبي: «وبرود الري موصوفة كبرود اليمن، ويقال لها العدنيات تشبهها لها ببرود عدن»^(٥).

وقد استعمل العرب منسوجات أخرى مخططة، ومنها الثياب القطرية التي ذكرنا مما يعصب غزله ويصبغ ثم يحاك.

ومن الألبسة المخططة القوط وهي «أزر مخططة يشتريها الحمالون والخدم ويترزون بها بالكوفة»^(٦).

ومن ذلك البرجد الذي يذكر عنه ابن منظور أنه «كساء من صرف أحمر وقيل البرجد كساء غليظ، وقيل البرجد كساء مخطط ضخيم يصلح للخباء»^(٧).

وقد ذكرت المصادر منسوجات وثياباً فيها نقوش وتصاوير. فذكر الثعالبي عدداً من نقوش الثياب فقال: «إذا كان الثوب في وشبه ترايع صغار تشبه عيون الوحش فهو معين، فإذا كان مخططاً فهو معضد ومشطّب. فإذا كان فيه طرائف فهو مُستير. فإذا كانت خطوطه كالسهم فهو مُستهم. فإذا كانت تشبه العمدة فهو مُعمد. فإذا كانت فيه نقوش وصور كالأهلة فهو مهلل. فإذا كان موشى بأشكال

(١) أخبار القضاة لوكيع ١٦٩/٣.

(٢) التصريح بالتجارة ٢٢. وانظر لطائف المعارف ١٦٦.

(٣) لطائف المعارف ٢٣.

(٤) ثمار القلوب ٥٣٤.

(٥) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

(٦) لسان العرب ٢٤٨/٩.

(٧) المصدر نفسه ٥٦/٤.

الكماب فهو مكعب. فإذا كان فيه كالقلوس فهو مفلس. فإذا كان فيه صور الطيور فهو مُطَيَّر. فإذا كان فيه صور الخيل فهو مخيَّل^(١).

نقل ابن منظور ما ذكره الثعالبي عن المفلس^(٢) والمعين^(٣)، وقال عن المطيَّر أنه ضرب من البرود^(٤)، وذكر تفاصيل أوفى عن نقوش بعض الثياب المذكورة أعلاه.

فأما عن المعضد، فقال: «ثوب معضد مخطط على أشكال العضد، وقال اللحياني هو الذي وشيه في جوانبه، والمعضد الثوب الذي له علم في موضع العضد من لابس^(٥)».

وقال عن الشُطب: «السعف الأخضر الرطب من جريد النخل، وفي حديث أم زرع كَمَسَلْ شطبة، قال أبو عبيد: الشطبة ما شُطب من جريد النخل وهو سعفه، شبهته بتلك الشطبة لنعمته واعتدال شبايه، وقيل أرادت أنه مهزول كأن سعفة في دقتها.. وقال أبو سعيد: الشطبة السيف... وثوب مشطب فيه طرائق^(٦)». ويقول عن الطرائق أنه «أخذود من الأرض أو شقة ثوب أو موشى ملزق بعضه ببعض فهو طريقة... طرائق: نسيجة تنسج من صوف أو شعر عرضها عظم الذراع أو أقل، وطولها أربع أذرع أو ثمانى أذرع...»^(٧).

ويقول عن المسير (ثوب مسير وشيه مثل السيور)، وفي التهذيب إذا كان مخططاً، وسير الثوب والسهم جعل فيه خطوطاً، وعقاب مسترة مخططة.

والسيراء ضرب من البرود، وقيل هو ثوب مسير فيه خطوط تحمل من القز كالسيور وقيل يرود يخالطها حرير.. وقيل هي ثياب من ثياب اليمن.. الجوهري:

(١) فقه اللغة ٢٤١.

(٢) لسان العرب ٤٧/٨.

(٣) المصدر نفسه ١٧/١٧٧.

(٤) المصدر نفسه ٦/١٨٦.

(٥) المصدر نفسه ٤/١٨٤.

(٦) المصدر نفسه ١/٢٧٨.

(٧) المصدر نفسه ٩١/١٢.

السيراء: برد فيه خطوط صفراء. قال ابن الأثير هو نوع من البرود يخالطه حرير كالسيور... حلة مستيرة أي فيها خطوط من إبريسم كالسيور. ويتبين من هذا الكلام أن الثوب المستير هو من البرود اليمانية، وأن فيه خيوطاً من القز والإبريسم صفراء كالسيور^(١).

أما القوف فذكر عنه ابن منظور ما يلي: «الجوهري: القوف الحبة البيضاء في باطن النواة التي تنبت منها النخلة... والقوف القشرة التي على حبة القلب أو النواة دون لحمه الثمرة وكل قشرة قوف. التهذيب: ابن الأعرابي: القوفة القشرة الرقيقة تكون على النواة... والقوف ضرب من برود اليمن».

«وفي حديث عثمان خرج وعليه حلة أفواف، الأفواف جمع قوف، وهو القطن وواحدة القوف قوفة، وهي في الأصل القشرة التي على النواة، يقال برد أفواف وحلة أفواف بالإضافة. الليث: الأفواف ضرب من عصب البرود. ابن الأعرابي: القوف ثياب من ثياب اليمن موشاة، وهو القوف وبرد مقوف أي رقيق. الجوهري: القوف قطع القطن... وبرد أفواف ومقوف: بياض وخطوط بيض...». ويتبين من كلام ابن منظور أن الأفواف هي من البرود، أو من العصب، تنج من القطن وهي بيضاء، وفيها خطوط.

أما عن المسهم فذكر ابن منظور: «المسهم البرد المخطط. قال ابن بري: ومنه قول أوس:

فأنا رأينا العِرض أحوج ساعة
إلى الصون من ريد يمانٍ مُسهم

وفي حديث جابر أنه (ص) كان يصلي في برد مسهم، أي مخطط فيه وشي كالسهم. وبرد مسهم مخطط على شكل السهم. وقال اللحياني إنما ذلك لو شي فيه.

قال ذو الرمة يصف داراً:

كانها بعد أحوالٍ مضين لها
بالأشيمين يمانٍ فيه تسهم^(٢)

(١) لسان العرب ٥٧/٦.

(٢) المصدر نفسه ٢٠٠/١٥.

ويظهر من هذا الكلام أن المسهم برد مخطوط بخطوط مقطعة كالسهم.

ويذكر ابن منظور عن المكعب: «... ثوب مكعب مطوي شديد الأدراج في تريبع، ومنهم من لم يقيده بالتريبع، يقال كعب الثوب تكعيباً».

وقال اللحياني: «برد وكعب فيه وشي مرتع، والمكعب الموشى، ومنهم من خصصه فقال من الثياب»^(١).

ذكرت المصادر ثياباً فيها تصاوير، فروى مالك ابن أنس أن أبا طلحة الأنصاري نزع غطاءً من تحت سهل بن حنيف لأن فيه تصاوير، وكان الرسول نهى عن استعمال ما فيه تصاوير، فاعترض سهل وقال: «ألم يقل رسول الله (ص) إلا ما كان رقماً في ثوب، قال بلى ولكنه أطيب لنفسى»^(٢). ويذكر ابن سعد أن عروة كان يلبس الطيلسان المززر بالديباج فيه وجوه الرجال وهو محرم لا يزوره عليه^(٣).

والقسيّة هي ثياب مضلعة فيها حرير أمثال الأترج^(٤). ويقول ابن منظور: «ثياب مضلعة مخططة على شكل الضلع»^(٥). قال اللحياني هو الموشى، وقيل المضلع من الثياب المسيّر، وقيل هو المختلف النسيج الرقيق. وقال ابن شميل: المضلع، الثوب الذي قد نسج بعضه وترك بعضه، وقيل برد مضلع إذا كانت خطوطه عريضة كالأضلاع، وتضلع الثوب جعل وشيه على هيئة الأضلاع، وفي الحديث أنه أهدي له «ص» ثوب سيرا مضلع بقز، والمضلع الذي فيه سبور وخطوط من إبريسم أو غيره شبه الأضلاع.

وفي حديث علي: «وقيل له ما القسيّة، قال ثياب مضلعة فيها حرير، أي بها خطوط عريضة كالأضلاع»^(٦).

(١) لسان العرب ٢/١١٣.

(٢) الموطأ ٢/٢٤١.

(٣) ابن سعد ٥/١٣٤.

(٤) ابن حنبل ١/١٣٤.

(٥) لسان العرب ١٧/٦٤.

(٦) المصدر نفسه ١٠/٩٧.

إن المعلومات، التي ذكرناها آنفاً، تظهر أن كثيراً من المنسوجات والثياب، وبخاصة البرود كانت منقوشة بأشكال متعددة، ولكن يغلب عليها أن تكون مخططة بدليل كثرة البرود التي وصفت بأنها مخططة. أما الأشكال الأخرى من النقوش فكانت متعددة ولكنها قليلة، ولم توضح المصادر بدقة الزخارف المطرزة أو التي كانت في أصل الحياكة. ويبدو لي أن أغلب النقوش والخطوط هي في أصل الحياكة.

ذكر الماوردي نوعين من النقوش أولهما يتعدّر ضبط نقشه كالسقلاطون والحلل، والثاني تخطيطه مضبوط كالأبراد والمجبرة^(١).

أما الصباغون، فلم أجد في خطط المدينة ومكة والبصرة والكوفة سوقاً لهم أو مكاناً خاصاً لهم فيها، ولم أجد إلا ما ذكره البلاذري من أن سليمان بن عبد الملك أحدث الرملة ومصرها «وكان أول ما بنى فيها قصره والدار التي تعرف بدار الصباغين وجعل في الدار صهريجاً متوسطاً فيها»^(٢). وتوجد إشارات في بعض الكتب تدل على أن اليهود كانوا يشتغلون بالصباغة في أزمنة وأمكنة أخرى. فالجاحظ يقول: «وزعم أن القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء تنبت في ثلاثة مواضع في ناحية المغرب بأرض الأندلس، وفي رستاق يقال له تارم، وفي أرض فارس، ولا يعرف هذه الحشيشة وأماكنها إلا فرقة من اليهود يتولون قلعها كل سنة في ماه اسفنداروز»^(٣).

ويذكر ابن العبري أنه لم يرتفع في العالم الإسلامي يهودي إلى أكثر من أن يكون دباغاً. ولعل سيطرة اليهود في الصباغة ترجع إلى عهود قديمة، وأن من بعض عواملها تنظيماتهم التي تمكنهم من السيطرة على الأصباغ من منابعها المنتجة^(٤).

(١) الحارثي ٩٣ ب.

(٢) فتوح البلدان ١٤٢.

(٣) التبصر بالتجارة ١٩.

(٤) تاريخ ابن العبري ٤٩/١، المترجم عن السريانية.

ألوان الملابس:

اللون الأبيض:

في النصوص كثير من الإشارات إلى إطراد اللون الأبيض وإلى كثرة استعماله وتتميز بعض الأنسجة به، فيروى أن الرسول (ص) قال: «البسوا من ثيابكم البيضاء فإنها من خير ثيابكم»^(١). ويقول الشافعي: «وأحب ما يلبس إلي البيضاء، فإن جاوزه بعصب اليمن والقطري وما شابه مما يلبس غزله ولا يصيغ بعد ما ينسج فحسن»^(٢). ويقول النجاشي: «أفضل الملابس هي البيضاء وعصب اليمن»^(٣). وقد وردت عدة أحاديث تذكر أن الرسول (ص) كان يلبس الثياب البيضاء، وأنه «دخل مكة يوم الفتح ولواؤه أبيض»، وأنه «كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية». كما ذكرت بعض الأحاديث أن الزبير كسا الرسول وأبا بكر ثياباً بيضاء، وأنه كان «على عمر قميص أبيض». ويروي البخاري: «سُمي الحواريون لبياض ثيابهم». ويبدو أن اللون الأبيض كان أكثر الألوان شيوعاً في ألبسة الرأس، وكان من علامة النبل فيروى الكليني أن جعفر الصادق قال: «اتخذ لي قلنسوة ولا تجعلها مصبغة فإن السيد مثلي لا يلبسها»^(٤). وذكر ابن سعد عدداً من الصحابة والتابعين من الحجاز بخاصة كانوا يلبسون عمامة بيضاء. ومن ذكرهم: عبد الله بن عمر^(٥)، وسالم مولى عمر^(٦)، وعلي بن الحسين^(٧)، وأبو هريرة^(٨)، وسعيد بن المسيب^(٩)، وخارجة بن زيد^(١٠)، والقاسم بن محمد^(١١).

(١) ابن سعد ١/٢٠١، مسند الشافعي ١/٢٠٧، وانظر عن مواضع ورود هذه الأحاديث في الصحاح (فنيك المعجم المفهرس)، مادة (أبيض). ومما يجدر ذكره هنا ما قاله الجاحظ عن السامانيين «ومن قوانين الملك أن يكون منديل غمرة» (الناج ١٧).

(٢) الأم ١/١٧٤.

(٣) البركة في فضل السعي والحركة ٤٩.

(٤) الكافي ٦/٤٦٢.

(٥) ابن سعد ٥/١٥٢.

(٦) المصدر نفسه ٥/١٤٦.

(٧) المصدر نفسه ٥/١٦١.

(٨) المصدر نفسه ٤-٢/٥٨.

(٩) المصدر نفسه ٥/١٠٢.

(١٠) المصدر نفسه ٥/١٩٤.

(١١) المصدر نفسه ٥/١٠٢.

ونافع بن جبير^(١)، ومحمد النفس الزكية. وذكر ابن سعد أيضاً أنه كانت للمخليفة علي قننسة بيضاء مصرية (مضربة ؟)^(٢). كما ذكر قننسة بيضاء كان يلبسها عبد الله بن عبد الله^(٣) والقاسم بن محمد^(٤) وسعد بن عبد الله^(٥) وسالم^(٦) وعلي بن الحسين^(٧) وعبد الله^(٨). وذكر الكليني أن الرسول (ص) يلبس قننسة بيضاء^(٩). أما العجائب البيض، فقد ذكر أن عكرمة كان يلبسها^(١٠)، وكان محمد النفس الزكية يلبس قميصاً أبيض^(١١)، وكان نافع بن جبير لا يلبس إلا البياض^(١٢)، وكان الرداء الأبيض من خصائص المسلمين، فيروي الجاحظ أن أسد بن هاني، وهو طبيب مسلم لم يلق نجاحاً، ومن أسباب ذلك أنه كان عليه رداء قطن أبيض وكان ينبغي أن يكون رداؤه حريراً أسود^(١٣).

تردّد في الملبوسات ذكر الرباط البيض، فقال الأزهري: «لاتكون الربطة إلا بيضاء»^(١٤). وروى ابن حنبل حديثاً جاء فيه: «أما المسلم فتدع وجهه مثل الربطة البيضاء»^(١٥). وفي حديث آخر: «... فيؤتى بربطتين بيضاوين من رباط الجنة»^(١٦). ونقل ابن منظور بيتاً أشار فيه إلى ذلك:

لا مهلّ حتى تُلحقي بعننٍ أهل الرباط البيض والقلنسي^(١٧)

(١) ابن سعد ١٨٦/٦.

(٢) المصدر نفسه ١٩/١-٣.

(٣) المصدر نفسه ١٥٠/٥.

(٤) المصدر نفسه ١٤٢/٥.

(٥) المصدر نفسه ١٥٢/٥.

(٦) المصدر نفسه ١٤٦/٥.

(٧) المصدر نفسه ١٦١/٥.

(٨) المصدر نفسه ١٤٦/٥.

(٩) الكافي ٤٦١/٦-٤٦٢.

(١٠) ابن سعد ٢١٥/٥.

(١١) الطبري ٢٢٤/٣.

(١٢) ابن سعد ١٥٢/٥.

(١٣) البخلاء ٩٠.

(١٤) لسان العرب ١٧٨/٩.

(١٥) ابن حنبل ١٤/٤.

(١٦) المصدر نفسه ٣٩٨/١.

(١٧) لسان العرب ٦٤/٨.

اشتهرت بعض المنسوجات باللون الأبيض، فقد ذكر ابن سعد: «البرود الغالية البيض» التي كان يلبسها سعيد بن المسيّب^(١). وأشار حسان بن ثابت إلى البرود البيض قائلاً:

الدارُ واسطةٌ والنخلُ شاردةٌ والبيضُ يرفلن العشى كالبرد^(٢)

البرد ثوب فيه خيوطٌ وخص بعضهم فيه الوشي. وثوب أبرد فيه لمع سواد وبياض يمانية. الليث: البرد معروف من برد العصب والوشي^(٣). كما ذكرت الثياب البيض السحولية^(٤). ووردت أحاديث كثيرة تذكر أن الرسول (ص) «كفن في ثياب سحولية بيض»^(٥)، وكذلك كفن أبو بكر^(٦).

ومن المنسوجات البيضاء القبطية وهي «ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر وهي منسوبة إلى القبط...». وقال شمر: القباطي ثياب إلى الدقة والرقعة والبياض.. وفي حديث أسامة: كساني رسول الله (ص) قبطية: القبطية الثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء... وفي حديث قتل ابن أبي الحقيق: ما دلنا عليه إلا بياضه في سواد الليل كأنه قبطية...^(٧).

وذكرت من المنسوجات البيض القهوية وهي «ضرب من ثياب بيض... قال ذو الرمة: «من القز والقوهي بيض المقالع». وأنشد ابن بري لنصيب:

سودت فلم أملك سوادي وتحتّه قميص من القوهي بيض بنائقه^(٨)
وقال سحيم:

كسيث قميصاً ذا سوادٍ وتحتّه قميص من القوهي بيض بنائقه^(٩)

(١) ابن سعد ٩٩/٥.

(٢) الأغاني ١٦٠/٤.

(٣) لسان العرب ٥٣/٤.

(٤) المصدر نفسه ٢٤٨/١٣، ديوان الهذليين ١٠/٢.

(٥) انظر فتلك مادة (أبيض)، وانظر ابن سعد ٦٣-٦٧/٢، الموطأ ١٧٣/١.

(٦) ابن سعد ٣-١/١٤٣، ١٤٦.

(٧) لسان العرب ٢٤٨/٩، وانظر أيضاً المصاحح ٥٦١/١.

(٨) لسان العرب ٤٢٩/١٧.

(٩) الأغاني ٢/٢٠.

ومن المنسوجات البيضاء الكرياس^(١) والشرافي^(٢) والخزوق^(٣) والدخدار^(٤) وكذلك بعض ثياب الشام^(٥). كان البياض هو اللون المستحب في لباس الأحرار، فكان عمر بن الخطاب يقول: «وإن أحسن ما يلبس المحرم البياض»^(٦). ويقول الشافعي: «وأحب ما يلبس إليّ البياض، فإن جاوزه بعصب اليمن والقطري وما أشبه مما يصبغ غزله ولا يصبغ بعدما ينسج فحسن»^(٧). والشافعي يفضل أن تلبس النساء في الصلاة البياض ويكره لهن الصبغ لأنها تشبه الزينة^(٨).

ويروى أن الخليفة الوليد بن عبد الملك كان يصلي في ثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة. وقد استدل فان فولتن من هذا أن شعار الأمويين كان البياض^(٩). ولكنني لم أجد في الكتاب إشارة تدل على أن البياض كان شعار الأمويين في دولتهم، غير أنه بعد مقتل مروان وزوال الدولة الأموية اتخذ بعض الثائرين على العباسيين شعاراً لهم البياض؛ ففي سنة ١٣٢ «خلع أبو الورد أبا العباس بقنسرين فيّض وبيّضوا معه»^(١٠). كما «خلع حبيب بن مرة المري وبيّض في الجزيرة»^(١١).

ويقول ابن منظور «المبيضة فرقة من الثنوية، وهم أصحاب المقتنع، سوا بذلك لبييضهم ثيابهم خلافاً للمسودة من أصحاب الدولة العباسية»^(١٢).

(١) القاموس المحيط ٢/٢٤٥، وفي لسان العرب ٨/٧٩ أن الكرياس هو القطن.

(٢) لسان العرب ١٧/٤٢٩.

(٣) القاموس المحيط ٣/٢٢٧.

(٤) لسان العرب ٥/٣٦٤.

(٥) ابن سعد ٣-١/١٢٢.

(٦) المصدر نفسه ٣-١/١٥٦.

(٧) الأم ١/١٧٤.

(٨) المصدر نفسه ١/٢٠٧.

(٩) السيادة العربية ١٢٥.

(١٠) الطبري ٣/٥٣.

(١١) المصدر نفسه ٣/٥٥.

(١٢) لسان العرب ٨/٢٩٧، وانظر كتاب صديقي عن الحركات الدينية الإيرانية ص ١٧٠.

ويذكر ابن منظور أيضاً: «يقال للحرورية المبيضة لأن راياتهم في الحروب كانت بيضاء»^(١). غير أنه لم يذكر متى بدأ الحرورية يستعملون البياض شعاراً لهم.

ولما ثار محمد النفس الزكية كان عليه قميص أبيض محشور، وعمامة بيضاء ثم وجه إلى مكة فأخذت له البيعة ويتضوا معه^(٢) وكان أصحابه يلبسون البياض^(٣) وكانو يدعون المبيضة^(٤).

أرسل ابن عبد الله إلى السند داعياً إلى الثورة فأجابه أهلها «فقطع الأعلام البيض والقلانس البيض وهياً لبسه من البياض يصعد فيها إلى المنبر»^(٥).

وعندما كان المأمون في خراسان بعد مقتل الأمين، حدثت عدة ثورات قام بها العلويون في الكوفة ومكة والبصرة واليمن، وقد أشارت بعض المصادر إلى أن هؤلاء الشوار كانوا يتخذون البياض شعاراً لهم، فقد ذكر الطبري «تبييض أخي أبي السرايا»^(٦). وقال الأزدي أنه في سنة ١٩٩ دخلت المبيضة مكة في موسم هذه السنة^(٧). وقد صرح الطبري أن الذي دخل مكة في تلك السنة هو الحسن الأفطس العلوي. أما المطهر المقدسي فيذكر ممن يتض ابن طباطبا بالكوفة، وعلي بن محمد، ومحمد بن سليمان بالبصرة، وابن الأفطس بمكة^(٨).

ويبدو أن البياض أصبح في العصر العباسي شعار العلويين، فيذكر السمعاني «المبيضة طائفة من الشيعة ولهم لواء خلافت لواء بني العباس فإن لواءهم أسود، يقال لهم المبيضة، وجماعة منهم بنو يحيى بخارا إلى الساعة يقال لهم سبيل

(١) لسان العرب ٢٨٨/٥.

(٢) الطبري ٢٢٤/٣.

(٣) المصدر نفسه ٢٤٠/٣.

(٤) المصدر نفسه ٢٣٢/٣، ٢٩٧.

(٥) المصدر نفسه ٣٦١/٣.

(٦) المصدر نفسه ١٠١٨/٣.

(٧) تاريخ الموصل ٣٣٨.

(٨) البدء والتاريخ ١٠٩/٦-١١٠.

جامكان قيل إنهم يسكنون قصر عميرة^(١). ويذكر عريب أنه في سنة ٢٩٣ «كان القرامطة أظهروا الأعلام البيض»^(٢). وقد اشتبك الداعي العلوي في سنة ٢٨٧ مع العباسيين «فكانت وقعة وكانت للمبيضة على المسودة»^(٣). وعندما كان المتقي في الرقة، استدعى رجلاً عالماً بالأخبار «فقال للرجل ما تحفظ من أشعار المبيضة وأخبارها، فمر الرجل في أخبار آل أبي طالب إلى أن صار إلى أخبار الحسن بن زيد وأخيه محمد بن زيد وما كان من أمرهما ببلاد طبرستان»^(٤). ولما دخل الحسن بن القاسم الحسيني الري كشب المقتدر إلى نصر بن أحمد يقرعه وقال: «أهملت البلد حتى دخلت المبيضة»^(٥).

ويذكر المقرئ أن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله كان يلبس دراعة صوف بيضاء^(٦)، وأن الظاهر كان يظهر للناس وعليه ثياب دبيقية بيضاء^(٧)، وأنه كان يلبس عمامة بيضاء مذهبة^(٨).

الأبيض لون لباس الحاذ:

كان اللون الأبيض لباس الحاذ في الحجاز في العهود الأولى، فقد قالت عائشة عن لباس الحاذ على زوجها: «لا تلبس ثوباً مصبوغاً ولا مصفراً وتلبس البياض ولا تلبس السواد». وقال مالك: «لا بأس أن تلبس (الحاذ) من الحرير الأبيض»^(٩). ويقول الشافعي: «لا بأس أن تلبس (الحاذ) كل ثوب وإن جاء من البياض ليس بمزينة»^(١٠).

(١) الأنساب ٥٠٦ ب.

(٢) ذيل تاريخ الطبري ٨.

(٣) مروج الذهب ١٩٤/٨.

(٤) المصدر نفسه ٣٥٣/٨.

(٥) المصدر نفسه ٦/٩، ويذكر المسمودي أن محمد بن الحسن بن سهل تصنيفات عن أخبار

المبيضة مروج الذهب.

(٦) أعيان الحفا ١٠١/٢.

(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٣٤، ١٥٠، ١٦٠.

(٨) المصدر نفسه ٢/ ١٥٩، ١٦٠.

(٩) المدونة ١١٤/٥.

(١٠) الأم ١١٣/٥.

أكد الفقهاء وجوب عدم لبس الحادّ الثياب المصبغة، فقال أبو عمر: «ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب تتجلبب به... وكان لا يرى بأساً أن تلبس البردة»^(١). وسئل مالك «في الحادّ فهل تلبس الثياب المصبغة من هذه الدكن والصفر والمصبغات بغير الورس والزعفران والعصفر، فقال لا تلبس شيئاً منه ولا صوفاً ولا قطناً ولا كتاناً صبغ بشيء من هذا إلا أن تضطر إلى ذلك من برد ولا تجد غيره»^(٢). ويقول أيضاً: «ولا تلبس خبزاً ولا حريراً مصبوغاً ولا ثوباً مصبوغاً بزعفران ولا عصفر ولا خضرة ولا غير ذلك، فقلنا لمالك فهذه الجباب التي تلبسها النساء للشتاء التي تصبغ بالدكن والخضر والصفر والحمرة وغير ذلك، قال لا يعجبني إلا أن لا تجد غير ذلك وتضطر إليه... فقلت لمالك هل تلبس الحادّ البياض الجيد الرقيق منه، قال نعم فلم ير لذلك بأساً، ووسع في البياض كله للحادّ رقيقه وغليظه... قال من المصبوغ كله: الجباب من الكتان والصوف الأخضر والأحمر إنها لا تلبسه»^(٣).

ويقول الشافعي: «ولا بأس أن تلبس الحادّ كل ثوب وإن جاء من بياض لأن البياض ليس بمزينة، وكذلك بصوف الوبر وكل ما نسج على وجهه، وكذلك كل ثوب منسوج على وجهه لم يدخل عليه صبغ من خبز ومروي إيريسم أو حشيش أو صوف أو وبر أو شعر أو غيره، كذلك كل صبغ لم يُرد به تزيين الثوب مثل السواد وما أشبهه، فإن من صبغ السواد فإنما صبغه لتفريقه للحزن»^(٤).

إن الفقرة الأولى من كلام الشافعي تدلّ على أن البياض هو اللون المستعمل للحزن، غير أن الجملة الأخيرة تدلّ على أن السواد أيضاً هو لون الحزن. ولما كان الشافعي قد عاش في الحجاز وبنّاد ومصر، فإننا لا نعلم في أي الأقاليم ساد كل لون منهما. وهو أنه قد أخذ في زمنه يعمّ البلاد الإسلامية.

ويقول الرشيد إن «البياض عندهم من لبس المهجورات، والأزرق من لبس الأرامل والمفرعات»^(٥). وكانت المتطرفات يلبسن «السراويلات البيض المذيلة،

(١) تفسير الطبري ٣١٨/٢، المدونة ١١٣/٥.

(٢) المدونة ١١٣/٥.

(٣) المصدر نفسه ٢١٣/٥.

(٤) الأم ٢١٤/٥.

(٥) الموشى ١٨٤.

والمعاجر السود المستنبلة ليس البياض عندهم من زي الرجال^(١). وفي الجواريب والتكك لا يذهبن من ألوانها إلى البياض ولا ما كان كثير الألوان والخليط، ولا يلبسن من الثياب البيض الكتان إلا ما كان ملوناً من جنسه أو منيراً بلون.

اللون الأسود:

يقول الكليني «إن الرسول (ص) يكره السود إلا في ثلاث: الخف والعمامة والكساء»^(٢). ويذكر البخاري: «لم تر عائشة بأساً بالحلي والثوب الأسود»^(٣). ويتبين من هذين النصين أن اللون الأسود لم يكن محبباً، ولكنه في نفس الوقت مباح وغير مكروه.

والسود هو اللون الذي تميزت به بعض المنسوجات والثياب، فالسجية هي كساء أسود^(٤)، «قيل إنها بردة من الصوف فيها سواد وبياض»^(٥). وذكر في مكان آخر أن «البردة كساء مربع أسود فيه صقر»^(٦).

والخميصة «كساء أسود مربع له علمان»^(٧)، وهي «لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلّمة»^(٨). وقد ورد ذكر الخميصة السوداء في بعض الأحاديث النبوية^(٩). وذكرت المصادر أن ممن كان يلبسها عثمان^(١٠) والإمام علي^(١١).

(١) الموشى ١٨٤.

(٢) الكافي ٤٤٩/٦. ويذكر الخطيب* الحمرة صباغ الإسلام والسود صباغ آل فرعون، الجامع لأخلاق الراوي والسامع ٣٨١/١.

(٣) الصحاح ١٥٣/١.

(٤) لسان العرب ٥٣/٤.

(٥) المصدر نفسه ١١٨/٣.

(٦) المصدر نفسه ٥٣/٤.

(٧) التماثلي فقه اللغة ٢٤٦.

(٨) لسان العرب ٢٩٦/٨.

(٩) انظر النسائي استسقاء ٣، ٦٥، أبو داود استسقاء ١.

(١٠) ابن سعد ٣-٣٩/١، أنساب الأشراف ٣/٥.

(١١) ابن سعد ٣-٢٠/١.

والبرد كساء مربع أسود فيه صفر تلبسه الأعراب^(١). وقد ذكرت للرسول (ص) بردة سوداء من صوف^(٢).

ومن الملابس التي عرفت باللون الأسود، الخمار، ويبدو أن الخمار الأسود لم يكن في أوائل الإسلام مرغوباً بالحجاز إلى أن قدم المدينة تاجر من أهل الكوفة بخرم فباعها كلها وبقيت منها السود فلم تنفق وكان صديقاً للدارمي فنظم له الدارمي قصيدة يتغزل فيها بحسنة كانت تلبس الخمار الأسود فلم تبق بالمدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفذ ما كان مع العراقي منها^(٣). وكانت جيشان ينسب إليها الخمر السود^(٤). وقد رويت عدة نصوص تذكر أن عائشة كانت تلبس خماراً أسود جيشانياً^(٥).

ومن الملابس المصبوغة بالأسود القميص، وقد ذكر الأصفهاني أن الفرزدق كان يلبسه^(٦) والحجة كان يلبسها معاوية^(٧) ومحمد النفس الزكية^(٨) والقباء المروي^(٩) والبرنس والمرط^(١٠). والساج هو الطيلسان الأسود^(١١).

أما الدرايع السود، فتروي بعض المصادر أن أول من لبسها المختار بن عبيد الثقفي، وقد لبس علي بن الحسن دراعة سوداء^(١٢). ويذكر وكيع أن قوماً جاؤوا يشهدون عند وكيع «عليهم ثياب سود عليهم خفاف بعصبة وكأنهم من الأكراد، وكأنهم ليسوا مسلمين»^(١٣). وقد يفهم من هذا أن الأكراد كانوا يعرفون

(١) لسان العرب ٥٣/٤.

(٢) ابن حنبل ١٦٣/٦، ٢٤٩، ٢١٩.

(٣) الأغاني ٤٥/٣.

(٤) البكري، معجم ما استعجم ٤١٠.

(٥) ابن سعد ٣٦٣، ٣٥٨، ٥١/٨.

(٦) الأغاني ٤٠/١٩.

(٧) ابن سعد ٨٣/١-٤.

(٨) الطبري ٢٢٤/٣.

(٩) الأغاني ٥٣/١٨.

(١٠) الأم ٢٠٦/١.

(١١) أنساب الأشراف ٥٠٨/١.

(١٢) ابن فنية، المعارف ٢٤٠؛ ابن رسته، الأعلام ١٩٢.

(١٣) وكيع، أخبار القضاة ٣١٨/٢.

يلبس الثياب السود. ومن زي المتطرقين وذوي المروءة أن يلبسوا من النعال «ويشرك أسودها بأحمر وأصفر بأسود»^(١). وفي القرن الرابع الهجري كان من خصائص جرجان الثياب السود^(٢).

أما العمامة السوداء، فقد روي أن الرسول كان يلبسها^(٣). كما ذكرت المصادر عدداً كبيراً من الصحابة والتابعين ممن كانوا يلبسون عمامة سوداء، ومنهم عبد الرحمن بن عوف^(٤)، والإمام علي^(٥)، وعمر^(٦)، ومعاوية^(٧)، ومحمد بن علي^(٨)، وسعيد بن المسيب^(٩)، وعبد الرحمن بن زيد^(١٠)، وعبد الله بن عمر^(١١)، وابن جامع^(١٢). وفي سنة ١٢٩ تقدم أبو حمزة الخارجي إلى عرفة ولهم أعلام عمام سود حرقانية في رؤوس الرماح وهم في سبعمئة^(١٣). وممن كان يلبس حرقانية: ابن الحنفية^(١٤)، وعبد الله بن عمر^(١٥). وممن ذكرت المصادر انه لبس خزاً أسود عمر بن أبي ربيعة^(١٦).

كثير ذكر استعمال القلانس السود في العصر العباسي، فيروي الأصبهاني أنه «كان أبو جعفر قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها»^(١٧). وكان ابن جامع يعتّم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس

- (١) الموشى ١٧٩.
- (٢) الثعالي، لطائف المعارف ١٩٠.
- (٣) ابن سعد ١-٢/١٥٠، أنساب الأشراف ٥٠٧/١.
- (٤) ابن سعد ٣-١/٩٣، لسان العرب ٨٠/١٣.
- (٥) ابن سعد ٣-١/٨١.
- (٦) عيون الأخبار ٤٦/٣.
- (٧) ابن سعد ٤-١/٨٣، تاريخ الخلفاء ٢/٢٨٤.
- (٨) ابن سعد ٥/٥٨.
- (٩) المصدر نفسه ٥/١٠٢، الأم ٢٠٦/١.
- (١٠) ابن سعد ٦/٨٣.
- (١١) المصدر نفسه ٤-٢/١١.
- (١٢) الأغاني ٦/٢٩١.
- (١٣) الطبري ٢/١٩٨١.
- (١٤) ابن سعد ٥/٨٤.
- (١٥) المصدر نفسه ٤-٢/١١.
- (١٦) الأغاني ١١/١٧١.
- (١٧) المصدر نفسه ١٠/٢٣٦.

لباس الفقهاء^(١). وروي أن حمزة بن أبي سلالة «على رأسه قلنسوة سوداء»^(٢). وكان داود الطائفي ت ١٦٥ «لا يشبه القراء، عليه قلنسوة سوداء طويلة مما يلبس التجار»^(٣).

أصبح للون الأسود أهمية في الألبسة، وبخاصة، منذ أن اتخذ العباسيين شعاراً لهم. وهذا دفع عدداً من الباحثين إلى دراسة أصول استعمال العباسيين اللون الأسود، ومن أبرزهم فان فلوتن الذي يقول: «كان البياض شعار الأمويين إلى ذلك الحين، فاتخذ العباسيون السواد شعاراً لهم حداً على الشهداء من آل البيت الذين ذهبوا ضحية استبداد الحكومة الأموية وقسوتها». ولا يبعد أن يكون الأمويون قد اتخذوا البياض شعاراً لهم بعد أن قامت الدولة العباسية وبعد اتخاذ الخلفاء العباسيين السواد شعاراً لهم. ثم يذكر أن الأئمة السوداء لم تكن يوماً شعاراً للحداد، وأن الحارث بن سريج وبهلول الخارجي وأبو حمزة الخارجي قد اتخذوها شعاراً لهم، وأن لها علاقة بمحاربة الضلالة، وأنها تمثل لواء الرسول (ص) الذي كان يحمله في حروبه مع الكفار^(٤).

ذكر كتاب (أخبار الدولة العباسية) المجهول المؤلف نشأة اتخاذ العباسيين السواد شعاراً لهم وأسبابه، فقال إن إبراهيم الإمام قال لأبي هاشم بكير بن ماهان في ذلك: «والسواد يا أبا هاشم لباسنا ولباس أنصارنا وفيه عزنا، وهو جند أيدنا الله به وسأخبرك عن ذلك كانت راية رسول الله (ص) سوداء، وكانت راية علي بن أبي طالب سوداء، فعليكم بالسواد فليكن لباسكم الثياب والرايات السود... فانصرف أبو هاشم... ويعث أبو سلمة إلى خراسان، ودفع له ثلاث رايات سود وأمره أن يدفع واحدة إلى من يمر من الشيعة ويدفع واحدة إلى من بجرجان من الشيعة، ويعث بواحدة إلى ما وراء النهر، فشخص أبو سلمة إلى خراسان، وكان أول من قدمها بالرايات السود. وكان مما قوى راية الأئمة في السواد أمور: منها ما جاء فيه من ظهور الرايات السود. ومنها

(١) الأغاني ٢٩١/٦.

(٢) المصدر نفسه ٣٥/٢١.

(٣) ابن سعد ٢٥٥/٦.

(٤) السيادة العربية ١٢٥.

أن راية الرسول (ص) كانت سوداء. ومنها أن راية علي بن أبي طالب (رض) كانت سوداء وفيها يقول القائل يوم صفين:

لمن راية سوداء بخفق ظلها إذا قيل قدمها يزيدُ تقدماً

ومنها أنه كان لباس داود حيث لقي جالوت فظفر به السواد، ومنها أن بني عبد المطلب لم يزالوا يتيمنون بالسواد. «ويذكر أن قريشاً لما حفروا زمزم وجدت غزالين مصنوعين بالذهب مكللين بالجواهر، فحكّموها كاهناً فقال أن يسهموا فمن خرج سهمه كان له الغزال فلم يزل بنو عبد المطلب يتيمنون بالسواد مذ ذلك».

وقد أضاف الكتاب رواية عن عمرو بن شعيب أن شيعة العباسيين استوحشوا من السواد فأجابهم أبو هاشم «أن عز هذه الدولة فيه، ولا تزال دعوة بني هاشم عزيزة ما لبس السواد أهلها، وقد كانت الأنصار لما أصابت قريش ومن كان معها ما أصابت من النبي (ص) وأصحابه يوم أحد سودوا الثياب، كما تصنع العرب في ثيابها عند المصائب... فقال أبو هاشم قد تثابعت على آل رسول الله (ص) مصائب لا يذكر معها لأشياعهم لباس السواد حتى يدركوا بثأرهم»^(١).

وفي راية الرسول يتبنّى فان فلوثن رأي من قال «الألوية تمثل لواء الرسول الذي كان يحمله في حروبه مع الكفار، وذلك اللواء الذي اتفقت جميع المصادر التي اعتمد عليها أنه كان أسود»، وقد ذكر فلوثن مصادره.

فأما راية الرسول ولواؤه، فإن ابن سعد يذكر أن الألوية التي أعطاها الرسول لمن قاد سرايا السبع الأولى كانت بيضاء^(٢)، وأن الرسول (ص) عقد لكل من عمرو بن العاص في سريره إلى ذات السلاسل، ولعلي في سريره إلى الفلّس لواءً أبيض وراية سوداء^(٣). وكلتا السريتين حدثتا بعد فتح مكة، ولم يذكر ابن سعد ألوان ألوية الرسول وراياته في الغزوات الأخرى.

(١) أخبار الدولة العباسية ٢٤٥-٢٤٧.

(٢) ابن سعد ١-٢/٢-٤.

(٣) المصدر نفسه ١-٢/٢-٩٥، ١١٩.

أما في فتح مكة، فيذكر ابن سعد أنه «دخل النبي (ص) مكة وعليه عمامة سوداء»^(١). ويقول البلاذري «دخل رسول الله (ص) مكة وعليه عمامة سوداء ولواء أسود»^(٢). ويذكر أن خالد بن الوليد عندما كان يحاصر دمشق من ثنية العقاب نشر راياته «وهي راية كانت لرسول الله (ص) سوداء»^(٣) ومن هذا يتبين أن الرسول لم يقتصر براياته على اللون الأسود، بل كان بعضها أبيض. ولم يقطع أحد القول بأن كل رايات الرسول كانت سوداء. أما راية الإمام علي في صفين فإن نصر بن مزاحم يذكر أن الراية كانت حمراء^(٤).

لم تذكر المصادر عن استعمال الرايات السود قبل العقد الثاني من القرن الثاني، حيث استعملها بعض الثوار في العراق والجزيرة وفي خراسان، فيروي الذهبي أن يزيد بن المهلب لما ثار على يزيد بن عبد الملك نصب رايات سوداء^(٥).

ويذكر الطبري أن بهلول الخارجي لما ثار في العراق كان معه لواء أسود^(٦)، وأن حمزة الخارجي عندما هاجم المدينة طلع جيشه «أعلام وعمائم سود حرقانية»^(٧). وفي رواية يذكر: «يقال للحرورية المبيضة لأن راياتهم في الحروب كانت بيضاء»^(٨).

أما في خراسان فإن الحارث بن سريج عندما تقدّم إلى مرو كان عليه يومئذ السواد^(٩). وذكر الكميّ يحرض فيها أهل مرو على الانضمام للحارث:

وإلا فارفعوا الرايات سودا على أهل الضلالة والتعدي^(١٠)

(١) ابن سعد ٢-١ / ١٠١.

(٢) أنساب الأشراف ١ / ٣٥٥.

(٣) فتوح البلدان ١١١، ياقوت ١ / ٩٣٥.

(٤) وقعة صفين ٢٨٩.

(٥) تاريخ الإسلام ٤ / ١٥٠.

(٦) الطبري ٢ / ١٦٢٤.

(٧) المصدر نفسه ٢ / ١٩٨١.

(٨) لسان العرب ٥ / ٢٨٨.

(٩) الطبري ٢ / ١٥٧٠.

(١٠) المصدر نفسه ٢ / ١٥٧٤.

ومن هذا يتبين أن اللون الأسود استعمل في زمن الرسول وصدر الإسلام في الألبسة والعمائم، ولكن ليس بصورة رائجة أو كشعار ثابت ومميز، ثم صار منذ العقد الثاني الهجري شعاراً لثائرين متباينين في الأفكار كالخوارج والحرث بن سريح المرجيء والعباسيين. ولعل استعماله وانتشاره في الشعارات راجع إلى بعض الآراء الشعبية التي سادت عن ظهور منقذ للعالم، وفكرة الرايات السود التي تظهر من المشرق لتنقذ العالم^(١).

ويذكر أبو هلال العسكري أن إبراهيم الإمام لما قتله مروان «لبس شيعته السواد فلزمهم وصار شعاراً لهم»^(٢).

ولما أبطل المأمون لبس السواد وأمر بلبس الخضرة استاء الناس «لتركه لباس آبائه من السواد ولبس الخضرة»^(٣). وطلبوا إليه أن «يرجع إلى لبس السواد وزي دولة الآباء»^(٤). فلما عاد إلى السواد هدا الناس.

اللون الأدكن والمرنباني

ذكر الأدكن لوناً للحز الذي كان منه مطرف كل من القاسم بن محمد^(٥)، وعروة بن الزبير^(٦)، وكذلك برنس ابن أبي أوفى^(٧). وكان هذا أيضاً لون حبة كل من الحسين بن علي^(٨)، وجعفر الصادق^(٩) وبعض الكتاب^(١٠). أما المرنباني، فهو «لونه لون الأرنب، والمؤرنب ما قد خلط غزله وبر الأرنب»^(١١). ولم تذكر المصادر ما لونه أرنباني.

(١) انظر ابن حنبل ٢٧٧/٥، الترمذي فتن ٧٩، ابن ماجه الفتن ٧٩.

(٢) الأوائل ٢١٠.

(٣) الطبري ١٠١٦/٣.

(٤) المصدر نفسه ١٠٣٧/٣.

(٥) ابن سعد ١٤٣/٥.

(٦) المصدر نفسه ١٤٣/٥.

(٧) المصدر نفسه ٣٦/٢-٤.

(٨) الكافي ٤٥٢/٦.

(٩) حلية الأولياء ١٩٨/٣.

(١٠) الأغاني ٨٣/١٣.

(١١) المخصص ٨٠/٤.

اللون الأخضر:

ذكرنا من قبل أن اللون الأخضر تكرر ذكره في القرآن الكريم، وأن بعض الآيات ذكرت أن لباس أهل الجنة ثياب سندس خضر. وقد ذكرت المصادر عدداً من المنسوجات والثياب الخضر ومنها الحضرمي المخضر^(١)، والجنادي الأخضر الذي سترت فيه الكعبة^(٢)، والمروط «قيل هو الثوب الأخضر»^(٣). كما ذكر الرفرف «ثياب خضر تبسط»^(٤)، والخوخة «ضرب من الثياب خضر»^(٥). ولم يكن الأخضر من الألوان المكروهة في الأوساط الدينية^(٦).

وقد ذكر أن الساج طليسان أخضر^(٧)، وبرنكان أخضر^(٨). غير أن أكثر المنسوجات التي تردد ذكر لونها الأخضر هو الخز. فقد ذكر مطرف: خز أخضر على زياد^(٩)، وعلى الشعبي^(١٠)، وجبة خز أخضر يلبسها القاسم بن محمد^(١١)، وقلنسوة، كما ذكر مالك برداً أخضر^(١٢).

اهتم هشام بن عبد الملك بالمنسوجات، وإليه ينسب الخز الأخضر الهاشمي^(١٣)، ونهى مالك أن «تلبس الحداة خزاً ولا حريراً مصبوغاً ولا ثوباً مصبوغاً بزعفران ولا عصفراً ولا خضرة ولا غير ذلك. ولما سئل عن الجباب التي تلبسها النساء للشتاء التي تصبغ بالذككن والأخضر والصففر والحممر وغير ذلك، قال لا يعجبني إلا أن لا تجد غير ذلك وتضطر إليه»^(١٤).

(١) سيرة ابن هشام ٩٥/٢، الأغاني ١١/٩.

(٢) لسان العرب ١٠٦/٤.

(٣) المصدر نفسه ٢٧٨/٩.

(٤) المخصص ٧٦/٤.

(٥) المصدر نفسه ٧٣/٤.

(٦) البركة في فضل السعي والحركة ٤٩.

(٧) الصحاح ١٥٤/١، المخصص ٧٩/٤، لسان العرب ١٢٧/٣.

(٨) الأغاني ٦٠/٢١.

(٩) الطبري ١١٥/٢، الأغاني ٣/١٦.

(١٠) ابن سعي ١٧٦/٦.

(١١) المصدر نفسه ١٤٠/٥.

(١٢) الموطأ، حدود ٢٥.

(١٣) الذخائر والتحف ٢١١.

(١٤) المدونة ١١٤/٥.

أما الشافعي، فيرى أنه لا يجوز أن تلبس الحاذ كل ما صيغ لغير تزيينه، إما لتقيحه أو لنفي الوسخ عنه مثل الصباغ بالسدر وصباغ الغزل بالخضرة وتقارب السواد، ولا الخضرة الصافية وما في مثل معناه^(١).

يذكر الوشاء أن «لبس المورّد والأحمر والسنيري والأخضر إنما هو لبس التبّطيات ولبس الإماماء المتقينات»^(٢).

أما شعار الخضرة، فلم أجد من اتخذه في العهود الإسلامية الأولى إلا المأمون بعدما وليّ الخلافة وهو في خراسان، فيقول الطبري إن المأمون كتب إلى طاهر بن الحسين «وأمره بطرح لبس الثياب السود ولبس الخضرة... أن يأمر من قبله من أصحابه والجنّد والقواد وبني هاشم بالبيعة له وأن يأخذهم بلبس الخضرة في أقبّيتهم وأعلامهم، ويأخذ أهل بغداد جميعاً بذلك»^(٣). ويقول المسعودي إن المأمون «أمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام، وأظهر بدلاً من ذلك الخضرة باللباس والأعلام وغير ذلك، ونمى ذلك إلى من في العراق من ولد العباس، فأعظموا إذ علموا أن في ذلك خروجهم لا أمر عنهم»^(٤).

أثار عمل المأمون استياء أهل بغداد، وكان من العوامل التي حملتهم على تأييد الثورات التي قام بها إبراهيم بن المهدي وأبو السرايا ضده. وإذا رأوا في عيوبه «تركه لباس آبائه من السواد ولبسه الخضرة». فأرادوا أن «يرجع إلى لبس السواد وزيّ دولة الآباء»^(٥). والواقع أن المأمون حالما عاد إلى بغداد أبطل لباس الخضرة وعاد إلى لباس السواد^(٦).

أخذ المأمون لباس الخضرة في زمن قريب من اختياره عليّ الرضا، العلوي

(١) الأم ٢١٤/٥.

(٢) الموشى ١٨٤.

(٣) الطبري ١٠١٣/٣.

(٤) مروج الذهب ١٠١٦/٣.

(٥) الطبري ١٠١٦/٣.

(٦) المصدر نفسه ١٠٣٧/٣.

ولي عهد له، وأعطى هذا انطباعاً عند البعض أن الخضرة شعار العلويين. والواقع أن هذا ليس له سند تاريخي، ولا علاقة بين لباس الخضرة واختيار علي الرضا، وذلك أن شعار العلويين البياض كما ذكرنا، وأن علي الرضا نفسه نصح المأمون بإبطاله وقد أعطى بعض الباحثين المحدثين لذلك تعليقات يصعب قبولها^(١). ويروى أن الفضل بن سهل هو الذي دفع المأمون إلى اتخاذ شعار الخضرة لأنه كان شعار الساسانيين، وأن علياً الرضا هو الذي نصح المأمون بإبطال شعار الخضرة^(٢). وذكر حمزة الأصبهاني ألوان شعارات وسراويل وتيجان الملوك الساسانيين، وذكر خمسة وعشرين ملكاً ساسانياً منهم ثلاثة عشر ملكاً كانت ألوان تيجانهم خضراً^(٣). كما ذكر ابن اسفنديار أن إصبهذ طبرستان أرسل إلى المنصور ما كان يرسله الساسانيون من أموال، ومنها ثلاثمائة حمل من بسط وألبسة من الحرير الأخضر^(٤).

اللون الأزرق والكحلي والبنفسجي:

لم تذكر المصادر نسيجاً أو ملبوساً أزرق إلا طيلسان لعلي بن الحسين^(٥). وذكر الوشاء عند كلامه عن زي الظرفاء وذوي المروءة من الرجال «الطيالة القومسية الزرق السلوية»^(٦). وورد في حكاية أبي القاسم أن الأمة «تجلس فتمد في وجهها إزار قصب أبيض رقيق وهي من ورائه في إزار أزرق»^(٧). ويقول الوشاء: «الأزرق والحداد لبس الأرامل والمقرعات»^(٨).

(١) أنظر هذه الآراء مقال الدكتور فاروق عمر، الألوان.

(٢) عيون أخبار الرضا.

(٣) تاريخ سني ملوك الارض والأنبياء ٤٤-٥٥.

(٤) تاريخ اسفنديار ١١٨ (ترجمة بروان).

(٥) الكافي ٤٤٩/٦.

(٦) الموشى ١٧٨.

(٧) حكاية أبي القاسم ٥٤.

(٨) الموشى ١٨٤.

ومن الألوان التي ذكرت العوهق، وهو صيغ شبه اللازورد^(١). ويضيف ابن منظور «وقيل العوهق لون كلون السماء مشرب سوادا»^(٢) ولم تذكر المصادر ألبسة مصبوغة بالعوهق.

أما الكحلي، فقد ذكر في لون السجلاط: «قيل هو الكحلي وقيل هو على لون السجلاط وهو الياسمين»^(٣). ومن المعلوم أن الياسمين أبيض وأصفر وأحمر وكحلي^(٤).

والسجلاط هو ثياب صوف. وقد ذكر أنه طليسان خز، وضرب من ثياب الكتان، ونمط من الصوف، والكلمة رومية.

ذكر في الحديث أنه أهدي للرسول (ص) طليسان من خز سجلاط^(٥) ولم يرى مالك بأساً من أن يحرم الرجل من البرنكانات والطياشة الكحلية^(٦). وورد في حكاية أبي القاسم... «إذا نظرتكم لبستم... وعمائم الفطن الكحلية تعلق في أهدابها خيوط خضر وحمرة»^(٧).

أما النيل، فقد ذكر ابن البيطار «هو صنفان: أحدهما تصبغ به الثياب اللطاف بعد أن يدبر ورقة كما يدبر ورق السحاي ويطيخ في القدور ويحقد ويستعمل في صبغ الثياب، قال في الليلاب هو حب النيل»^(٨). وذكر الغافقي «هو النيلج والذي يستعمله الصباغون، وعندنا هو العظم وليس هو الذي ذكره ديسقوريدس، والذي ذكره ديسقوريدس يسمى عندنا في الأندلس السمانى، وقلما يستعمل ببلاد

(١) المخصص ٢١٣/١١.

(٢) لسان العرب ١٥١/١٢.

(٣) المصدر نفسه ١٨٣/٩.

(٤) ابن البيطار، جامع الأدوية المفردة ٢٠٢/٤.

(٥) لسان العرب ١٨٣/٩.

(٦) المدونة ١٢٢/٢.

(٧) حكاية أبي القاسم ٢٧.

(٨) ابن البيطار ٣٠٦/٢.

الروم. وقد يستعمل أيضاً بغربي بلاد الأندلس^(١). ويذكر في موضع آخر من كتابه «عظم»، قال بعض علمائنا هو الوسمة^(٢). ويذكر أيضاً «وسمة هي ورق النيل»^(٣). يكثر إنتاج النيل في كابل، فيذكر ابن حوقل أنه «يبيع بها النيل في كل حول مما يعمل بقصبتها وسوادها دون الباقي منه بأيدي التجار على ما يذكره تجارهم بألفي ألف دينار وزائدة، والذي شاهدت دون ذلك»^(٤).

كما يذكر عن زغر، وهي مدينة على البحر الميت متصلة بالبادية صالحة للخيرات وفيها من النيل والتجارة ما لا يقصر عما بكابل من صناعته وعماله، غير أنه يقصر عن صباغ نيل كابل^(٥).

أما اللون البنفسجي، فلم يرد ذكره إلا في نص واحد ورد في الأغاني، حيث يقول: «دخل حمزة بن أبيض على سليمان بن عبد الملك، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

رأيتك في المنام شئت خزاً علي بنفسجاً وقضيت ديني
فقال يا غلام ادخله خزنة الكسوة واشت عليه كل ثوب بنفسجي فيها»^(٦).

اللون الأصفر:

اللون الأصفر من الألوان التي أوردت المصادر ذكرها في الملابس في العهود الإسلامية الأولى. فقد ورد في الأحاديث النبوية ذكر لقميص أصفر^(٧)، وثوب أصفر^(٨) والملاء الصفراء^(٩)، والملحفة الصفراء^(١٠).

- (١) ابن البيطار ١٨٦/٤.
- (٢) المصدر نفسه ١٢٧/٣.
- (٣) المصدر نفسه ١٩٤/٤.
- (٤) ابن حوقل ٤٥٠/٢.
- (٥) المصدر نفسه ١٨٤/١.
- (٦) الأغاني ٢٥/١٥.
- (٧) البخاري، الجهاد ١٨٨.
- (٨) النسائي، استئذان ٣٣.
- (٩) النسائي، لباس ٤.
- (١٠) ابن ماجه، طهارة ٨٢، لباس ٢٢.

وذكرت المصادر أنواعاً من الملابس المصبوغة بالأصفر، ومنها مطرف خَزَّ كان يلبسه محمد بن الحنفية^(١)، وابن سلمة^(٢)، والشعبي^(٣)، ومحمد بن علي^(٤). ومنها الإزار وكان يلبسه عمر بن الخطاب^(٥)، والإمام علي^(٦)، وإبراهيم النخعي^(٧)، والوليد بن يزيد^(٨)، وثوب كان يلبسه عمر بن الخطاب^(٩)، وابن عمر^(١٠)، والوليد بن يزيد^(١١)، وملحفة كان يلبسها عمر بن الخطاب^(١٢)، ومحمد بن الحنفية^(١٣)، ورداء كان يلبسه عروة بن الزبير^(١٤)، والوليد بن يزيد^(١٥)، وجبة كان يلبسها القاسم بن محمد^(١٦)، ومحمد النفس الزكية^(١٧)، ومحمد بن علي^(١٨)، وملاءة كان يلبسها كل من عثمان بن عفان^(١٩)، وإبراهيم النخعي^(٢٠)، وجريير الشاعر^(٢١)، ودراعة صفراء كان يلبسها أحد الفرسان^(٢٢)، وغلالة كانت تلبسها جارية^(٢٣)، وقلنسوة كان يلبسها محمد النفس الزكية^(٢٤).

(١) ابن سعد ٤٨/٥ عيون الأخبار ٢٩٨/١.

(٢) ابن سعد ١١٦/٥.

(٣) المصدر نفسه ١٧٦/٦.

(٤) الكافي ٤٥٠/٦.

(٥) ابن سعد ٢٥٢/١-٣.

(٦) المصدر نفسه ٢٠/١-٣.

(٧) المصدر نفسه ١٩٦/٦-٧.

(٨) الأغاني ٢/٢١٠، ٧٩/٦.

(٩) ابن سعد ١٣٤/٥.

(١٠) المصدر نفسه ١٢٨/١-٤.

(١١) الأغاني ٢/٢١٠، ٧٩/٦.

(١٢) ابن سعد ٢٣٧/١-٣.

(١٣) المصدر نفسه ٨٤/٥.

(١٤) المصدر نفسه ١٣٤/٥.

(١٥) الأغاني ٢/٢١٠، ٧٩/٦.

(١٦) ابن سعد ١٤٢/٥.

(١٧) الطبري ١٩٦/٣.

(١٨) الكافي ٤٥٠/٦.

(١٩) أنساب الأشراف ٤/٥.

(٢٠) ابن سعد ١٩١/٦.

(٢١) الأغاني ١٥/٨.

(٢٢) المصدر نفسه ١٧١/١١، ١٠٢/٧.

(٢٣) المصدر نفسه ٢٧٥/٤.

(٢٤) الطبري ١٩٦/٣.

ويذكر ابن منظور: «ويقال شعار مضر كان في الحروب العمائم والرايات الحمر، ولأهل اليمن الصفرة»^(١). وقد اتخذ اليمانيون الذين ثاروا في العصر الأموي اسم القحطاني شعار الصفرة. ويذكر الجاحظ: «أما قولهم في الأصفر القحطاني فلا ندري أي المعاني أرادوا: الصفرة التي تنسب إليها الألوان أم اصفرار الجلد كجلد جرادة مروان. وقد خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وزيد بن المهلب على تحقق الرواية في الأصفر القحطاني، ولم يكن بين ألوانهما وبين الصفرة سبب، وخرج على ذلك ثابت بن نعيم الغامدي بالشام، وكان كأنه لم ير مغموساً في الورد»^(٢).

وفي القرن الرابع الهجري، كان من الألبسة الشنعة الألوان التي لا يستحسن من الرجال «الملحم الأصفر فهي من لبس النساء، ولبس الفتيات والإماء»^(٣). وكان الخف الأصفر من لباس العلية، فيروي الجاحظ: «عبد الملك بن مروان كان إذا لبس الخف الأصفر لم يلبس أحد من الخلق خفاً أصفر حتى ينزعه». كما ذكر أن إبراهيم بن المهدي لما أعلن نفسه خليفة خرج للناس في خف أصفر»^(٤).

ومن الألوان الصفراء اللون، الأتحمي، وهي برود. يروي الفراء أنها مخلطة بالصفرة، ويرى غيره أنها حمراء، والبرد المذهب هو أرفع الأتحمي»^(٥). وقد ورد في أحد الأبيات الشعرية ما يدل على أن الأتحمي كان لونه أصفر.

صفراء متحمة حيكمت نمانمها من الدمقسى أو من فاخر الطوط^(٦)

ويطلق على الخز الأصفر الردن»^(٧).

(١) لسان العرب ٢٦/٧.

(٢) البرصان والعرجان ٩٩-١٠٠.

(٣) الموشى ١٧٩.

(٤) التاج ٤٧-٤٨.

(٥) لسان العرب ١٢/٣٣٠.

(٦) ديوان الهذليين ٢/١٤٦، المختص ٤/٧٣، لسان العرب ١٢/٣٣٠.

(٧) لسان العرب ١٧/٣٦.

ومن الألوان الصفراء الهروية، فيقول ابن منظور: «هرى فلان عمامته تهريه إذا صفرها».

وقال ابن قتيبة: «هرى العمامة لبسها صفراء. ابن الأعرابي: ثوب إذا صبغ بالصيب، وهو ماء ورق السمسم، ومهري أيضاً إذا كان مصبوغاً كلون المشمش والسمسم. وكانت سادات العرب تلبس العمام صفرأ، وكانت تحمل من هراة مصبوغة، فليل لمن لبس عمامة صفراء قد هري عمامته، يريد أن السيد هو الذي يتعمم بالعمامة الصفراء دون غيره»^(١). ويذكر الثعالبي أن الأزهري يزعم «أن تلك العمام المهرأة كانت تحمل إلى بلاد العرب من هراة»^(٢).

الممصرة:

ومن الألوان الصفراء الممصرة. فينقل ابن منظور عن القتيبي: «الممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة»^(٣). ويقول أيضاً: «الممصر الطين الأحمر، وثوب ممصر مصبوغ بالطين الأحمر أو بحمرة خفيفة، وفي التهذيب ثوب ممصر مصبوغ بالمشرق، وهو نبات أحمر طيب الرائحة تستعمله العرائس: وأنشد: مختلطاً عشقه وكرمه. أبو عبيد: الثياب الممصرة التي فيها شيء من صفرة ليست بالكثيرة، وقال أبو سعيد: التمهير في الثياب التي تمشق تخرقاً من غير بلى»^(٤). وممن ذكر أنه لبس رداء ممصرأ، القاسم بن محمد^(٥)، وكل من الخليفة عثمان^(٦) وعمر بن أبي ربيعة^(٧) ورجل ذكره الأصفهاني^(٨). وكان محمد بن علي يقول: «إن آل محمد يلبسون بعض المصبغات ومنها الممصر»^(٩).

(١) لسان العرب ٢٣٧/٢٠، وانظر عن الصيب لسان العرب ٦/٢.

(٢) فقه اللغة ٢٤٢.

(٣) لسان العرب ٤٤٧/٤.

(٤) المصدر نفسه ٥-٢٤، وانظر عن المشرق، لسان العرب ١٢/١٢٤.

(٥) ابن سعد ١٤٢/٥.

(٦) المصدر نفسه ٣ - ٣٩/١.

(٧) الأغاني ٧٢/١.

(٨) المصدر نفسه ٣٨/١٩.

(٩) ابن سعد ٣٦/٥.

الهرد والكركم:

ومن الأصباغ الصفراء للملابس ال herd والكركم، فيقول ابن منظور: «الهرد العروق التي يصبغ بها»... وثوب مهروود في حديث تبوي جاء فيه أنه «ينزل عيسى ابن مريم في ثوبين مهروودين أي مصبوغين بالهرد»^(١)، وأن عيسى ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروودين»^(٢).

وقد أورد ابن البيطار بعض التفاصيل عن اختلاف التسميتين، فقال: «الكركم المعروف عندنا عروق يؤتى بها من الهند، ويسمى القرد بالفارسية، وقال ابن حسان يسمّى ال herd، وأهل البصرة يسمونها الكركم»^(٣). ويقول أبو حنيفة: «وقد صرف وقيل كركم ثوبه وقال البيهقي في وصف القطا:

سماوية كدر كأن عيونها يدافأ بها ورس حديث وكركم»^(٤)

ينقل ابن منظور عن الأزهري: «قرأت بخط شمر لأبي عدنان: أخبرني عالم من أغراب باهلة الثوب المهروود والذي يصبغ بالورس ثم الزعفران، فيجيء لونه مثل لون زهرة الحوذانة، فذلك الثوب المهروود، ويروى في مصترتين، ومعنى المصترتين والمهروودتين واحد، وهي المصبوغة بالصفرة من زعفران أو غيره»^(٥).

ويقول ابن البيطار إن «الكركم هو الزعفران، شبهوه بالزعفران، لأنه يصنع صبغاً أصفر كما يصنع بالزعفران، ويؤتى به من جزائر الهند واليمن، وزعم قوم أنه أصول الورس وقيل إن الورس صنف آخر منه»^(٦). ويقول أبو حنيفة عن الزعفران: «وقيل هو عجمي معرب، والكركم عجمي»^(٧). إن إقران الكركم

(١) الترمذي فتن ٥٩، وانظر المخصص ٢١١/١١، لسان العرب ٤/٤٤٧.

(٢) ابن ماجه فتن ٣٣، صحيح مسلم فتن ١١٠، ابن حبل ٤/٢٨٢.

(٣) ابن البيطار ٤/٦٥.

(٤) المخصص ٢١١/١١.

(٥) لسان العرب ٤/٤٤٧. ويقول الأزهري إن «الحوذانة نبتة لها نور أصفر طيب الرائحة».

(٦) ابن البيطار ٤/٦٥.

(٧) المخصص ٢١١/١١.

بالزعفران راجع إلى تشابه لون صبغها، وليس لترادفها، فالكركم يجلب من الهند واليمن، أما الزعفران، فنبات آخر.

الزعفران:

أشار ابن سيده إلى الفرق بين الكركم والزعفران، حيث قال: «الكركم غير الزعفران، والكركم عيدان معروفة يستغنى بشهرتها عن الشاهد عليها، لونها كلون الورد سواء وهما مباينان للون الزعفران، وهما أصفران فاقعان، وكلما زيد صبغهما نصعاً، وصيبب الزعفران أيضاً أصفر، فإن زيد من صبغه رهقته كدره فإن آخر طريقه شاكل السواد ولون الزعفران أحمر»^(١). ويتبين من هذا النص تقارب ألوان الكركم والورد والزعفران، وأنها جميعاً ذات لون أصفر، غير أن صفة الورد والكركم أصفى وأنقى. والواقع أن الورد أكثر الأصباغ ذكراً في المصادر، وبخاصة في ما يتعلق بملبوسات أهل الحجاز. وكثيراً ما يُذكران معاً، فذكر ابن السكيت: «الأصفران الورد والزعفران»^(٢). وقد ورد ذكر صفة الورد في عدة أحاديث نبوية^(٣). وكان خضاب الصحابة الورد والزعفران^(٤). ومن مظاهر تقاربهما اختلاط بعض الأسماء بينهما فيقول ابن سيده: «الغمر والزعفران وقيل الورد»^(٥). ويذكر ابن منظور: «العبر الزعفران وقيل الورد»^(٦).

ويبدو أن الزعفران كان واسع الشيوع في الجزيرة بعامة وفي الحجاز بخاصة، وذلك لكثرة تردّد ذكره في المصادر، وكثرة أسمائه في اللغة العربية. فقد ذكر ابن سيده من أسمائه: «الريهقان، والعبير، والخلوق، والجادي، والغيد، والقمحان، والغمر، والمردقوش، والقرمد»^(٧). ويقول ابن الأعرابي: «يقال للزعفران الريهقان والجادي والجساد»^(٨).

(١) المختص ٢١١/١١.

(٢) المصدر نفسه ٢٠٩/١١.

(٣) انظر التارمي وضوء ١٠٥، أبو داود الترمذ ١٩، النسائي الزينة ٦٥.

(٤) ابن حنبل ٧٢١/٣؛ وانظر أيضاً أبو داود، الترمذ ١٩، النسائي الزينة ٦٥.

(٥) المختص ٢١١/١١.

(٦) لسان العرب ٢٨٨/٦.

(٧) المختص ٢١١/١١-٢١٢، وانظر عن العبير، لسان العرب ٢٨٨/٦.

(٨) لسان العرب ٩٢/٤.

أوردت كتب اللغة معلومات أوفى عن الجساد، فيقول الثعالبي: «ثوب مجسّد إذا كان مصبوغاً بالجساد وهو الزعفران»^(١). وينقل ابن سيده عن أبي عبيدة أن «الجسد والجساد الزعفران، ومنه قيل للثوب مجسّد، ومجسّد إذا صبغ بالزعفران». وعن أبي حنيفة الدينوري: «ثوب مجسّد إذا كثر فيه الزعفران حتى يجف فيقوم قياماً، ومنه يقال للدم إذا جف جاسد»^(٢). أما ابن منظور، فيذكر خصوصاً يدل بعضها على أن كلمة المجسّد لا تقتصر على الزعفران وحده. يقول: «الجسيد الدم اليابس وقد جسد، ومنه قيل الثوب مجسّد إذا صبغ بالزعفران».

ابن الأعرابي: يقال للزعفران الريهقان والجادي والجساد. الليث: الجساد الزعفران ونحوه من الصبغ الأحمر والأصفر الشديد الصفرة. وأنشد: *جساد من لونين ورس وعندم*. الثوب المجسد هو المشيع عصفراً أو زعفران، والمجسد الأحمر، يقال على خلاف ثوب مشيع من الصبغ وعليه ثوب مفدم، فإذا قام قياماً من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان إجماداً فهو مجسد، وفي حديث أبي ذر أن امرأته ليس عليها أثر الجاسد. ابن الأثير: «هو جمع مجسد وهو المصبوغ المشيع بالجسد، وهو الزعفران والعصفر والجسد الجساد الزعفران أو نحوه من الصبغ. وثوب مجسد مصبوغ، وقيل هو الأحمر، والجسد ما أشبع صبغه من الثياب والمجاسد جمع مجسد وهو القميص المشيع بالزعفران»^(٣). ومن خصائص صبغ الزعفران أنه إذا مسّه الماء ظهرت رائحته^(٤).

لم يكن لبس المصبوغ بالزعفران مباحاً للمحرم، فيقول الشافعي: «ثم أقاويل أكثر مما حفظت عنه من أهل العلم تدبّ على الرجل والمرأة المحرمين يجتمعان في اللبس ويفترقان... فأما ما يجتمعان فيه يلبس واحد منهما ثوباً مصبوغاً بزعفران ولا ورس، وإذا لم يلبس أحدهما ثوباً مصبوغاً بزعفران ولا

(١) لغة اللغة ٢٤٢.

(٢) كتاب النبات ١٧١، المخصص ١١ / ٢١١.

(٣) كتاب النبات ١٧٢، لسان العرب ٩٢ / ٤.

(٤) الأم ١٢٧ / ٢.

ورس، لأنهما طيب وكذلك لو صدق زعفران حتى يبيض لم يلبسه المحرمان، وكذلك لو غمس في نضوح أو صباغ (صباغ؟) أو غير ذلك لو سعد له زعفران حتى يبيض لم يلبسه المحرمان^(١). ويروي ابن عمر: «سمعت رسول الله (ص) ينهى النساء في الأحرام عن القفاز والنقاب وما من الورس والزعفران في الثياب»^(٢). وفي الصحاح الستة أحاديث عن عدم جواز لبس المحرم المصبوغ بالورس والزعفران^(٣). وهذا يدل على أنه من لباس الترف، ومما يؤيد ذلك قول الجاحظ: «أهلك النساء الأحمران الذهب والزعفران»^(٤). أما في الأحوال الاعتيادية فقد كانت الألبسة المصبوغة بالزعفران منتشرة بين الصحابة والتابعين وغيرهم من المسلمين، وكانت تصبغ به مختلف الملبوسات فقد كان ابن عمر «يلبس الثوب المصبوغ بالمشق والثوب المصبوغ بالزعفران»^(٥).

وذكرت المصادر إزاراً مصبوغاً بالزعفران يلبسه الرسول^(٦)، والوليد بن يزيد^(٧) والحسين^(٨)، والقاسم بن محمد^(٩)؛ ودراعة مصبوغة بالزعفران يلبسها معبد^(١٠)، وإحدى الجواري^(١١).

كما ذكر مما يصبغ بالزعفران الدرع^(١٢)، والملحفة^(١٣)، والخمار^(١٤). غير أن أكثر ما يصبغ بالزعفران هو العمامة. فيذكر ابن دريد «كانت سادة العرب

(١) ابن حنبل ٢/٢٢.

(٢) البخلاء ٩٨.

(٣) انظر فنسك مادة (زعفران).

(٤) البخلاء ٩٨.

(٥) الموطأ ٢/٢١٥، المدونة ١٠/١٦٩، ابن سعد ٤/١٣٤، ابن حنبل ٦/٩٥.

(٦) عيون الأخبار ١/١٩٨.

(٧) الأغاني ٢/٢١٠، ٦/٧٩.

(٨) أنساب الأشراف ٤-٢/٢٢.

(٩) ابن سعد ٥/١٤٠، ١٤٢، ١٤٤.

(١٠) الأغاني ١/٤٦.

(١١) المصدر نفسه ٢/٢٨١.

(١٢) الكامل للمبرد ٦٠٣.

(١٣) الدارمي أدب ١٢٨.

(١٤) ابن حنبل ٦/٩٥، ١٤٥؛ ابن ماجه ٤٨.

تصنع عمامتها بالزعفران^(١). وينقل الكليني عن أبي جعفر الصادق أنه قال «صَبَغْنَا البَهرمان، وصَبَغَ بني أُمَيَّة الزعفران»^(٢).

وفي القرن الرابع الهجري، لم يكن يستحسن من ذي المروءة «لبس الثياب الشنعة الألوان المصبوغة بالطيب والزعفران، مثل الملمح الأصفر والديقي والمعتبر، لأن ذلك من لبس النساء ولبس القينات والإماء»^(٣).

يروى فقهاء العراق «أن تأخذ الزكاة عما يكتب له غلة في أيدي الناس من الزعفران ونحوه لما بلغ فيما خرج كمن ذلك خمسة أوسق أدنى ما يخرج من الأرض»^(٤). وهذا قد يدل على انتشار زراعته.

وبالرغم من استعمال الزعفران في الجزيرة العربية بعامة وفي الحجاز بخاصة في عصر الرسول، فإن المصادر لم تذكر زراعته في الجزيرة العربية، مما يدل على أنه كان يُستورد إليها. وأشهر المناطق التي عرفت بزراعة الزعفران في العصور الإسلامية التالية، هي:

١- الروذراور وهو إقليم حسن وناحية شريفة بنيت فيها الزعفران الذي ليس بجميع الأرض له شبه وهو رستاق كبير وعظيم يزرع فيه الزعفران مشهور المحل والمقدار، والمعتبر منه يعتبر بموضع يعرف بكرج الروذراور، ويرتفع منها من الزعفران ما لا يرتفع من غيرها من الجبال فيشجهز إلى العراق وسائر النواحي لكثرة وجوده^(٥).

٢- نهاوند، فيذكر المقدسي أن بها مزارع الزعفران^(٦). ويقول ابن حوقل: «إليها يرتفع الزعفران من الروذراور»^(٧).

(١) الاشتقاق ٧٧.

(٢) الكافي ٤٤٨/٦.

(٣) الموشى ١٧٩.

(٤) الحجج للشياني ١٢٧.

(٥) ابن حوقل ٣٦٨/٢.

(٦) أحسن التقاسيم ٣٩٣.

(٧) ابن حوقل ٣٦٨/٢.

٣- الدينور «وبها زعفران كثير»^(١).

٤- قم^(٢).

٥- أصفهان، يذكر الجاحظ أن بأصفهان الزعفران^(٣). ويقول ابن رسته: «وبها من الزعفران وإن كان في غيرها من البلدان موجوداً فإن فضله على كل من سار الموقع منه ظاهر، لأنه أزكى رائحة وأبين نفعاً وأشبع صبغاً في كل ما يستعمل ولا يبتاع في شيء من المواسم والأسواق التي يجلب إليها شيء منه ما يوجد زعفران»^(٤). وكتب الحجاج لأحد ولاته أن أصفهان حشيشها الزعفران والورود^(٥).

٦- واشجود وشومان «يرتفع منهما زعفران كثير يحمل إلى كثير من النواحي والبلدان»^(٦).

الورس:

ذكرنا من قبل قول ابن سيده: «الأصفهان الورس والزعفران»^(٧). ويقول الثعالبي: «ثوب إذا كان مصبوغاً بالورس وهو أخو الزعفران»^(٨). ويقول ابن حوقل: «الورس وهو نبات أحمر في معنى الزعفران»^(٩). وفي المصادر نصوص أخرى تذكر الصفرة في الورس والزعفران، فقد جاء في حديث نبوي: «فليغيره في صفرة ورس أو زعفران»^(١٠).

(١) ابن حوقل ٢/٣٦٨.

(٢) لطائف المعارف ١٨٣، ٢٨٩؛ ثمار القلوب ٥٣٧.

(٣) التيسير بالتجارة ٢٥.

(٤) الأعلام النيسة ١٥٧.

(٥) معاصر أصفهان للمافروخي ٧، أصفهان لأبي نعيم ٣٧/١، لطائف المعارف ١٨١.

(٦) الاضطحري ١٦٢، ١٦٧؛ ابن حوقل ٢/٤٧٧.

(٧) المخصص ١١/٢٠٩.

(٨) غنى اللغة ٢٤٢.

(٩) ابن حوقل ١/٣٧.

(١٠) الدارمي؛ وضوء ١٠٥.

كما ورد ذكر تصغير اللحية بالورس والزعفران^(١). والورس أصفر خالص الصفرة، ويقال للشيء بصفر قد أورس كأنه الورس^(٢). وقد ورد الورس في عدة أحاديث ذكر في جميعها مع الزعفران^(٣). كما ذكرنا معاً في بعض كتب الفقه^(٤). غير أن أحاديث كثيرة ورد ذكر الزعفران فيها منفرداً مما قد يدل على أن الورس كان أقل انتشاراً من الزعفران. غير أن تردّد ذكره وكثرة أسمائه يدلان على أنه كان واسع الانتشار أيضاً، وإن كان بدرجة أقل من الزعفران.

والورس يستعمل أيضاً المحصى^(٥). أما النوع الجيد منه فيسمى القنديد^(٦). وفي العربية كلمات اختلف اللغويون في إطلاق كل منها على الزعفران أو الورس مثل العنبر^(٧).

والورس من أصباغ الزينة، وكان مالك يكرهه للمحرم^(٨).

وقد ذكرت ملحفة موزّمة على عائشة^(٩). كما ذكر الأغاني دراعة موزّمة^(١٠). ويقول أبو حنيفة الدينوري: «الورس ليس بيزرع سنة فيجلس عشر سنين، أي يقيم في الأرض ولا يتعطل. ونباته مثل السمسم فإذا جف عند إدراكه تفتت خرائطه فينفض منه الورس»^(١١). ويقول أيضاً: «الورس ضربان: الباردة والعتيقة، فالباردة التي لم يعتق شجره، وهو الأفضل؛ والعتيقة، الذي يعتق شجره وقيل الباردة الحديث النبات وفي صبغه حمرة، والآخر الحبشي لسواده. وهو آخر الورس وقيل هو أصفر خالص الصفرة»^(١٢).

(١) أبو داود ترمذ ١٩، النسائي الزينة ٦٩.

(٢) المختص ٢٠٩/١١.

(٣) انظر فتنك مادة (ورس).

(٤) انظر المدونة ١٦٩/١٠، الأم ١٢٦/٢.

(٥) كتاب النبات ١٦٦، المختص ٢٠٩/١١.

(٦) المختص ٢١١/١١، لسان العرب ٣٧١/٤.

(٧) المختص ٢١١/١١ لسان العرب ٢٨٨/٦.

(٨) المدونة ١٢٢/٢.

(٩) ابن سعد ٥١/٨.

(١٠) الأغاني ١٨١/٢.

(١١) كتاب النبات ١٦٥، لسان العرب ١٤١/٨.

(١٢) كتاب النبات ١٦٥.

ويقول النويري به الورس «هو ما يسقط بأرض الصين والهند والحبيشة وأرض اليمن، وعلى ورق مشجر، يأكل الباذروج فتجمع الشجرة بما عليها منه وتلقى في الشمس حتى تنشف ثم تنفض على أنطاع الأدم فيسقط ورقها عليه الورس متعلقاً به ولونه أحمر، فإذا طحن صار أصفر، وأجوده الهندي ثم الحبشي ثم اليماني»^(١).

إن قول النويري إن الورس يسقط بأرض الصين والهند والحبيشة لم يرد في المصادر الأخرى التي تردد، وبخاصة القديمة منها، أن الورس يُزرع في اليمن، فيقول الأصمعي: «أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن: الورس والكندر والخطر والعصب»^(٢). ويقول الجاحظ: «من اليمن الكندر والورس والخطر»^(٣). ويقول الثعالبي «الورس لا يكون إلا باليمن»^(٤). ويقول ابن منظور: «الورس نبت أصفر يكون باليمن»^(٥). ويذكر ابن خردادبه أن مّا يجيء من اليمن الورس. ويذكر اليعقوبي أن «الحسين أقبل حتى مرّ بالتنعيم فلقى بها عيراً قد أقبل بها من اليمن بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية، وكان عامله على اليمن وعلى العير والورس والحلل ينطلق بها إلى يزيد»^(٦). ويقول الأصبهاني: «وكانت جمال عمان تحمل الورس من اليمن إلى عمان فتصفر»^(٧).

وذكرت المصادر المناطق التي يزرع فيها الورس في اليمن:

١- يذكر الديثورى: «أخبرني ابن بشت عبد الرزاق قال: الورس عندنا في اليمن بحفاش وملحان، ويطنام، وشجنان، وبالرقعة ونجران، وبهوزن، وبجبال أبي جعفر كلها»^(٨).

(١) نهاية الأرب ١١/٢٢٥.

(٢) عيون الأخبار ١٠٩/٢.

(٣) التبصر بالتجارة ٢٢.

(٤) فقه اللثة ٢٤٢.

(٥) لسان العرب ٨/١٤١، المالك ٧١.

(٦) التاريخ ٢٧٧/٢.

(٧) الأغاني ٨١/١٧.

(٨) كتاب النبات ١٦٥.

٢- واديا شيعان موضع، وهما في مخلاف اليحصبان قرب المعافر وفيهما الوردس الناهي^(١).

٣- نشق، وهي همدان «بلدة كثيرة الوردس والزرع والعسل»^(٢).

٤- وادي الجنتات وهو يقع في الجنوب الغربي من اليمن ويصب في جهة باب المنذب وهو كثير السيول والمآجل والمسايل، فيه الأعناب والوردس مختلطة في أعاليه^(٣).

٥- المذيبخرة وهو جبل في أعلاه مزارع ومياه، وفيه ينبت الوردس^(٤).

٦- دامغ وهو ما بين صنعاء وذمار، كثير الأنهار الجارية وكان يصلح فيه أيام حمير شجر الوردس وسائر الفواكه^(٥).

٧- عدن يذكر المقدسي أن ورصها مشهور^(٦).

اللون الأحمر:

اللون الأحمر من الألوان الشائعة عند العرب. وقد قالوا: «الحمرة ثياب الشهرة». وقال العتابي: «جمال كل مجلس أن يكون سقفه أحمر، وبساطه أحمر»^(٧). وكان العرب إذا سؤدوا رجلاً عَمَموه عمامة حمراء^(٨). وكانت التيجان للملوك والعمائم الحمر للسادة من العرب. قال الأزهري: «كان يحمل إلى البادية من هراة عمائم حمر يلبسها أشرافهم»^(٩).

(١) صفة جزيرة العرب ١٠١، ٦٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه ٧٦.

(٤) ابن حوقل ٣٧/١، وانظر المستبصر ١٨٣/٢.

(٥) الإكليل ٧٣/٨.

(٦) أحسن التقاسيم ٩٨.

(٧) الحيوان ٩٥/٥.

(٨) لسان العرب ٢٢٠/١٥.

(٩) المصدر نفسه ٩٧/٢.

والأحمر هو لون عدة منسوجات وأقمشة: ومنها القطرية^(١)، والتزيدية^(٢). ويقول ابن منظور إن فيها خطوطاً حمراء^(٣). والوصائل وهي ثياب حمراء يؤتى بها من اليمن^(٤). وقد ورد في بعض الأحاديث أن الرسول (ص) استعملها^(٥). ويروي ابن حنبل عن ابن عباس أن الرسول نهاه عن لبس الحمرة^(٦). وفي رواية أخرى نهاه عن المشيرة الحمراء^(٧). والعقل ضرب من الواشي وفي المحكم من الواشي الأحمر، وقيل هو ثوب أحمر يجلل به الهودج^(٨). وكانت اللبود المغربية حمراء^(٩). والملاحف وقد استعملها علي بن الحسين^(١٠)، ومحمد بن علي^(١١)، وإبراهيم النخعي^(١٢)، وإبراهيم التميمي^(١٣). والعمائم وقد لبسها الشعبي^(١٤). كما لبس عمامة لها علم لونه أحمر كل من سعيد بن المسيب^(١٥)، ومحمد بن علي^(١٦). ويقول ابن منظور عن مضر: «يقال كان شعارهم في الحرب العمائم والرايات الحمراء»^(١٧). وذكر أبو فرج الأصفهاني أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك «ضرب له سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن، وفيه فسقاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها، وعليه دراعة خز أحمر مثلها عمامتها»^(١٨). ويقول القاضي الرشيد: «وكان

(١) لسان العرب ٤١٧/٦.

(٢) ديوان الهذليين ١٠/١.

(٣) لسان العرب ١٨٤/٥.

(٤) المعاني الكبير ٩١٨/٢.

(٥) انظر الترمذي ٤٥/١، ابن حجة ١٩٧/٢.

(٦) ابن حنبل ١٥/١.

(٧) المصدر نفسه ١١٩/١.

(٨) لسان العرب ٤٩١/١٣.

(٩) التيقض بالتجارة ١٨.

(١٠) ابن سعد ١٦١/٤.

(١١) المصدر نفسه ٢٣٦/٥.

(١٢) المصدر نفسه ١٨٦/٦.

(١٣) المصدر نفسه ١٧٦/٥.

(١٤) المصدر نفسه ١٧٦/٦.

(١٥) المصدر نفسه ١٠٢/٥.

(١٦) المصدر نفسه ٢٣٧/٥.

(١٧) لسان العرب ٢٦/٧.

(١٨) الأغاني ١٣٦/٢.

هشام وبنو مروان يكسون الناس الخبز إلا الأصفر والأحمر، ويكسونهم ما سوى ذلك من الألوان ويذخرون الأحمر والأصفر لأنفسهم^(١). ويذكر الأزدي أن مروان بن محمد في معركة الزاب كانت عليه «ثياب حمراء»^(٢). ولما ثار أبو محمد الأموي على العباسيين لبس الحمرة ودعا الناس^(٣). غير أن هذا لا يعني أن شعار بني أمية كان الحمرة، أو أنهم احتكروه لأنفسهم.

ويذكر الكليني أن أبا جعفر قال: «صبغنا البهرمان وصبغ بنو أمية الزعفران»^(٤). ومن المعلوم أن البهرمان أحمر والزعفران أصفر.

وفي القرن الرابع الهجري، كان «لبس المورّد والأحمر والسنيري والأخضر إنما هو لبس النساء والنبطيات وليس الإماماء والعتبات»^(٥). ومن زيّ المتظرّفين وأهل المروءة والأدب أن يلبسوا تعالاً «يشرك أسودها بأحمر وأصفرها بأسود ويعيرون لبس الأحمر من الخفاف»^(٦).

وفي هذا القرن، جرت به العادة أن يكون جلوس الخليفة في الحفلات بألبسة رسمية منها^(٧). ومما ينكر دخول الداخل إلى دار الخلافة بنغل أو خف أحمر ولا لكة حمراء، لأن الأحمر لباس الخليفة. «واتفق أن دخل ابن أبي الشوارب القاضي - وكان من جلة القضاة وممن يرجع نسبه إلى بني أمية - دار المطيع لله رحمه الله بخف أحمر، ورآه المكنى أبا الحسن بن أبي عمرو الشاربي الحاجب، وكانت بينهما عداوة، فقال له تأتي أيها القاضي إلى خليفة آبائك في العنادة المباينة. وعرف المطيع لله ذلك فلم ينكره، وانصرف ابن أبي الشوارب إلى داره واحتجب فيها ولم يخرج منها حينها كمدأ، وكانت وفاته عقب هذه القصة»^(٨).

(١) الأختار والتحف ٢١١.

(٢) تاريخ الموصل ١٢٨.

(٣) أنساب الأشراف ٣/ ١٧٠.

(٤) الكافي ٦/ ٤٤٨، لسان العرب ١٤/ ٣٢٧.

(٥) الموشى ١٨٤.

(٦) المصدر نفسه ١٧٩.

(٧) الصابي رسوم دار الخلافة ٩٠.

(٨) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

ولا نعلم متى بدأت عادة لبس الخليفة الخف الأحمر في المناسبات الرسمية، ولا سبب منشئها .

ويقول الأزدي أن في سنة ١٣٣ «خرج أبو محمد السفيناني فلبس الحمرة وهو وجنده»^(١). ولم يذكر مصدر آخر لون لباسه.

ويذكر الطبري في حوادث سنة ٦٦٠ «ظهرت فيها المحمرة بجرجان، عليهم رجل يقال له عبد القهار فغلب على جرجان وقتل بشراً كثيراً، فغزاه عمرو بن أبي العلاء من طبرستان فقتل عبد القهار وولده»^(٢). وقد يدل الاسم العربي للقائد على أن هذه الفرقة لا علاقة لها بالخرمية^(٣).

اشتهرت في التاريخ الإسلامي فرقة واحدة اتخذت الحمرة شعاراً لها هي المحمرة. فيقول البغدادي عند كلامه على فرق المزدكية أن منهم «الخرمية، ظهوروا في دولة الإسلام وهم فريقان: بابكية ومازيارية، وكلتاها معروفة بالمحمرة. فالبابكية منهم أتباع بابك الخرمي الذي ظهر في جبل بناحية أذربيجان وكثر أتباعه، أما المازيارية فهم أتباع مازيار الذي أظهر دين المحمرة بجرجان»^(٤). ويقول السمعاني: «المحمرة طائفة من البابكية الخرمية»^(٥). ويذكر المسعودي الجاوذازية أصحاب جاوذان بن شهرك الخرمي صاحب بابك، وأن «المحمرة من الخرمية»^(٦). كما يذكر المحمرة والخرمية^(٧). ويقول الطبري أنه في سنة ٢٠١ «تحرك بابك الخرمي في الجاويذانية أصحاب جاويزان بن سهل صاحب البذ وأدعى أن روح جاويزان دخلت فيه»^(٨).

واللون الأحمر أنواع عرف عند العرب كثير منها وأطلقوا على كل منها اسماً خاصاً. وقد أجملها ابن منظور بقوله: «الأرجوان هو الشديد الحمرة، ولا

(١) تاريخ الموصل ١٤٢ وانظر مقال فاروق عمر، والألوان ودلالاتها السياسية.

(٢) الطبري ٤٩٣/٣.

(٣) انظر صديقي، الحركات الدينية الإيرانية ٢٢٥ (بالفرنسية).

(٤) الفرق بين الفرق ١٦١.

(٥) التتبع والإشراف ٣٠٦.

(٦) المصدر نفسه ٣٠٧.

(٧) المصدر نفسه ١٤٤.

(٨) الطبري ١٠١٥/٣٠.

يقال لغبر الحمرة أرجوان، والبهرمان دونه بشيء من الحمرة، والمقدم المشبع حمرة، والمضرج دون المشبع، ثم المورد بعده^(١). وقال في موضع آخر المضرج دون المقدم، ويعدّه المورد^(٢).

الأرجوان:

ورد ذكر الأرجوان في بعض الأشعار. فقال حميد بن ثور:

نخَيْرُنْ إِمَّا أَرْجَوَانًا مَسْهَدَبًا وَإِمَّا سَجَلَاظَ الْعِرَاقِ الْمَخْتَمًا^(٣)
وقال آخر:

كَأَنَّ الْأَرْجَوَانَ عَلَى ذَرَاهَا وَدِيْبَاجَ الْعِرَاقِ دُمٌ نَمِيرٌ^(٤)
وهذا يدل على أن الأرجوان كان معروفاً بالعراق بكثرة. ويذكر أبو داود «الأرجوان الأحمر من الديباج وكانت مراكب العجم»^(٥).

ويروي ابن حنبل عن عمران بن حصين أن رسول الله (ص) قال لا أركب الأرجوان ولا ألبس القميص المكثف بالزينة^(٦). ويروي ابن حنبل أيضاً أن ابن عمر كان يحرم العلم في الثوب، وميشرة الأرجوان وصوم رجب^(٧). ويبدو من نص ابن حنبل أن النبي لم يحرمه، ولكن ابن عمر هو الذي يرى أنه حرام، ولكن هذا النفور لم يصل حد امتناع الناس عن استعماله، فقد كان سعيد بن المسيّب يلبس برنس أرجوان يوم الأضحى^(٨)، وعثمان بن عفان غطى وجهه بقطيفة حمراء أرجوان وهو مُحَرَّم^(٩). يقول البيروني: «قال ابن دريد في

(١) لسان العرب ٣٢٧/١٤.

(٢) المصدر نفسه ٢٤٦/١٥.

(٣) المصدر نفسه ١٨٤/٩.

(٤) ديوان الهذليين مقطوعة ٢٧١.

(٥) أبو داود ٢٦/٤.

(٦) ابن حنبل ٤٤٢/٤.

(٧) المصدر نفسه ٢٦/١.

(٨) الأم ٢٠٦/١، ابن سعد ١٠٢/٥.

(٩) لسان العرب ٣٢٧/١٤.

الأرجوان إنه فارسي معرب، وهو أشد الحمرة، ويقال له القرمز، وإنه إذا بولغ من نعت الحمرة مثل ثوب أرجوان وثوب بهرماني، والأرجوان لباس قياصرة الروم، وكان لبسه فيما مضى محظوراً على السوق^(١). أما البهرمان، فقد ذكرنا من قبل قول ابن منظور أنه دون الأرجوان بشيء من الحمرة^(٢).

ويقول الجاحظ: «وخير الياقوت البهرماني ثم الأحمر المورّد ثم الأصفر ثم الإسمانجواني»^(٣).

ويذكر البيروني تفاصيل عن البهرمان ولونه الأحمر، فيقول: «الياقوت الأحمر، أجوده الرماني ثم البهرماني ثم الأرجواني ثم اللحمي، ثم الجئلاري ثم الوردية»^(٤). ويضيف البيروني بعد ذلك وقد قيل في الرماني والبهرماني أنهما صفتان لموصوف واحد، إلا أن الأول يرسم أهل العراق، والآخر يرسم أهل الجبل وخراسان... فإنه جعل البهرماني أعلى درجاته... وابتدأ بالوردي آخذاً من جنبه البياض إلى لون الورد، ووضع الخيري فوقه لفضل حمرة على الوردي، ثم البهرماني العصفري الخالص الذي لا يشوبه شيء من التشاستج الزردج، بتفاصيل من عند الأحمر إلى أن ينتهي إلى... البهرماني. وقيل في كتاب مجهول إن خير اليواقيت البهرماني ثم المورّد، وقيل في الأرجواني إنه شديد الحمرة، فإن كان دون فهو بهرماني، والبهرمان هو العصفر، يقال ثوب ميهرم أي معصفر^(٥).

العصفر:

نقلنا أعلاه قول البيروني أن البهرمان هو العصفر. وقد ذكرت هذا عدة مصادر مما يدل على حمرة العصفر، فقال الجاحظ: «سواد السبح، بياض الثلج

- (١) الجماهير ٣٧.
- (٢) لسان العرب ١٤/٣٢٧.
- (٣) التبصر بالتجارة ٩.
- (٤) الجماهير ٣٣.
- (٥) المصدر نفسه ٣٤-٣٥.

وحمرة العصففر، صفرة الذهب^(١). والعصففر من أكثر الألوان ذكراً في المصادر العربية التي ذكرت كثيراً من الألبسة المصبوغة به، كما أن كتب اللغة ذكرت له أسماء كثيرة، مما يدل على انتشار استعماله عند العرب في صدر الإسلام بخاصة. يقول الدينوري: «العصففر هو الذي يصبغ به، منه ريفي ومنه بيري، وكلاهما ينبت بأرض العرب»^(٢). غير أنني لم أجد في المصادر العربية ذكراً للمناطق التي كان يزرع بها من جزيرة العرب بالتخصيص، علماً بأن كثرة استعماله تدل على مدى توافره في الجزيرة العربية.

نقل البيروني: «قال السري في كتاب الشموم إن العصففر لغة حميرية، وقال حمرة العصففر معرب وفارسيته هسكو»^(٣). يقول أبو حنيفة: «يقال للعصففر الإحريض والخريع واليهرم والبهرمان والمريق»^(٤). ويدعى حب العصففر القرطم^(٥) وتدعى سلافة العصففر الجريال، والعرب تسمي اللون الأحمر جريالاً؛ وقد جاء في قول الشاعر:

وسبيئة مما تعتنق بابل كدم الذبيح سلبثها جريالها
وهذا يؤيد أن العصففر أحمر.

ويقول الدينوري: «وللعصففر شبابان، أحدهما القلي والآخر حب الرمان، والشباب ما يوقد لونه ويشده فيشبه كما تشب النار، وبالسراة شجرة تسمى الحلق تنبت نبات الكرم وترتقي في الشجر لها ورق حامض، فيؤخذ ورقها فتطبخ فيجعل ماءها في العصففر، فيكون خيراً له من حب الرمان، ويسقّف

(١) الحيوان ٨/٥.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، كتاب النبات ١٦٧. وانظر أيضاً لسان العرب ٢٥٧/٧، جامع الأدوية ٣/١٢٥.

(٣) الجماهير ٣٥.

(٤) كتاب النبات ١٦٨. وانظر أيضاً لسان العرب ٢٥٧/٧، جامع الأدوية ٣/١٢٥. وانظر عنت تراءد كلفة العصففر مع الإحريض، لسان العرب ٤٠٤/٨، جامع الأدوية المفردة ٤٠٤/٤. وعن الخريع، لسان العرب ٤٢٢/٩. وعن المريق، المختص ٢١٠/١١، لسان العرب ١٢/٢١٨، جامع الأدوية المفردة ١٥٤/٤.

(٥) المختص ٢١٠/١١، لسان العرب ٣٧٦/١٥، جامع الأدوية المفردة ١٢٥/٣، ١٥/٤.

ورقها، فيحمل في البلاد لهذا من الشأن، وحبّ الرمان عندهم كثير، ولا سيما ما يكون منه بنواحي عمان في منتهى الجودة^(١).

أثار استعمال المعصفرات نقاشاً في الأوساط الدينية، فرويت بعض الأحاديث التي تدلّ على عدم إقرار استعمالها. فيروي هشام الدستوائي، بسند عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله (ص) رأى «على عبد الله بن عمرو بن العاص ثوبين معصفرين فقال من أمرك بهذا؟ فقال اغسلها يا رسول الله، فقال رسول الله أحرقها»^(٢). ويذكر الجاحظ: «ورد في الحديث لا تبيثوا في المعصفر»^(٣). ويروي أبو بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن أسامة بن زيد عن عبد الله بن حنين: «سمعت علياً يقول نهاني رسول الله، ولا أقول نهاكم عن الألبسة المعصفرة»^(٤). ويروي عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «أقبلنا مع رسول الله (ص) من ثنية فالتفت إلي وعليّ ربيعة مضرّجة بالعصفر، فقال ما هذا، فعرفت ما كره، فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورهم فقدمتها فيه، ثم أتيتها من الغد فقال يا عبد الله للنساء ما فعلت الربيعة فأخبرته، فقال ألا كسوتها بعض أهلكت، فإنه لا بأس بذلك»^(٥). ويروي عن مالك أنه يقول «في الملاحف المعصفرة في البيوت للرجال وفي الأبنية قال لا أعلم من ذلك شيئاً حراماً، وغير ذلك من اللباس أحب إليّ»^(٦). «وكان يكره مالك الورد والزعفران والعصفر والمقدم الذي يتغض، ولم ير بالمشق والمورد بأساً»^(٧).

ويروي ابن سعد عن أبي جعفر محمد بن علي: «قال إنا آل محمد نلبس الخزّ والعصفر والممصّر واليمّة»^(٨). ويروي عن أبي جعفر أنه قال: «إنا نلبس

(١) كتاب النبات ١٧٠، وانظر أيضاً المختصر ٢١٠/١٦، لسان العرب ٣٥٢/١٢.

(٢) ابن سعد ٤-١١/٢.

(٣) الحيوان ٥٧/٤.

(٤) ابن ماجه ١٩٧/٢، الكافي ٤٤٧/٦.

(٥) ابن ماجه ١٩٧/٢.

(٦) الموطأ ٢١٥/٢.

(٧) المدونة ١٢٢/٢.

(٨) ابن سعد ٢٣٦/٥.

المعصفرات والمضرجات»^(١). وإنه قال: «صبغنا المهرمان وصبغ بني أمية الزعفران»^(٢). ويقول الكليني: «لا بأس بالمعصفر»^(٣). والواقع أن العرب وبخاصة في الحجاز، كانوا يستعملون المعصفر بدليل كثرة ذكر المصادر وبخاصة كتب الفقه لللبسة المعصفرة. فقد ذكرت هذه المصادر الثياب المعصفرة وقد لبسها كل من عمر بن الخطاب^(٤)، ومحمد بن الحنفية^(٥)، وخارجة بن يزيد^(٦)، وعروة بن الزبير^(٧)، والقاسم بن محمد^(٨)، وعمر بن أبي ربيعة^(٩).

وقد ورد ذكر الرداء المعصفر، كان على عروة بن الزبير^(١٠) وعلى جارية لسليمان بن عبد الملك التي كانت تلبس غلالة معصفرة^(١١). كما ذكرت الربطة المضرجة بالمعصفر^(١٢).

وذكرت المفدمة^(١٣) والمشبعة^(١٤). ويذكر الوشاء أنه في القرن الرابع الهجري كان المتظرفون وذوو المروءة يلبسون في العصد والعلاجات ووقت الشراب والخلوات الأزرق المعصفرة^(١٥).

أما في الإحرام فقد وردت إشارات متناقضة عن استعماله، فقد قال مالك: «أكبره الثوب المقدم بالمعصفر للرجال والنساء أن يحرم في ذلك، قال لأنه

(١) الكافي ٤٤٧/٦.

(٢) المصدر نفسه ٤٤٨/٦، لسان العرب ٣٢٧/١٤.

(٣) الكافي ٤٤٧/٦.

(٤) ابن سعد ٤-١١/٢، ١٥٠/٥، ٢٣٦. وانظر أيضاً المدونة ١١٣/٥، ابن حنبل ٢٠٧/٢.

(٥) ابن سعد ٣-١١/٢، ٢٣٧.

(٦) المصدر نفسه ٨٤/٥.

(٧) المصدر نفسه ١٩٤/٥.

(٨) المصدر نفسه ١٣٤/٥.

(٩) الأغاني ١٧٨/٨. وانظر الملاحف المعصفرة الموقفاً ٢١٥/٢.

(١٠) الأغاني ٢٧٥/٤.

(١١) الكافي ٤٤٧/٦، ابن ماجه ١٩٧/٢.

(١٢) المصدران أنفسهما، الموضعان أنفسهما.

(١٣) ابن ماجه ١٩٧/٢.

(١٤) الأم ١٢٦/٢، ابن حنبل ١٠٠/٢.

(١٥) الموشى ١٢٩.

ينتفض^(١). وروي عن عروة: «كره المفدم للمحرم ولم ير بالمضرج المبرهم بأساً»^(٢). وروي عن أسماء بنت أبي بكر أنها «كانت تلبس المعصفرات المعشبات وهي محرمة ليس فيها زعفران»^(٣).

أما في الحداد، فيروي مالك بسند من القاسم بن محمد عن عائشة أنها قالت: «لا يحلّ لمؤمنة أن تحبّ على ميتة فوق ثلاثة أيام إلا على زوج، فإنها تعتد أربعة أشهر وعشراً، ولا تلبس معصفاً ولا تقرب طيباً ولا تكتحل ولا تلبس إن شاءت ثياب العصب»^(٤).

المقدم:

ذكرنا فيما سبق أن العرب عرفوا درجات من اللون الأحمر أعلاها الأرجواني ثم البهرمان الذي يتلوه المقدم الذي يذكر ابن منظور عنه أنه من ثياب المشيع حمرة، وقيل هو الذي ليست حمرة شديدة، وأحمر مقدم مشيع، قال شمر: المقدم من الثياب المشبعة حمرة، وثوب قدم إذا أشبع صبغة، وثوب قدم إذا كان مصبوغاً بحمرة مشيعاً. وفي حديث أنه نُهي عن الثوب المقدم المشيع بالحمرة، وكان الذي لا يقدر على الزيادة عليه لتناهي حمرة، فهو كالممتنع عن قبول الصبغ، ومنه حديث علي: نهاني رسول الله (ص) أن أقرأ وأنا راكع، عن لبس المعصفر المقدم. وفي حديث عروة أنه كره المقدم للمحرم، ولم ير بالمضرج بأساً^(٥). ورد المقدم في الحديث مقترناً بالعصفر، ممّا يدلّ على أن الكلمة تطلق على اللون، وليس على مادة معيّنة، وأن المقدم هو صبغ عصفر أيضاً. وقد كره بعض الفقهاء استعمال المقدم، فيروي عن ابن عمر أنه قال: «نهى رسول الله (ص) عن المقدم»^(٦). وكان مالك يكره الورس

(١) المدونة ١٢٢/٢.

(٢) لسان العرب ٣٢٧/١٤.

(٣) الأم ١٢٦/٢.

(٤) المدونة ١١٣/٥.

(٥) لسان العرب ٢٤٦/١٥. وانظر أيضاً ٣٢٧/١٤، وفننك، مادة قدم. ويقول الحسن بن سهل

إن المقدم المشيع صفرة.

(٦) ابن حنبل ١٠٠/٢، ابن ماجة ١٩٧/٢.

والزعفران والعصفر المقدم الذي يتفضل، ولم ير بالمشق والمورد بأساً^(١). كما كان جعفر الصادق يكره المقدم إلا للعروس^(٢).

المضرج والمورد:

ذكرنا من قبل أن ابن منظور يذكر «المقدم وهو المشيع حمرة، والمضرج دون المشيع، ثم المورد بعده»^(٣) كما أشرنا إلى حديث عروة أنه كره المقدم للمحرم، ولم يرى بالمضرج بأساً^(٤). ويظهر أن المضرج كان قريباً من المورد لدرجة جعلت البعض يعتبرهما واحداً. فيروي ابن سعد بسند عن أبي عامر الخزاز عن عبد الله بن أبي مليكة: «قال رأيت علي عائشة ثوباً مضرجاً، فقلت وما المضرج، فقال هذا الذي تسمونه المورد»^(٥). والمضرج قريب الشبه بالعصفر، وقد ورد في كتب الحديث حديث عمرو بن شعيب الذي جاء فيه: «إذا علي ربطة مضرجة بالعصفر»^(٦). وقال أبو جعفر محمد بن علي: «لا تصلوا في المشيع المضرج»^(٧). وقال أيضاً: «إنا نلبس المعصفرات والمضرجات»^(٨).

أما المورد، فقد كان لون ثوب النساء غالباً، فقد ذكر منه درع علي عائشة^(٩)، وإزار استعمله كل من الشعبي^(١٠)، والحسن^(١١)، والسويد بن يزيد^(١٢)، والزرقاء^(١٣). وذكر من المورد ثوب كان علي عائشة^(١٤)، ورداء علي الزرقاء^(١٥).

(١) المدونة ٢/ ١٢٢.

(٢) الكافي ٦/ ٤٤٧.

(٣) لسان العرب ١٤/ ٣٢٧، ١٥/ ٢٤٦.

(٤) المصدر نفسه ١٥/ ٢٤٦.

(٥) ابن سعد ٨/ ٤٩.

(٦) أنظر فتلك مادة (ضرج).

(٧) الكافي ٦/ ٤٤٦.

(٨) المصدر نفسه ٦/ ٤٤٧.

(٩) ابن سعد ٨/ ٣٥٨، ٣٦٣.

(١٠) المصدر نفسه ٦/ ١٧٧.

(١١) أنساب الأشراف ٤- ٢/ ٢٢٩.

(١٢) الأغاني ٩/ ٢٦٣.

(١٣) المصدر نفسه ١٣/ ١٥.

(١٤) ابن سعد ٨/ ٤٩.

(١٥) الأغاني ١٣/ ١٥.

كما ذكرت ملحفة موزدة على الشعيبي^(١)، وعلى الشاعر ابن ميادة^(٢). ومما يصبغ بالموزد الكتان^(٣)، والقهوي^(٤). وفي القرن الرابع الهجري، «كان لبس الموزد الأحمر والسنيري الأخضر إنما هو لبس النساء والنبطيات، وليس الإماء والمتقنات»^(٥).

القرمز:

القرمز صبغ حيواني^(٦) أحمر اللون^(٧). ومن خصائصه أنه لا يصبغ به إلا ما كان من حيوان كالحرير والصوف^(٨). ويذكر الجاحظ أنه «زعم أن القرمز حشيشة تنبت في ثلاثة مواضع من الأرض، في ناحية المغرب بأرض الأندلس، وفي رستاق يقال له تارم، وفي أرض فارس، ولا يعرف هذه وأماكنها إلا فرقة من اليهود يتولون قلعها كل سنة من ماء أسفندار مذ تيس تلك الدودة، وخير ما يصبغ به في الأماكن بأرض واسط»^(٩).

الشرف:

الشرف طين أحمر... «وقال الليث الشرف له صبغ أحمر يقال له الذاربرنيان». وقال ابن الأعرابي: «هو تبت أحمر تصبغ به الثياب»^(١٠). وكانت الثياب العمرية مصبوغة به^(١١)، وهي التي كان عمر بن عبد الله بن معمر يقسمها على أهل المدينة^(١٢). وكانت عائشة لا ترى بأساً بالخمار يصبغ بالشرف^(١٣). ويسمى الثوب المصبوغ بالشرف ثوب مشرف.

(١) ابن سعد ١٧٧/٦.

(٢) الأغاني ١١١/٢.

(٣) ابن سعد ١٧٧/٦.

(٤) الأغاني ١٥/١٣.

(٥) الموشى ١٨٤.

(٦) المختص ٢١٢/١١، لسان العرب ٢٦/٧ نهاية الأرب للنويري ٢٢٦/١١.

(٧) الحيوان ٩٤/٥.

(٨) نهاية الأرب ١١/٣٢٦، جامع الأدوية المفردة ١٤/٤.

(٩) التبصر بالتجارة ١٩.

(١٠) لسان العرب ٧٥/١١. ويذكر الثعالبي الشرف طين أحمر، فقه اللغة ٢٤٢.

(١١) لسان العرب ٧٥/١١.

(١٢) الأغاني ١٠٢/١٤.

(١٣) لسان العرب ٧٥/١١.

الممشق:

من الألوان الحمراء التي ترد ذكرها هي الممشق والمغرة. فيقول ابن منظور: «الممشق المغرة، هو صبغ أحمر، ثوب ممشق مصبوغ بالمشق. الليث: الممشق طين أحمر يصبغ به الثوب»^(١). «ثوب ممقر مصبوغ بالمغرة... والمغرة والمغرة لون إلى الحمرة... وقيل الأحمر الذي ليس بناصع الحمرة وليست إلى الصفرة وحمرة كلون المغرة... وقيل هو الذي ليس بناصع الحمرة، وهو نحو من الأشقر كلون الشقرة... والأشقر الأذهب دون الأشقر في الحمرة وفوق الأفضح... وقيل المغرة حمرة ليست خالصة... والمغرة المدر الأحمر الذي يصبغ به»^(٢). وينقل ابن البيطار عن ديسقوريدس في الخامسة: «ما كان منها منسوباً إلى البلاد التي يقال لها السويس فأجوده... وقد يجمع بالبلاد التي يقال لها قبادوقيا من بعض المغاير ويصفى ويجلب إلى البلاد التي يقال لها سويس ويباع هناك ولذلك ينسب إليها»^(٣).

ذكرت المصادر عدداً ممن كان يلبس ثياباً بالمشق، ومنهم عثمان بن عفان^(٤)، وعبد الله بن عمر^(٥)، وطلحة بن عبيد الله^(٦)، وأبو هريرة^(٧). كما لبسه عمر بن أبي ربيعة^(٨) وكثير عزة، ومعبد المغنّي^(٩). وكان لبسه مباحاً في الإحرام، ففي حديث جابر: «كنا نلبس الممشق في الإحرام»^(١٠). وذكر مالك ثوباً صبغه بممشق^(١١). وذكرت ربطة كوفية ممشقة كانت على عثمان بن عفان^(١٢).

(١) لسان العرب ١٢/٢٢٣.

(٢) المصدر نفسه ٧/٢١.

(٣) جامع الأدوية المفردة ٤/٦٠.

(٤) ابن سعد ٣-١/٣٩.

(٥) المصدر نفسه ٤-١/١٢٧، الموطأ ٢/٢١٥.

(٦) ابن سعد ٣-١/٥٦، لسان العرب ١٢/٢٢٣.

(٧) لسان العرب ١٢/٢٢٣.

(٨) الأغاني ١/٧٢.

(٩) المصدر نفسه ١/٣٥.

(١٠) لسان العرب ١٢/٢٢٢.

(١١) المدونة ١٠/١٦٩.

(١٢) حلية الأولياء ١/٦٠.

ويبدو أن الممشق لم يكن من أصباغ الزينة، فقد كان مباحاً لبسه في الإحرام، وكان طلمحة يلبسها في الإحرام^(١).

أما المغرة فإن ابن البيطار ينقل عن ديوسقوريدس أنه يأتي من السويس ومن قبادوقيا، وأن أجودها المصرية والتي من قبادوقيا، وأن بعضها يأتي «العرب من البلاد التي يقال لها لبس بأن يحرق الجواهر الذي يقال له الآجر فإذا احترق استحال وصار مغرة»^(٢).

وذكر مؤلف حكاية أبي القاسم ثوب قلمون، وذكر المقرئ من ممن تعلموا المرتبة والخيام^(٣).

(١) ابن سعد ٣-١/١٥٦.

(٢) جامع الأدوية المفردة ٤/١٦٠-١٦١.

(٣) حكاية أبي القاسم ٣٥؛ انماظ الحنفا ٢/٢٨٨، ٣٨٣.

الفصل السابع

الملبوسات (*)

الرداء :

ذكرت المصادر رداءً متبلاً كان على الخليفة علي^(١)، ورداءً كان على القاسم بن محمد^(٢)، ورداءً قريباً مقتولاً كان على محمد النفس الزكية، عندما ثار^(٣).

تذكر كثير من النصوص الأردية مصبغة إما بالعصفر كالرداء الذي كان يستعمله عروة بن الزبير^(٤) أو ممصراً أو بالزعفران، كالرداء الذي كان يلبسه القاسم بن محمد حين أعرس^(٥)، والذي كان يلبسه الوليد بن يزيد^(٦). والغالب

(*) من الدراسات القيمة عن الملبوسات، كتاب "الملابس العربية في الشعر الجاهلي" لسيحبي وعيب الجبوري، والفصل الفني في كتاب "العامة في بغداد" لبكري محمد فهد. وقد قصر الكتاب الأول على دراسة الملبوسات في العصر الجاهلي؛ أما الكتاب الثاني فقد أفاض بمعلومات واسعة وبخاصة العمامة في المجهود العباسية المتأخرة. ولا غنى عن المعلومات الواسعة التي أوردها في نطاق مجالتهما.

(١) ابن سعد ٣-١٨/١.

(٢) المصدر نفسه ١٤٢/٥.

(٣) الطبري ١٦٩/٣.

(٤) ابن سعد ٥/١٣٤.

(٥) المصدر نفسه ١٤٢/٥.

(٦) الأغاني ٢/٢١٠.

أن الرداء يلبس بلا إزار. ويلبس الإزار مع البسة أخرى. وبخاصة مع الرداء حيث تردد ذكرهما معاً في أحاديث عن الرسول (ص) «وهو مئزر بإزار ليس عليه رداء... عليه رداؤه وإزاره.. دخل على رسول الله في إزار ورداء.. صلي جابر في إزار ورداء.. يحرم أحدكم في إزار ورداء ونعلين على بردتين مئزراً إحداهما مرتدياً الأخرى»^(١). ويذكر ابن سعد أنه كان للرسول (ص) برد يمينه وإزار من نسيج عمان فكان يلبسهما يوم الجمعة ثم يطويان^(٢). قال أحدهم: «ربما رأيت علياً يخطبنا وعليه إزار ورداء مرتدياً به غير ملتحف وعمامة فينظر إلى شعر رأسه ويطبئه»^(٣). و«رأيت علياً يخرج من القصر وعليه قطريتان إلى نصف الساق ورداء مشمراً»^(٤) وقد دخل حماد الراوية على الوليد بن يزيد «فإذا هو على سرير مهتد وعليه ثوبان إزار ورداء يقيتان الزعفران قياً»^(٥). وقد يلبس الرداء مع الإزار والقميص، فيروي خالد بن أبياس «رأيت على سعيد بن المسيب قميصاً إلى نصف ساقه وركبه طالعة أطراف أصابعه ورداء فوق قميصه خمس أذرع وشبراً»^(٦)، وكان على محمد النفس الزكية حين ثار قميص غليظ ورداء قرقبي مفتول^(٧).

وقد يلبس الرداء مع الإزار والقميص، فتروي أم كثير أنها رأت علياً ومعه مخفقة وعليه رداء سبلاني وقميص كرابيس وإزار كرابيس إلى نصف ساقه الإزار والقميص^(٨). ويروي الكليني أن الخليفة علي اشترى ثلاثة أثواب «القميص إلى فوق الكعب، والإزار إلى نصف الساق، والرداء من يديه إلى ثديه ومن خلفه إلى إلبته». ويروي رجل أن علياً عندما قتل كان عليه قميص «فشبرت بدنه فإذا هو ثلاثة أشبار، وشبرت أسفله فإذا هو اثنا عشر شبراً»^(٩).

(١) انظر مواضع هذا الحديث من كتب الصحاح: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

(٢) ابن سعد ١-١٠/١٠.

(٣) المصدر نفسه ٣-١٧/١.

(٤) المصدر نفسه ٣-١٨/١.

(٥) الأغاني ٣/٢١٠، ٧٩/٦.

(٦) ابن سعد ٥-١٠٣/١.

(٧) الطبري ٣/١٦٩.

(٨) ابن سعد ٣-١٨/١.

(٩) الكافي ٦/٤٥٦.

ويقول الأعمش: «رأيت إزار أبي وائل إلى نصف ساقه وقميصه فوق ذلك ورداءه فوق ذلك، ومجاهد مثل ذلك»^(١). قد يلبس الرداء مع الثياب، فيروي ابن قتيبة عبد الله بن جعفر «رأيت رسول الله (ص) عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران ورداءه وعمامته»^(٢). ويروي جرير بن عثمان أنه رأى عبد الله بن عمر مشتمراً ورداؤه فوق القميص^(٣). وفي العهود العباسية، ذكر الوشاء الأردية الرشيدية، والمرشوشة^(٤)، والمحشاة المدنية الملونة^(٥)، وذكر أبو القاسم رداء شطوياً^(٦). وذكر الشعالي أردية مصر^(٧)، وذكر المقرئزي الرداء المحشوي المذهب^(٨).

ورد ذكر الإزار في كثير من أحاديث الرسول كما تردّد ذكره في كتب التراجم، الأمر الذي يدل على شيوعه كما يذكر الشيباني^(٩)، ومؤلف حكاية أبي القاسم^(١٠). ويختلف طول الإزار فكان للنبي إزار من نسيج عمان طوله أربع أذرع وشبر في ذراعين وشبر^(١١). وكان سالم بن عبد الله يأتزر بإزار قصير ليس له حاشية^(١٢). وكان إزار ابن عمر فوق العرقوبين ودون العضلة^(١٣)، وكان إزار أبي وائل إلى نصف ساقه^(١٤)، وروي أن الخليفة علي كان يأتزر فوق السرة^(١٥)،

- (١) ابن سعد ١٨/٦.
- (٢) عيون الأخبار ٢٩٨/١.
- (٣) ابن سعد ٢٩٨/١.
- (٤) الموشى ١٨٤، ١٣٦.
- (٥) المصدر نفسه ١٧٩.
- (٦) حكاية أبي القاسم ٨٦.
- (٧) ثمار القلوب ٥٣٤.
- (٨) اتماظ الحنفاء ١٣٣/٢.
- (٩) الجامع الكبير ٢٥٣.
- (١٠) حكاية أبي القاسم ٨٦.
- (١١) ابن سعد ١-١٠/١.
- (١٢) المصدر نفسه ١٤٦/٥.
- (١٣) المصدر نفسه ٤-١/٢٨.
- (١٤) المصدر نفسه ٦/٦٨.
- (١٥) المصدر نفسه ٣-١/١٧.

ويروى عن الرسول أنه قال .. «أزره المؤمن إلى نصف الساق ولا جناح فيما بينه وما بين الكعنين»^(١). ويعتبر إسبال الإزار وإرخائه من الخيلاء. فقد قال رجل لابن أخي خالد بن الوليد: «أتدع ابن أثال يقني أوصال ابن عمك بالشام وأنت بمكة مسبل إزارك تجرّه وتخطر فيه متخايلاً»^(٢). وكان إزار الشعبي مسترخياً^(٣)، وتروى عن الرسول أحاديث في النهي عن إسبال الإزار أو جرّه خيلاء. ويبدو أن القرشيين عرفوا إرخاء الإزار فقد قال الأخطل:

مشي قرشبة لاشك فيها وأرخي من مآزره الفضولاً^(٤)

ويُلبس الإزار بأشكال مختلفة: فيروي الخليفة علي: «قال لي رسول الله (ص) إذا كان إزارك واسعاً فتوشح به، وإذا كان ضيقاً فأتزر به»^(٥). ولبس عدد من الصحابة الإزار محلاً، فيروي كثير بن زيد رأيت سالم بن عبدالله يصلي في قميص واحد محلل الإزار^(٦)، ويقول الأزرق بن قيس: ما رأيت ابن عمر إلا وهو محلول الإزار^(٧). ويروي الأصفهاني أن تميم أول من عقد في طرف النساء الإزار زناراً وخيط إبريسم، ثم جعله في رأسها فيثبت الإزار ولا يتحرك ولا يزول^(٨). كما ذكر مرور ابن تيزم المغني وقد اتزر بمتزر على صدره، وهي إزرة الشطار عندنا^(٩).

وقد يُلبس الإزار مع القميص، فيروي زريق أن الحسين جاء مرة وعليه

(١) لسان العرب ٥/٧٢.

(٢) الأغاني ١٥/١٣.

(٣) ابن سعد ٦/١٧٧.

(٤) الأغاني ٨/٢٩٦.

(٥) ابن سعد ٣-١/١٧.

(٦) المصدر نفسه ٥/١٣٦.

(٧) المصدر نفسه ٤-١/١٢٨.

(٨) الأغاني ٧/٣٠٢.

(٩) المصدر نفسه ١/٤٠٨، ٦/٣٣٩.

قميص قوهي وإزار مصبوغ بزعفران^(١). وكان ابن عمر يأتزر فوق القميص في السفر^(٢)، وكان يمشي بين ثوبين كأنني أنظر إلى عضلة ساقه تحت الإزار والقميص فوق الإزار^(٣). ويروي قدامة أنه رأى علياً يخطب عليه قميص قرّ وإزاران قطريان^(٤). وكان أبو هريرة يكره أن يأتزر فوق قميصه^(٥).

وقد يلبس الإزار مع ألبسة أخرى: فقد روى أبو ظبيان: خرج علينا عليّ في إزار أصفر وقميصة سوداء^(٦). ويروي الأعمش رأيت إزار أبي وائل إلى نصف ساقه، وقميصه فوق ذلك، وجاهد في مثل ذلك^(٧). ولما صار بنو الحسن إلى الربذة دخل محمد بن عبد الله على علي بن جعفر وعليه قميص وساج وإزار رقيق تحت قميصه^(٨). كما قد يلبس تحت الملحفة. وقد شوهد الوليد بن يزيد وهو يرتدي إزاراً ورداء^(٩)، وقد منع عمر بن عبد العزيز دخول الحمام بدون إزار^(١٠).

ذكرت أزر من عمان^(١١) وأزر قطرية^(١٢). وقد يكون الإزار أصفر كإزار عمر يوم أصيب^(١٣)، وإزار علي^(١٤)، أو موزداً أو مصبوغاً بالزعفران مثل إزار الحسين^(١٥)، وإزار الوليد بن يزيد^(١٦)، وإزار الشعبي^(١٧)، وقد يكون الإزار أحمر^(١٨).

(١) أنساب الأشراف ٤-٢/٢٢.

(٢) ابن سعد ٤-١/١٢٨.

(٣) المصدر نفسه ٤-١/١٢٨.

(٤) المصدر نفسه ٣-١/١٦.

(٥) المصدر نفسه ٤-٢/٥٩.

(٦) المصدر نفسه ٣-١/٢٠.

(٧) المصدر نفسه ٦/٦٨.

(٨) الطبري ٣/١٧٦.

(٩) الأغاني ٦/٢٩٩، ٢/٢١٠.

(١٠) ابن سعد ٤-٦/١٢٧.

(١١) المصدر نفسه ١-١/١٠.

(١٢) المصدر نفسه ٣-١/٢٧٣، ٧/١٦.

(١٣) المصدر نفسه ٣-١/٢٥٢.

(١٤) المصدر نفسه ٣-١/٢.

(١٥) أنساب الأشراف ٤-٢/٢٢٩.

(١٦) الأغاني ٩/٢٦٣.

(١٧) ابن سعد ٦/١٧٧.

(١٨) الأغاني ٢/٣١٥.

القميص:

يعتبر القميص من القطعات عند البعض على ما يروي ابن منظور^(١). وهو من الثوب، فيروي عن حجاج الصواف أنه قال: «أمرني عمر بن عبد العزيز وهو وال على المدينة أن أشتري له ثياباً، فاشتريت له ثياباً فكان فيها ثوب بأربعمئة، فقطعه قميصاً ثم لمسه بيده، فقال ما أخشنه وأغلظه»^(٢). وللقميص أكمام، فكان القاسم بن محمد تتجاوز كمأ قميصه وجب أصابعه بأربعة أصابع أو شبر أو نحوه^(٣). وكان قميص الخليفة علي إذا مد كمه بلغ الظفر فإذا أرخاه.. بلغ نصف ساعده. وقال عبد الله بن نمير بلغ نصف الذراع^(٤). أما قميصه السنبلائي فقد جاء خياط فمد كم القميص فأمره أن يقطعه من خلف أصابعه^(٥). وقد يكون القميص محلل الأزرار^(٦). أما طول القميص فيختلف، فكان على سعيد بن المسيب قميص إلى نصف ساقه: كمأه طالعة منهما أطراف أصابعه ورداء فوق القميص خمسة أذرع وشبرا^(٧). وكان على سالم بن عبد الله قميص إلى نصف ساقه^(٨). أما عمر بن عبد العزيز، فكانت قميصه وجبايه ما بين الكعب والشراك^(٩)، وكان على الفرزدق قميص أسود إلى سرتة^(١٠).

وقد تبدلت أساليب لبس القميص. فيروي ابن قتيبة قال معمر رأيت قميص أيوب يكاد يمس الأرض فكلمته في ذلك فقال الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وأنها اليوم في تشميره^(١١). ويروي أن الرسول (ص) قال إن

(١) لسان العرب ١٠/١٥٥.

(٢) ابن سعد ٥/٢٤٦.

(٣) المصدر نفسه ٥/١٤٠.

(٤) المصدر نفسه ٣-١/١٧.

(٥) المصدر نفسه ٣-١/١٨.

(٦) المصدر نفسه ٥/١٤٦.

(٧) المصدر نفسه ٥/١٠٣.

(٨) المصدر نفسه ٥/١٤٦.

(٩) المصدر نفسه ٥/٢٩٨.

(١٠) الأغاني ١٩/٤٠.

(١١) عيون الأخبار ١/٩٨.

المُحَرَّم: لا يلبس القميص ولا العمامة ولا البرنس ولا السراويل ولا الخفين إلا لمن لا يجد نعلين^(١).

ذكر من ألوان القمصان البيضاء والسوداء، فيروي الطبري أن محمد النفس الزكية جاء عند ثورته وعليه قميص أبيض محشو وعمامة بيضاء^(٢). ويروي الأصفهاني أن الفرزدق جاء مرة وعليه قميص أسود وقد شقّه إلى سرّته^(٣). وقد تصنع القمصان من الكتان. ويروي أنه كان لسالم بن عبد الله قميص كتان^(٤)، أو قد تصنع من الكرايس: فقد ذكر عطاء: رأيت على عليّ قميصاً من هذه الكرايس^(٥). كما ذكر القميص المكفّف بالديباج وأشهر القمصان التي تردّد ذكرها هي القوهي الرازية ثم الهروية^(٦). وذكر الرشّاء القميص المحبّر^(٧). وذكر المقرئ القميص المصمت والطميم المذهب^(٨).

ويُلبس القميص مع الرداء أو مع الجبّة، وقد تلبس فوق القميص الملحفة والملاءة^(٩).

الملحفة:

يقول ابن منظور: «الدحاف والملحف والملحفة اللباس الذي فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه، وكل شيء تغطيت به... فقد التحفت به والملحفة عند العرب الملاءة المسطّة، فإذا بظنت ببطانة أو حشيت، فهي عند العوام ملحفة. ويقول في مكان آخر الإزار والملحفة وتذكر أغلب النصوص الملحفة المعصفرة، فقد كان يلبسها خارجة بن زيد وعمر بن أبي ربيعة والقياسم بن محمد. كما ذكرت ملحفة صفراء لبسها عمر بن الخطاب،

(١) الأم ١٢٥/٢.

(٢) الطبري ٢٢٤/٣.

(٣) الأغاني ٤٤/٩.

(٤) ابن سعد ١٤٦/٥.

(٥) المصنوع منه ١٧/١-٣.

(٦) انظر فصل مراكز النسيج.

(٧) الموشى ١٧٩، ١٣٦.

(٨) انعاظ الحنفا ٧١/٢.

(٩) ابن سعد ١٨٦/٦.

ومحمد بن الحنفية^(١). وذكرت الملحفة الحمراء وقد استعملها علي بن حسين ومحمد بن علي، وإبراهيم النخعي، وإبراهيم التيمي، وقد تكون الملحفة موزدة. وقد تلبس الملحفة مع القميص، فقد روي عن عروة بن الزبير أنه كان يصلّي في قميص وملحفة مشتملاً بها على القميص، أو تلبس مع الإزار. فيروي سلمة بن كهيل ما رأيت إبراهيم في صيف قط إلا وعليه ملحفة حمراء وإزار أصفر^(٢). وقد لبس طويس ملحفة فأترز بها وأرخى لها ذنبتين^(٣). وقد ورد عن طريقة لبس الملحفة: «رأيت القاسم بن محمد وعدناه في مرضه وعليه ملحفة معصفرة قد أخرج نصف فخذها منها»^(٤). ويروي موسى بن نافع أن ابن جبير يصلّي وعليه ملحفة شقّتان ملففة^(٥).

الملاءة:

يذكر ابن منظور «أن الملاءة الربطة وهي الملحفة.. وفي الحديث .. فرأيت السحاب يتسرّب وكأنه الملاءة حين تطوى.. وهي الإزار والربطة»^(٦).

ذكرت الملاءة ووصف لونها في عدد من النصوص فمنها: الصفراء فكان علي عثمان ملاءة صفراء^(٧)، وكان لإبراهيم النخعي ملاءتان صفراوان يخرج فيهما إلى المسجد الجامع ويجمع فيهما^(٨). وكانت له أيضاً ملاءة حمراء يصلّي بنا فيها^(٩). وكان سعيد بن المسيّب يلبس ملاءة شرقية^(١٠). وكان علي الوليد الثاني ملاءة ظبية^(١١). ويتبيّن من هذه النصوص أن الملاءة كانت من ألبسة الرجال في الحجاز والكوفة والشام.

(١) لسان العرب مادة لحف.

(٢) ابن سعد ١٩٦/٦ - ١٩٧.

(٣) اتماظ الحنفا ١٣٢/٢.

(٤) ابن سعد ١٤٢/٥.

(٥) المصدر نفسه ١٨٦/٦.

(٦) لسان العرب ١٥٥/١.

(٧) أنساب الأشراف ٤/٥.

(٨) ابن سعد ١٩٧/٧.

(٩) المصدر نفسه ١٩٧/٦.

(١٠) المصدر نفسه ٩٩/٥.

(١١) الأغاني ٥٢/١.

الربطة:

يقول ابن منظور: «الربطة الملائة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين، وقيل الربطة كل ملائة غير ذات لفقين كلّها نسج واحد، وقيل هو كل ثوب لين دقيق وجمع ربط رياط قيل:

لامهل حتى تلحفني بعننٍ أهل الرياط البيض والقلنس
قال الأزهري لا تكون الربطة إلا بيضاء والرايطة كالربطة^(١).

ذكرت الربطة في بعض النصوص، فيروي أبو عبيدة عن أبيه: دخل علينا كثير يوماً، وقد أخذ بطرف ربطه، وألقى طرفها الآخر، وهو يقول^(٢):

خلق البيض الحسان لنا وجبأذ السريط والإزير^(٣)

ويذكر أبو نعيم عن عبد الملك بن شداد أنه رأى عثمان يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ، وربطة كوفية مشوقة^(٤). ويذكر مالك الرائطة من نسيج الرلائد^(٥).

الدراعة:

كانت الدراعة من أهم ثياب النساء زمن الرسول (ص)، حين كانت الثياب بسيطة وقليلة. وقد ذكرت الدراعة لباساً للنساء في عدة نصوص^(٦)، وللرجال^(٧). وقد تكون الدراعة صفراء^(٨)، أو موزدة^(٩) أو موزسة^(١٠) أو

(١) لسان العرب ١٧٨/٩.

(٢) الأغاني ١٢٥/٨.

(٣) المصدر نفسه ٤٩/٩.

(٤) حلية الأولياء ٦٠/١.

(٥) المدونة ٣١٠٢٤/٩.

(٦) الأغاني ٢٨١/٢، ابن سعد ٣٥٨/٨.

(٧) الأغاني ٤٦/١.

(٨) المصدر نفسه ١٧١/١١.

(٩) ابن سعد ٣٥٨/٨.

(١٠) الأغاني ١٨٠/٢.

مصبوغة بالزعفران^(١). وذكرت في العهود العباسية الدراعة^(٢)، والدراعة الدبقية^(٣)، والمحمّمة^(٤)، والصوف البيضاء^(٥)، والسرنجود^(٦).

الخميصة:

يقول أبو عبيد: «الخميصة كساء أسود مربع له علمان، ويقول، وعن الأصمعي، إن الخميصة ملاءة معلّمة من خزّ وصوف»^(٧). ويذكر ابن منظور: «الخميصة برنكان أسود معلّم من المرعز والصوف ونحوه، والخميصة كساء أسود مربع له علمان، فإن لم يكن معلّماً فليس بخميصة .. وفي الحديث جثت البهو عليه خميصة، تكرّر ذكرها في الحديث، وهي ثوب خزّ أو صوف معلّم، قيل لا تسمّى خميصة إلا أن تكون سوداء معلّمة، وكانت من لباس الناس قديماً وجمعها الخمائص ثياب من خزّ ثخان سود وحمير ولها أعلام ثخان»^(٨) أيضاً. وقد ذكرت الخميصة في زمن الرسول، فيروى أنه قال نعت عبد الديشار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة^(٩)، ممّا يدلّ على أنها من ألبسة المترفين. وقد ذكرت خميصة سوداء لبسها عثمان^(١٠)، كما لبسها عليّ مع إزار أصفر^(١١).

البرنكان:

ينقل ابن منظور عن ابن الأعرابي: البرنكان ضرب من الثياب .. عن

(١) الأغاني ٤٦/١.

(٢) الذخائر ١٥٤، ١٦١.

(٣) رسوم دار الخلافة ٢٦، ٩٨.

(٤) اتعاظ الحنفا ٢/٣، ٢٢.

(٥) الموشى ١٢.

(٦) المصدر نفسه ١٧٨.

(٧) فقه اللغة ٢٤٦.

(٨) لسان العرب ٨/٢٨٦.

(٩) البخاري: كتاب الجهاد ٧٠، ابن ماجّة: الزهد ٨.

(١٠) ابن سعد ٣/١٠٣، أنساب الأشراف ٣/٥.

(١١) ابن سعد ٣-١/٢٠.

الجوهري: البرنكان ضرب من الأكسية، قال الفراء البرنكان كساء من صوف له علمان^(١). ولم يرد ذكر البرنكان في الحديث، ولكن يذكر الأصفهاني أن رؤية بن العجاج دخل السوق وعليه برنكان أخضر^(٢). ويذكر ابن فتيبة أن جعفر البرمكي مر على الأصمعي ورآه على مصلى بال وعليه برنكان أجرد^(٣).

المرط:

يقول الشعالي المرط من خزّ أو صوف يؤتزر به^(٤). ويقول ابن منظور: «المرط كساء من خزّ أو صوف أو كتان، وقيل هو الثوب الأخضر». وفي الحديث أنه (ص) كان يصلي في مروط^(٥):

ذكر المرط من الألبسة، فروى الأصفهاني أن بثينة جاءت وهي تنعثر في مرطها^(٦).

ويقول

وتلبسُ للجارات إنباً ومشرراً مرطاً فبش الشيخ يرفل في الإنب^(٧)

الغلالة:

يقول ابن منظور الغلالة شعار يلبس تحت الثوب لأنه لا يتغلل فيها أي بدخل^(٨).

وقد ذكر الأصفهاني الغلالة في الأغاني، فذكر أن سليمان بن عبد الملك

(١) لسان العرب ٢٨١/١٢، وانظر ابن سعد ٨٠/٤٥.

(٢) الأغاني ٦٠/٢١.

(٣) عيون الأخبار ٢٩٩/١.

(٤) فقه اللغة ٢٤٦.

(٥) لسان العرب ٢٧٨/٩.

(٦) الأغاني ١٥٤/٨.

(٧) المصدر نفسه ٤٠١/١.

(٨) لسان العرب ١٥/١٤.

وجارية إلى جنبه وعليها غلالة ورداء معصفران وعليها وشاحان من ذهب وفي عنقها فصلاان من لؤلؤ وزبرجد وياقوت^(١). وذكرت الغلالة في العهود العباسية،^(٢) ومنها القصب^(٣)، والمذهبة^(٤)، والممسكة^(٥)، والرقاق^(٦)، والدخانية^(٧).

الخمار:

يقول ابن منظور: «وقيل الخمار ما تغطي المرأة رأسها»^(٨). وقد ذكر الخمار في عدة نصوص. فيروي ابن سعد عن عائشة: «عليها خمار جبشاني»^(٩)، وخمار أسود^(١٠). ويبدو أن الخمر السود لم تكن شائعة في بداية الإسلام، وأن العراق كان من البلاد المنتجة لها، فيروي الأصفهاني أن تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخمر فباعها كلها وبقيت السود منها فلم تنفق وكان صديقاً للدارمي، فنظم له الدارمي قصيدة مطلعها: «قل للمليحة في الخمار الأسود».. فلم تبقى في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفذ ما كان ما للعراقي منها^(١١). ويبدو أن الخمار كان أحص بلبس الحرائر، فيروي أحمد بن محمد عن عبد الرحمن بن حسن عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز «كتب أن لا تلبس أمة خماراً ولا يتشبهن بالحرائر»^(١٢).

القباء:

والقباء ثوب مفتوح، فيروي الأصفهاني أن رجلاً كان في جيبه مخيصة فشقه

(١) الأغاني ٢٧٥/٤.

(٢) الذخائر ١٥٤، ١٣٠٢ رسوم دار الخلافة ٩٦؛ لطائف المعارف ١٨٦.

(٣) رسوم دار الخلافة ٩٧.

(٤) انعاظ الحنفيا ١٣٣/٢.

(٥) المعش ١٣٦، ١٧٩.

(٦) المصدر نفسه ١٧٩.

(٧) المصدر نفسه ١٨٤.

(٨) لسان العرب ٣٤/٢/٥.

(٩) ابن سعد ٣٤/١/٨.

(١٠) المصدر نفسه ٨/٣٦٣.

(١١) الأغاني ٤٥/٣.

(١٢) ابن سعد ١٨١/٥.

إلى أسفله فصار قباء^(١). وكان القباء مستعملاً في العراق وفي الحجاز، وهو إما من سندس كقباء زياد ابن أبيه^(٢)، أو من خز كقباء عروة بن الزبير^(٣)، أو من ديباج كقباء أهدي إلى الرسول^(٤)، وكقباء زياد الأعجم^(٥). والقباء أو من سمور كقباء الشعبي^(٦)، أو من كتان كالقباء الذي كساه أبو جعفر بن عتاب^(٧). وقد يكون القباء مبطناً بالحرير كقباء عروة^(٨). وقد يلبس مع المطرف كما فعل زياد بن أبيه^(٩)، أو قد يلبس قباوان أحدهما فوق الآخر، كما فعل ابن عتاب حيث كساه أبو جعفر قباء خز وكساه تحته قباء كتان مرقوع القب^(١٠).

يروى أبو الفرج أن زياد الأعجم كان يخرج وعليه قباء ديباج تشبهاً بالأعاجم^(١١)، مما يدل على أن هذا اللباس هو لباس الأعاجم. ويقول أيضاً ولما تولى محمد بن عبيد الملك الوزارة اشترط أن لا يلبس القباء وأن يلبس الدراعة ويتقلد عليها سيفاً بحمائل فأجيب إلى ذلك^(١٢). وذكر القباء في العصور العباسية^(١٣).

السروال:

ذكر ابن سعد أن سعيد بن المسيب كان يلبس السروال^(١٤). وروى ابن جريج عن عطاء أنه قال من لم يكن له إزار وله ثبان أو سروال فليلبسهما.

- (١) الأغاني ٢٠٨/٨.
- (٢) المصدر نفسه ٢٠٣/١٦، ١١٥.
- (٣) ابن سعد ١٣٤/٥.
- (٤) صحيح مسلم ١٥٣/٢.
- (٥) الأغاني ١٠٠/١٤.
- (٦) ابن سعد ١٧٦/٢.
- (٧) الأغاني ٤٥/٢٠.
- (٨) ابن سعد ١٣٤/٥.
- (٩) الأغاني ٣٢٠/١٦.
- (١٠) المصدر نفسه ٤٢/٢٠.
- (١١) المصدر نفسه ١٠٠/١٤.
- (١٢) المصدر نفسه ٤٥/٢.
- (١٣) رسوم دار الخلافة ١٩٢٦، اتعاظ الحنفيا ١٣٤/٢.
- (١٤) ابن سعد ١٠٣/٥.

ويستقي شداد السروال هميان، وكانت توضع فيه الدراهم. فقد أخرج ابن جامع «من وسطه همياناً فيه ثلاثمائة درهم».

البردة:

يقول ابن منظور: «البردة كساء يلتحف به، وقيل إذا جعل الصوف شقّه وله هذب فهي بردة. وفي حديث ابن عمر أنه كان عليه يوم الفتح بردة فلوث قصيرة، وقال شمر رأيت أعرابياً بخزيمية وعليه شبه منديل من صوف قد اتّزر به فقلت ما تسميه، قال بردة.. قال الأزهري وجمعهما برد، وهي الشملة المخططة قال الليث: وأما البردة فكساء مربع أسود تلبسه الأعراب»^(١).

ويروي البخاري عن سهل بن سعد: «جاءت امرأة ببردة، قال أتدرون ما البردة؟ ف قيل له نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها، فقالت يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي (ص)»^(٢). وقد ورد في الأغاني ذكر بردة من برد الأعراب^(٣).

لا بد من الإشارة إلى تمييز البردة من البرود التي هي أنسجة يمانية تنسب إلى أماكن مختلفة من اليمن كانت تعرف بصناعتها.

الشملة:

يتبين من الحديث النبوي الذي أورده البخاري عند الكلام عن البردة أن البردة هي شملة منسوج في حاشيتها، ومن كلام الأزهري أنها الشملة المخططة.

فأما الشملة، فيقول ابن منظور: «المشمل ثوب يشتمل به، واشتمل بالثوب إذا أداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده.. والشملة الصماء التي ليس تحتها قميص ولا سراويل. قال أبو عبيد اشتمال الصماء هو أن يشتمل بالثوب

(١) لسان العرب ٥٣/٤.

(٢) البخاري: البيوع باب النجاج.

(٣) الأغاني ١٣/٢.

حتى يجلل به جسده، ولا يرفع منه جانباً فيكون فيه فرجة تخرج منها يده وهو التلفع، وربما اضطجع فيه على هذه الحالة. قال أبو عبيدة وأما تفسير الفقهاء فإنهم يقولون هو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبه فيبدو منه فرجه، قال والفقهاء أعلم بالتأويل في هذا الباب وذلك أصح في الكلام. الجوهري: والشملة كساء دون القطيفة يشتمل به. وقال أبو منصور: الشملة عند العرب منزر من صوف أو شعر يؤتزر به فإذا تُفّق لفقيّن فهي مشملة يشتمل بها الرجل إذا نام الليل .. الليث: المشملة والمشمّل كساء له خمل متفرق يلتحق به دون القطيفة. وفي الحديث ولا تشتمل اشتمال اليهود هو افتعال من الشملة وهو كساء يُتَغَطّى به ويُتَلَقّى فيه، والمعني عنه هو التجلل بالثوب وإسباله من غير أن يرفع طرفه^(١).

ذكرت المصادر استعمال الشملة فيروي الأغانبي أنه «كان العرجي يستقي على إبله في شملتين، ثم يغتسل ويلبس حلة بخمسائة دينار»^(٢).

المطرف:

يقول ابن منظور: «المطرف واحد المطارف وهي أردية من خزّ مربّعة لها أعلام، وقيل ثوب مربّع من خزّ له أعلام. الفراء: المطرف من الثياب في طرفيه علمان»^(٣). ويقول الثعالبي إن المطرف كساء في طرفيه علمان^(٤). لم يرد للمطرف ذكر في كتب الحديث سوى ما روي أن عائشة كست عبد الله بن الزبير مطرف خزّ^(٥). وكان المطرف من لباس الطبقة الميسورة. فيروي ابن قتيبة أن بعض أشراف البصرة كانوا «إذا أتوا السلطان ركبوا ولبسوا المطارف»^(٦). وأكثر النصوص التي ذكرت المطرف ذكرته مقروناً بالخزّ. ومثّن ذكر أنه لبس

(١) لسان العرب ٣٩١/١٣-٣٩٢.

(٢) الأغانبي ٣٩٠/١.

(٣) لسان العرب ١٢٣/١١.

(٤) فقه اللغة ٢٤٦.

(٥) ابن حنبل ٤/٣٨٣، ٤٣٨. وانظر: فنيك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مادة طرف.

(٦) عيون الأخبار ٢٩٧/١.

مطرف خنز: عثمان بن عفان^(١)، ومحمد بن عمر^(٢)، وعبد الله بن عمر^(٣)، وأبو سلمة^(٤)، وعبد الرحمن بن أبي ليلى^(٥)، ومحمد بن الحنفية^(٦)، والوليد بن يزيد^(٧).

كان مطرف الخنز يلبس مع الجبة. وممن ذكر أنه لبسهما عبدالله بن عمرو بن عثمان^(٨). والسيد الحميري^(٩)، ومحمد بن علي بن جعفر^(١٠). كما كان يلبس أيضاً مع البرنس، حيث ذكر أن شريح لبسهما^(١١).

إن ألوان المطارف متنوعة: منها الأخضر وقد لبسه زياد^(١٢)، والشعبي^(١٣)، والأحمر وقد لبسه عبد الله بن عمرو بن عثمان^(١٤)؛ والأصفر وقد لبسه أبو سلمة^(١٥)، ومحمد بن الحنفية^(١٦)، والشعبي^(١٧)؛ والأدكن وقد لبسه عروة بن الزبير^(١٨).

ولم يتردد ذكر المطارف في العهود العباسية إلا مرة، ذكره الرشيد مّا يدل على تناقص استعماله.

- (١) ابن سعد ٤٠/١-٣.
- (٢) المصدر نفسه ١٢٧/١-٣.
- (٣) المصدر نفسه ٥٠/٥.
- (٤) المصدر نفسه ٧١/٦.
- (٥) المصدر نفسه ٨٤/٥.
- (٦) الأغاني ٧/٧.
- (٧) المصدر نفسه ١٥/١٩.
- (٨) المصدر نفسه ٢٥٠/٧.
- (٩) ابن سعد ٣٣٦/٥.
- (١٠) الأغاني ٣/١٦.
- (١١) المصدر نفسه ٩٦/٦.
- (١٢) ابن سعد ٣/١٦.
- (١٣) المصدر نفسه ١٧٦/٥.
- (١٤) المصدر نفسه ٥١/١٩.
- (١٥) المصدر نفسه ١١٦/٥.
- (١٦) المصدر نفسه ٧٤/٥، عيون الأخبار ٢٩٨/١.
- (١٧) ابن سعد ١٧٦/٦.
- (١٨) المصدر نفسه ١٤٣/٥.

الطيلسان:

يقول الجوهري: الساج الطيلسان الأخضر، والجمع سيجان^(١). ويقول ابن الأثير: «وفي حديث ابن عباس كان يلبس في الحرب من ما يكون من السيجان الأخضر، جمع ساج، وهو الطيلسان الأخضر، وقيل الطيلسان المقثور ينسج كذلك كان القلائس تعمل منها أو من نوعها. وفي حديث أبي هريرة أصحاب الدجال عليهم السيجان. وفي رواية: كلهم ذو سيف محلى وساج. وفي حديث جابر: فقام في ساجه .. وهو ضرب من ملاحف متسوجة»^(٢). نقل ابن منظور كلام ابن الأثير وأضاف إليه قول ابن الأعرابي: «السيجان الطيالة السود، واحدها ساج.»^(٣) وقد تردّد في المصادر استعمال السيجان بالديباج، أو المدبجة.

أما الطيالة، فقد ذكر ابن منظور أنها ضرب من الأكسية، وأن الطلسة هي الغبرة إلى السواد^(٤). ويعتبر الشافعي الطيالة من أصناف مواد المنسوجات إذ يقول البياض والحرير والطيالة والصوف كله والإبريسم^(٥).

ذكرت المصادر استعمال الصحابة والتابعين والعرب الطيلسان. وذكر أن جبير بن مطعم أول من لبس طيلساناً بالمدينة^(٦). وكان بعض من شهد القادسية يلبس طيلساناً^(٧).

وروى ابن سعد بسند عن يزيد بن حازم أنه قال: «رأيت علي بن الحسين طيلساناً كردياً غليظاً»^(٨). وروى الواقدي بسند عن حكيم بن عباد بن

(١) الصحاح للجوهري ١٥٤/١.

(٢) النهاية في غريب الحديث ١٩٨/٢.

(٣) لسان العرب ١٢٧/٣.

(٤) المصدر نفسه ٤٣٠/٧.

(٥) الأم ١٠٨/٣.

(٦) الاستيعاب لمعرفة الإحجاب ٢٣٣/٣.

(٧) ابن سعد ١٠٤/٦.

(٨) المصدر نفسه ١٦١/٥.

حنيفة أنه قال: «رأيت أبا جعفر متكئاً على طيلسان مطوي في المسجد، قال محمد بن عمر (الواقدي) ولم يزل ذلك من فعل الأشراف وأهل المروءة عندنا الذين يلزمون المسجد يتكثرون على طيالة مطوية، سوى طيلسانه وردائه الذي عليه»^(١). ورد ذكر برنس من طيالة، فيروي ابن سعد أن الأسود بن يزيد روى وهو يسجد في برنس طيالة^(٢). وورد في صحيح مسلم ذكر «جبة طيالة كسروانية لها ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج»^(٣). وأشارت المصادر إلى لبس الطيلسان مع الجبة أو الحلل أو الإزار، والسراويل: فقد روى اليعقوبي أن الحكم بن أبي العاص خرج من عثمان وعليه جبة خز وطيلسان^(٤). وروى الأصفهاني أن المجنون كانت عليه «حلتان فاخرتان وطيلسان وقلنسوة»^(٥). ودخل على سليمان بن علي فإذا عليه طيلسان مطبق أبيض وسراويل وشي سدول. وذكر الطيلسان المزود بالديباج، استعمله عروة بن الزبير^(٦)، وسعيد بن المسيب^(٧)، وكريب^(٨)، وأبو ميسرة وأصحابه^(٩)، والأسود بن هلال^(١٠). ويلبس الطيلسان مع الجبة كما فعل الحكم بن أبي العاص^(١١). وكانت للنبي جبة من طيلسان^(١٢). كما كان يلبس مع الإزار، كما فعل سعيد بن المسيب^(١٣). وتردد ذكر الطيالة الكردية ولبسها عدد من المسلمين^(١٤). وقد ذكرت في العهود

- (١) ابن سعد ١٣٧/٥.
- (٢) المصدر نفسه ٤٩/٦.
- (٣) مسلم ١٥٢/٢.
- (٤) تاريخ اليعقوبي ١٨٩/٢.
- (٥) الأغاني ٣٩/٢.
- (٦) ابن سعد ١٣٤/٥.
- (٧) المصدر نفسه.
- (٨) المصدر نفسه ٢١٦/٥.
- (٩) المصدر نفسه ٨٢، ٧٢/٦.
- (١٠) المصدر نفسه ٨١/٦.
- (١١) تاريخ اليعقوبي ١٨٩/٢.
- (١٢) ابن حنبل ٣٤٧/٦.
- (١٣) ابن سعد ١٠٢/٥.
- (١٤) المصدر نفسه ٤، ١٦١/٥-٢٢١/٢.

العباسية الطيالة النيسابورية، والقومسية الزرق السلولية^(١). وذكر المقرئزي الطيلسان المحشى المذهب^(٢) والطيالة السود^(٣) والطيلسان المشرب^(٤).

الساج:

ينقل ابن منظور عن ابن الأعرابي «السيجان الطيالة السود، واحدها ساج، وفي حديث لابن عباس (رض) أن النبي كان يلبس في الحرب من القلائس ما يكون من السيجان الأخضر وهو الطيلسان الأخضر، وقيل طيلسان المقور ينسج، كذلك كانت القلائس منها أو من نوعها، وحديث أبي هريرة أصحاب الدجال عليهم السيجان، وفي رواية كلهم ذو سيف محلى وساج، وفي حديث جابر فقام في ساجه .. وهو ضرب من الملاحف مشوجة»^(٥). ويذكر ابن سيده: «قال أبو عبيد: البت ثوب من صوف غليظ شبه الطيلسان. صاحب العين: وهو الذي يسمى الساج، غيره الساج الطيلسان، كل طيلسان أخضر ساج .. ابن دريد: الساج هو الطيلسان وقيل الساج الطيلسان الغليظ الضخم»^(٦).

ورد ذكر الساج في الأحاديث^(٧). وقد ذكر مالك: «والصوف كذلك منه ما يخرج منه السيجان العراقية وما أشبهها من الأسوانية، ومن الصوف ما لا يكون منه هذه السيجان أبداً لاختلافه»^(٨). وذكر ابن سعد: «على أبي هريرة ساج زرر بدياج»^(٩).

ويقول الجوهري: الساج الطيلسان الأخضر والجمع سيجان^(١٠). ويقول ابن

(١) الموشى ١٧٩.

(٢) اتعاظ الحفا ٧١/٢.

(٣) المصدر نفسه ٩٢/٢.

(٤) المصدر نفسه ١٥٩/٢.

(٥) لسان العرب ١٢٦/٣. وانظر عن الطيالة الجامع الكبير الشيباني ٢٥٣. رسوم دار الخلافة ٩١. اتعاظ الحفا ٧١/٢، ٩٢، ٢٥٩، ٢٧٢/١.

(٦) المخصص ٧٩/٤.

(٧) انظر ابن حنبل ١٧٠/٣، ٣٩٢، ٢١٦/٤.

(٨) المدونة ١٢/١١.

(٩) ابن سعد ٨٥/٢-٤.

(١٠) الصحاح للجوهري ١٥٤/١.

الأثير: «وفي حديث ابن عباس كان يلبس في الحرب من القلائس ما يكون من السيجان الأخضر، جمع ساج، وهو الطيلسان الأخضر، قيل الطيلسان المقوّر ينسج كذلك كان القلائس تعمل منها أو من نوعها..»^(١).

وتردد في المصادر استعمال السيجان المزرة بالديباج، أو المدبجة. وقد أوردنا تفاصيل أخرى في ما كتبناه عن الساج في فصل مواد النسيج.

البث:

يقول ابن سيده: البث ثوب من صوف غليظ شبه الطيلسان. صاحب العين: وهو الذي يسمّى الساج. ابن السكيت: البث كساء أخضر مهلهل تلتحف به المرأة فيغيبها^(٢).

ويقول ابن منظور: «البث كساء غليظ مهلهل مربع أخضر وقيل من وبر وصوف.. التهذيب: البث ضرب من الطيالسة يسمّى الساج مربع غليظ خضر والجمع بتوت. الجوهري: البث الطيلسان من خزّ ونحوه وفي حديث دار الندوة وتشاورهم في أمر النبي (ص) فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل عليه بثّ، أي كساء غليظ مربع، وقيل طيلسان من خزّ وفي حديث علي (رض) أن طائفة جاءت إليه فقال لقتير بئتهم أي أعطهم البتوت. وفي حديث الحسن (رض): أين الذين طرحوا الخروز والحبرات ولبسوا البتوت والتمرات. وفي حديث صفيان: أجد قلبي بتوت وعباءة^(٣). وبالإضافة إلى ما ذكره ابن منظور، فقد ورد ذكر البث في حديث روته عائشة عن صلاة الرسول (ص) حيث قالت: «وما رأيته يلقى على الأرض بشيء قط إلا أنني أذكر أن يوم مطر ألقى تحته بثّاً..»^(٤).

البجاد:

يقول ابن منظور: «البجاد كساء مخطط من أكسية الأعراب.. إذا غزل

(١) النهاية في غريب الحديث ١٩٨/٢.

(٢) المخصص ٧٩/٤.

(٣) لسان العرب ٣١٣/٢.

(٤) ابن حبل ٥٨/٦.

الصفوف بسرة ونسج بالصبيضة فهو بجاد... ومنه ذو البجادين، وهو دليل النبي (ص)، وهو عتبة بن نهم المزني، قال ابن سيده: أراه كان يلبس في سفره مع سيدنا رسول الله (ص)، وقيل سناه رسول الله (ص) بذلك، لأنه حين أراد المصير إليه قطعت أمه بجاداً قطعتين فارتدى أحدهما واتزر بالآخرى^(١).

أما البرنس، فيقول ابن منظور: «البرنس كل ثوب رأسه منه ملتزق به، دراعة كان أو مطراً أو جبة. الجوهري: البرنس قلنسوة طويلة وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام»^(٢). وكان يصلي بالبرنس بعض الصحابة مثل سعيد بن المسيب^(٣)، وسعيد بن جبير^(٤)، وعلقمة^(٥)، ومسروق^(٦). وكان يلبسه أيضاً ابن عون^(٧)، وأبو الدرداء^(٨).

ذكرت برانس من الخزّ لبسها بعض المسلمين مثل ابن أبي أوفى^(٩)، وأبي عبيدة بن عبد الله^(١٠)، وموسى بن طلحة^(١١)، وعبد العزيز بن عبد الملك^(١٢). أما ألوانه، فقد ذكر منها برنس خز أدكن^(١٣)، وبرنس أرجوان^(١٤). وليس ابن المسيب يوم الأضحى برنس أرجوان وعمامة سوداء^(١٥).

(١) لسان العرب ٤٣/٤.

(٢) لسان العرب-مادة برنس.

(٣) الأم ١٠٦/١.

(٤) ابن سعد ١٨٦/٦.

(٥) المصدر نفسه ٦٢/٦.

(٦) المصدر نفسه ٥١/٦.

(٧) عيون الأخبار ٢٩٧/١.

(٨) البخاري ٢٨/٢-١.

(٩) ابن سعد ٣٦/٢-٤.

(١٠) المصدر نفسه ١٤٦/٦.

(١١) المصدر نفسه ١٢١/٥.

(١٢) الأغاني ٤٤/٨.

(١٣) ابن سعد ٣٦/٢-٤.

(١٤) الأم ٢٠٦/١.

(١٥) الأغاني ١٠٦/٩.

إن كافة النصوص التي أوردناها تبين أن البرانس من ألبسة الرجال. وتوجد نصوص أخرى تبين أن البرانس كانت من ألبسة النساء أيضاً. فيروي الأصفهاني: «جلست جميلة يوماً ولجست برنساً طويلاً، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك .. ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود، وعلى رأسها البرنس الطويل، وعلى عاتقها بردة يمانية، وعلى القوم أمثالها .. ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر فوضعتها على رأسها»^(١).

ويبدو أن البرانس كانت غالبية الثمن، فيروي الأصمعي «أن ابن عون اشترى برنساً من عمر بن أنس بن سيرين فمرّ على معاذة العدوية فقالت أمثلك يلبس هذا؟ قال فذكرت ذلك لابن سيرين، فقال ألا أخبرتها أن تميم الداري اشترى حلةً بألف يصلّي بها»^(٢). وكانت البرانس في القرن الرابع الهجري يلبسها الثوار بعد استسلامهم^(٣).

المستقة:

يقول ابن الأعرابي والأصمعي وأبو عبيدة: «المستقة هي فرو طويل الكم»^(٤). ويقول أبو عبيد أن أصلها بالفارسية مشتة فعربت^(٥). ويذكر شمر «أن النبي كان يلبس البرانس والمستاق ويصلي فيها». ويروي عن أنس أن «ملك الروم أهدى إلى النبي مستقة من سندس فلبسها»^(٦). وكان يصلّي في المستقة كل من سعد بن أبي وقاص^(٧)، ويحيى بن وثاب^(٨)، وعلقمة^(٩)، ومسروق^(١٠).

(١) الأغاني ٢٦/٨.

(٢) عيون الأخبار ٢٩٧/١.

(٣) تكملة الطبري ٨/٥، ١٨، ٢٩، ٣٠، ٤٠، ٥٣.

(٤) لسان العرب ٢٢٠/١. وانظر المعرب للجواليقي ١٣٠.

(٥) لسان العرب ١٨/١٢.

(٦) المصدر نفسه ٢٢٠/١.

(٧) ابن سعد ١-٣/١٠١.

(٨) المصدر نفسه ١٠٩/٦.

(٩) المصدر نفسه ٦٢/٦.

(١٠) المصدر نفسه ٥١/٦.

كما كان يلبس المسائق كل من الشعبي^(١)، وإبراهيم النخعي^(٢). ويذكر ابن سعد: أهديت لعلي بن الحسين مستقة من العراق فكان يلبسها فإذا أراد أن يصلي نزعها^(٣). ويذكر الأصبهاني حنين «وعوده في حجره وعليه قباء خشك سوي وقال اسحق بخشكون ومستقة حمراء وخفان مكعبان»^(٤). إن كافة هذه النصوص التي رواها ابن سعد تتعلق بأهل العراق، مما يدل على شيوع استعمال المسائق لديهم. غير أن هذا لا يعني أن استعمالها قصر على أهل العراق، فقد رأينا أن بعض النصوص تذكر أن الرسول استعمالها.

الجباب:

يقول ابن منظور: «الجبة ضرب من مقطعات الثياب تلبس»^(٥). وورد في نصوص كثيرة ذكر الجباب من الخز، منها جبة لكل من محمد بن علي^(٦)، وعروة بن الزبير^(٧)، والقاسم بن محمد^(٨)، والحكم بن العاص^(٩)، وعبيد الله بن عمر بن عثمان^(١٠)، والعجاج^(١١)، والأخطل^(١٢)، وحمام عجرد^(١٣). وذكرت النصوص أيضاً جبة صوف^(١٤)، وجبة وشي^(١٥). كما ذكرت الجبة دون ذكر نسيجها^(١٦). وكان للنبي طيالة عليها لبنة شبر من ديباج كسرواني وفرجاها

(١) ابن سعد ١٧٦/٦.

(٢) المصدر نفسه ١٩٦/٦.

(٣) المصدر نفسه ١٦١/٥. وانظر: البيان الثمين للجاحظ ٩٢/٢.

(٤) الأغاني ٣٥٠/٢.

(٥) لسان العرب ٢٤٢/١.

(٦) ابن سعد ١٣٦/٥.

(٧) المصدر نفسه ٢٣٤/٥.

(٨) المصدر نفسه ١٤١/٥.

(٩) تاريخ يعقوبي ١٨٩/٢.

(١٠) الأغاني ٥١/١٩.

(١١) المصدر نفسه ١٥٢/١٠.

(١٢) المصدر نفسه ٢٩٩/٨.

(١٣) المصدر نفسه ٧٢/٨.

(١٤) المصدر نفسه ٥٧/٣.

(١٥) المصدر نفسه ١٣٠/٧.

(١٦) ابن سعد ٢١٥/٥. الأغاني ٢٥٠/١٧، ٤/٨.

مكفوفان به^(١). أما ألوان الحجاب فمنوعة: منها البيضاء كجبة عكرمة^(٢)؛ وصفراء كجبة القاسم^(٣)، وجبة محمد النفس الزكية يوم أعلن الثورة^(٤)؛ أو خضراء كجبة القاسم^(٥)، أو حمراء كجبة عبيد الله بن عمرو بن عثمان^(٦)؛ أو دكاء كالجبة التي رآها حماد عجرد على بعض الكتاب^(٧).

وقد تلبس الجبة وحدها، فيروي عصام بن قدامة «كان عكرمة يؤمنا في جبة بيضاء ليس عليه قميص ولا إزار ولا رداء»^(٨)؛ أو مع رداء، فيروي عطاء «رأيت القاسم وعليه جبة خبز خضراء ورداء مبيت»^(٩)، وكان على الوليد بن يزيد جبة وشي ورداء وشي^(١٠). أو مع كساء، فيروي خالد بن الياس: «رأيت على القاسم بن محمد جبة خبز وكساء خبز وعمامة»^(١١)؛ أو مع قميص، فيروي زيد بن أيوب «أما سالم في قميص وجبة قد أتزر فوقها»^(١٢)؛ أو مع مطرف، فيروي الأصفهاني أن الفرزدق «مر بعبيد الله بن عمرو بن عثمان وهو جالس في سقفة داره عليه مطرف خبز أحمر»^(١٣)، وكذلك السيد الحميري؛ أو مع طيلسان، فيروي اليعقوبي أن سعيد بن أبي العاص خرج من دار عثمان وعليه جبة خبز وطيلسان.

العمائم:

العمائم مما تتميز به العرب منذ أيام ما قبل الإسلام. وقيل «تيجان العرب

(١) ابن خنبل ٣٠٧/٥.

(٢) ابن سعد ٢١٥/٥.

(٣) المصدر نفسه ١٤٢/٥.

(٤) الطبري ١٩٦/٣.

(٥) ابن سعد ١٤١/٥، ١٤٢.

(٦) الأغاني ٥١/١٩.

(٧) المصدر نفسه ٨٣/١٣.

(٨) ابن سعد ٢١٥/٥.

(٩) المصدر نفسه ١٤٢/٥.

(١٠) الأغاني ٢٨١/٦.

(١١) ابن سعد ١٤١/٥.

(١٢) المصدر نفسه ٤٦/٥.

(١٣) الأغاني ٥١/١٩.

العمائم * . فكما قيل في العجم تَوَجَّ من تاج، قيل في العرب عَتم. والعرب تقول للرجل إذا سُوِّدَ عَتم، وكانوا إذا سَوَّدوا رجلاً عَتموه عمامة حمراء، ومنه قول الشاعر:

رأيتك هَسَرْتَ العِمَامَةَ بعدما أراكَ زماناً حاسراً لم تعصب^(١)

وكانت العمامة بعد الإسلام سمة الأعراب، فيروي الطبري: «لما حمل بنو حسن، كان محمد وإبراهيم يأتیان معتمين كهيئة الأعراب فيسايران أباهما ويستأذنانه في الخروج»^(٢).

كانت أكثر العمائم شيوعاً السوداء، وقد استعملها عمر بن الخطاب^(٣)، وعلي^(٤)، ومعاوية^(٥)، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن المسيب^(٦)، ومحمد بن الحنفية^(٧)، وعبد الرحمن بن زيد^(٨) والأسود بن زيد^(٩). وكانت العمامة التي رفعها حمزة الخارجي في عرفة سنة ١٢٩ سوداء حرقانية^(١٠).

غير أن عدداً من الصحابة كان يستعمل العمائم البيضاء ومنهم سالم بن عبد الله^(١١)، والقاسم بن محمد^(١٢)، وسعيد بن المسيب^(١٣)، ونافع بن جبير^(١٤).

(١) لسان العرب ٢١٩/٥.

(٢) الطبري ١٧٦/٣.

(٣) عيون الأخبار ٤٦/٣.

(٤) ابن سعد ١٨/١-٣.

(٥) المصدر نفسه ٨٣/١-٤، تاريخ الخلفاء ٢٧٤/٢.

(٦) ابن سعد ١٠٢/٥.

(٧) المصدر نفسه ٨٤/٥.

(٨) المصدر نفسه ٨٣/٦.

(٩) المصدر نفسه ٤٩/٦.

(١٠) الطبري ١٩٨١/٢.

(١١) ابن سعد ١٤٦/٥.

(١٢) المصدر نفسه ١٤٣/٥.

(١٣) المصدر نفسه ١٠٢/٥.

(١٤) المصدر نفسه ١٧٠/٦.

وخارجة بن زيد^(١)، وعلي بن الحسين^(٢)، والشعبي^(٣)، وسعيد بن جبير^(٤)، وأبو هريرة^(٥)، والفرزدق^(٦)، والحميري^(٧). وذكر أن الشعبي كانت له عمامة حمراء^(٨)، وكانت عمامة سعيد بن العاص بيضاء لها علم أحمر^(٩).

وقد تكون العمامة رفيعة كعمامة الحسن بن علي^(١٠). يروي الكليني «أن الرسول عمّ علياً بيده فسدلها من بين يديه وقصرها من خلفه قدر أربع أصابع»^(١١). وكانت العمامة ترخي أحياناً من الخلف كالذي فعله كل من الخليفة أبو بكر^(١٢)، و عمر^(١٣)، وسعيد بن المسيب^(١٤)، ومحمد بن علي بن الحسين^(١٥)، وسالم بن عبد الله^(١٦)، وشريح^(١٧)، والأسود بن يزيد^(١٨)، وإبراهيم النخعي^(١٩)، وعبيد الله بن عبد الله^(٢٠)، والقاسم بن محمد^(٢١)، وسعيد بن جبير^(٢٢).

(١) ابن سعد ١٩١/٥.

(٢) المصدر نفسه ١٦١/٥.

(٣) المصدر نفسه ١٧٠/٦.

(٤) المصدر نفسه ١٨٦/٦.

(٥) المصدر نفسه ٥٦/٢-٤.

(٦) الأغانى ٥١/١٩.

(٧) المصدر نفسه ٢٥٠/٧.

(٨) ابن سعد ١٧٦/٦.

(٩) المصدر نفسه ١٠٢/٥.

(١٠) المصدر نفسه ٢٤١/٥.

(١١) الكافي ٤٦١/٦.

(١٢) ابن سعد ١٩/١-٣.

(١٣) المصدر نفسه ١٠٢/٥.

(١٤) المصدر نفسه ١٢٨/١-٤.

(١٥) المصدر نفسه ١٦١/٥.

(١٦) المصدر نفسه ١٤٦/٥.

(١٧) المصدر نفسه ١٩٦/٦.

(١٨) المصدر نفسه ٤٩/٥.

(١٩) المصدر نفسه ١٩٧/٦.

(٢٠) المصدر نفسه ١٥٠/٥.

(٢١) المصدر نفسه ١٤٣/٥.

(٢٢) المصدر نفسه ١٨٢/٦.

وقد تروخى العمامة من الأمام والخلف، فيروى «رايت علياً متعصباً بعصابة سوداء ما أدري أي طرفيها أطول الذي قدامه أو الذي خلفه، يعني عمامته»^(١).

ويروى أن معاوية «اطلع في بئر بالأبواء فأصابته لقوة فاعتم بعمامة سوداء وسلها إلى الشق الذي أصيب به»^(٢). و«روى معاوية على المنبر معتماً عمامة سوداء فسدلها على فيه»^(٣). ولما خرج محمد النفس الزكية «كان عليه عمامة قد شد بها حقويه»^(٤). وكان على عبد الرحمن بن يزيد «عمامة غليظة الكور»^(٥). ويقول ابن أبي خالد: «رايت شريحاً معتماً بكور واحد»^(٦). وقد يُلبس عليها بونس^(٧).

وبعض العمام من الخز كعمامة العجاج^(٨). وقد تكون حرقانية كعمامة عبد الله بن عمرو^(٩)، ومحمد بن الحنفية^(١٠).

ورد ذكر العمام في مؤلفات القرن الرابع الهجري، فتكرر ذكرها في كتاب الذخائر والتحفة للرشيد^(١١). كما ذكرها التنوخي في رسوم دار الخلافة^(١٢). وذكر منها العمامة المعتمة السوداء، والعمامة المعقولة، والعمامة الصفراء^(١٣). وذكر الموشى العمامة السوسية^(١٤). وذكر مؤلف حكاية أبي القاسم «عمائم قطن كحلية تعلق في أهدابها خيوط خضر وحمر»^(١٥).

- (١) ابن سعد ٣-١/١٨.
- (٢) عيون الأخبار ٣/٤٦.
- (٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٤.
- (٤) الطبري ٣/١٩٦.
- (٥) ابن سعد ٦/٨٣.
- (٦) المصدر نفسه ٦/٩٦.
- (٧) المصدر نفسه ٥/١٠٢.
- (٨) الأغاني ١٠/١٥٢.
- (٩) ابن سعد ٤-١١/١١.
- (١٠) المصدر نفسه ٤٥.
- (١١) الذخائر والتحفة ٧٣، ٧٩، ٨٢، ١٠٧، ١٦٢، ٢١٢، ٢٤١، ٣٠٢، ٣٣٠، ٤١٥.
- (١٢) رسوم دار الخلافة ١٢، ٧٧، ٧٨، ٩٢.
- (١٣) رسوم دار الخلافة ٩١.
- (١٤) الموشى ١٣٦.
- (١٥) حكاية أبي القاسم ١٥٠.

وذكر المقرئزي العمائم المستعملة في مصر في زمن الفاطميين. ومما ذكره
العمامة السوداء^(١)، والناصرية^(٢)، وفوطية^(٣)، وعمامة طائر^(٤). والعمامة
المذهبة^(٥)، والمذهبة الطميم^(٦)، والمسلمة المذهبة^(٧).

وذكر عمامة شرب بيضاء مذهب^(٨)، وعمامة شرب بيض^(٩)، وشرب فوطية
بسواد^(١٠). كما ذكر الشاشية^(١١)، وذكرت في مصادر القرن، وذكر المقرئزي
الشاشية المرضعة^(١٢).

وذكر المقرئزي الطاقية^(١٣)، والشربوش^(١٤)، والكلوتة^(١٥).

ظلت العمائم العباسية أكثر شيوعاً في الجزيرة العربية والعراق، وبها تميّز
أهلها، وامتد استعمالها إلى بعض الأقاليم، فكانت البيضاء وهي أكبر مدن
فارس أهلها مياسير وزتهم زيّ العراقيين في اللباس والعمائم^(١٦). وكان أهل
كان من بلاد السودان يلبسون الثياب المصبغة من القطن والمصمت وغير ذلك
وكلهم يلبسون عمائم حمراء وقميصاً أصفر^(١٧).

-
- (١) اتعاظ الحنفا ٩٢/٢.
 - (٢) المصدر نفسه ١٩٤/١.
 - (٣) المصدر نفسه ١٠٧/١.
 - (٤) المصدر نفسه ١٣١/٢.
 - (٥) المصدر نفسه ١٤٨/٢.
 - (٦) المصدر نفسه ١٣١، ٢٥/١.
 - (٧) المصدر نفسه ١٣٩/٢.
 - (٨) المصدر نفسه ١٤٨/٢.
 - (٩) المصدر نفسه ١٣/٢.
 - (١٠) المصدر نفسه ١٣٧/٢.
 - (١١) الوزراء والكتاب للجهشياري ٦٦٥، رسوم دار الخلافة ٢٢، الذخائر والتحف ٧٨، ٢٤١.
 - (١٢) اتعاظ الحنفا.
 - (١٣) السلوك ٢٥٢/١.
 - (١٤) المصدر نفسه ١٥٢/١، ٣٩٣، ٦٢٧.
 - (١٥) اتعاظ الحنفا ٢٩٠/٢، السلوك ٤٩٢/١، ٨٢٠.
 - (١٦) الروض المعبط للحميري ٨١ ب.
 - (١٧) المصدر نفسه ٨٦.

أما أهل الأندلس، فلم يلبسوا العمامم والخز، وسئل الفقيه الأندلسي يحيى بن يحيى عن لبس العمامم «فقال هي لباس الناس في المشرق وعليه كان أمرهم في القديم، فقليل لو لبستها اتبعك الناس في لباسها فقال قد لبس ابن البشير الخز فلم يتبعه الناس وكان ابن البشير أهلاً أن يقتدى به فلعلني لو لبست العمامة لتركني الناس ولم يتبعوني كما تركوا ابن بشير»^(١). وكان محمد بن البشير يصلّي بالناس يوم الجمعة وعليه قلنسوة خز^(٢)، فلم يتوسم عليه القضاء^(٣). ولما ولي قضاء قرطبة جلس للحكم في المسجد وعليه جبة صوف، وفي رأسه أبيض وغفارة بيضاء من ذلك الجنس^(٤).

القلنسوة:

يذكر الكليني أن الرسول (ص) كان «يلبس القلانس اليمنة والبيضاء والمضرية وذات الأذنين في الحرب». ويذكر عن جعفر الصادق أنه قال لرجل «اعمل لي قلانس بيضاء ولا تكسرها فإن السيد مثلي لا يلبس المكسر». وفي رواية أخرى: «ولا تجعلها مصمتة فإن السيد مثلي لا يلبسها»^(٥).

قد تكون القلنسوة من جلود الثعالب، فيروي ابن سعد عدة روايات تذكر أن إبراهيم النخعي كان يلبس قلنسوة ثعالب، وقلنسوة من الطيالة في مقدمها جلد ثعلب أو قلنسوة ثعالب أو مبطنة أو مكفوفة من ثعالب^(٦). ويروي رجل أنه رأى على الضحاك بن مزاحم قلنسوة ثعالب^(٧).

وقد تكون القلنسوة من خز، فكانت للشعبي «قلنسوة خز أخضر»^(٨)، وكذلك للقياسم بن محمد^(٩).

(١) قضاء الأندلس للبخني ٥٦.

(٢) المصدر نفسه ٤٩.

(٣) المصدر نفسه ٥٢.

(٤) المصدر نفسه ٩٤.

(٥) الكافي ٤٦٢/٦؛ الجامع لأخلاق الراوي والسمع ٣٥٣/١.

(٦) ابن سعد ١٩٦/٦.

(٧) المصدر نفسه ٢١٠/٦.

(٨) المصدر نفسه ١٧٦/٦.

(٩) المصدر نفسه ١٤٠-١٤١.

والقلنسوة قد تكون بيضاء كقلنسوة كل من سعد بن عبد الله^(١)، وعلي بن الحسين^(٢)، وعبيد الله بن عبد الله^(٣)، والقاسم بن محمد^(٤). أو سوداء كقلنسوة حمزة بن أبي سلاله^(٥)، أو أسباطاً كقلنسوة نافع بن جبير^(٦)، أو صفراء مضرية كقلنسوة محمد النفس الزكية^(٧). وكانت لسعيد بن المسيب قلنسوة لطيفة بعمامة بيضاء لها علم أحمر^(٨). وقد تكون من وشى مذهبة كقلنسوة الوليد بن يزيد^(٩).

ومما استعمله الخلفاء والفقهاء والتجار في العصر العباسي، القلانيس الطوال والرصافية، مما ستحدث عنه في الفصل التالي.

-
- (١) ابن سعد/٥/١٤٦.
 - (٢) المصدر نفسه ٥/١٦١.
 - (٣) المصدر نفسه ٥/١٥٠.
 - (٤) المصدر نفسه ٥/١٤٢.
 - (٥) الأغاني ٣٥/٢١.
 - (٦) ابن سعد ٥/١٥٢.
 - (٧) الطبري ٣/١٩٦، الأغاني ٤/١٨.
 - (٨) ابن سعد ٥/١١٢.
 - (٩) الأغاني ٩١/٧.

الفصل الثامن

الأزياء

أدى التطور الحضاري إلى ظهور فئات متعددة لكل منها زيّ خاص تميّز به؛ ووردت إشارات إلى تاريخ بدء أو إبطال استعمال بعض الأزياء، إلا أنها لم تستوعب في ذلك كافة الأزياء. وقد أجمل الجاحظ الإشارة إلى كثير من هذه الأزياء وتنوعها في زمنه وهو أوائل القرن الثالث، فذكر: «ولكل قوم زي، وللقضاة زي ولأصحاب القضاة زي، وللشرطة زي، وللكتاب زي، ولكتاب الجند زي». وذكر أزياء بعض هذه الفئات، فقال: «وزي مجالس الخلفاء عن الشتاء والصيف فرش الصوف».

وللخلفاء عمّة، وللفقهاء عمّة، ولليقالين عمّة، وللأعراب عمّة، وللصوص عمّة، وللأبناء عمّة، ولليهود عمّة، ولأصحاب التشاحي (؟) عمّة^(١). واتخذ الخلفاء العمام على القلائس مكشوفة، وزادوا في طولها وحثّة رؤوسها حتى تكون فوق قلائس جميع الأمة^(٢).

ذكر أن «أصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب، فمنهم من يلبس المبطنة، ومنهم من يلبس الدراعة، ومنهم من يلبس القباء، ومنهم من يلبس البازكند ويعلق الخنجر ويأخذ الجرّز ويتخذ الجمّة». وقد يلبس الناس الخفاف والقلائس في الصيف كما يلبسونها في الشتاء إذا دخلوا على الخلفاء، وعلى

(١) البيان والتبيين ٢/ ١١٤.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ١١٧.

الأمراء وعلى السادة والعظماء، يرون أن ذلك أشبه بالاحتفال والتعظيم والإجلال والبعد عن التبدل والاسترسال وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم في منازلهم ومواضع انقياضهم^(١).

وكانت الشعراء تلبس الوشي والمقطعات^(٢). «وقد لا يلبس الخطيب الملحقة ولا الحجة ولا القميص ولا الرداء؛ والذي لا بدّ منه العتمة والمختصرة، وربما قام فيهم وعليه إزار قد خالف بين طرفيه، وربما قام فيهم وعليه عمامته، وفي يده مختصرته»^(٣).

وردت في المصادر معلومات كثيرة متفرقة عن الأزياء، وبخاصة للخلفاء والمتصلين بهم في بغداد إبان القرون الأولى من تأسيسها، ندرجها مصنفة تبعاً لفئات لابسها.

ألبسة الخلفاء الأمويين:

أول ذكر لاهتمام الخلفاء بألبسة خاصة بهم ترجع إلى زمن الأمويين، فيروي الجاحظ أن عبد الملك بن مروان كان إذا لبس الخف الأصفر لم يلبس أحد من الخلق الخف الأصفر حتى يبدله^(٤).

واهتم سليمان بن عبد الملك بالوشي فكان يلبسه، وأمر من في خدمته وحاشيته أن يلبسوه^(٥) ويروي المدائني: كان هشام بن عبد الملك وبنو مروان كلهم لا يكسون الناس الخزّ الأحمر والأصفر، ويكسونهم ما وراء ذلك من الألوان، ويتخرون الأحمر والأصفر لكسوتهم^(٦).

ألبسة الخلفاء العباسيين:

ولما ولي أبو جعفر المنصور الخلافة اتخذ السواد شعاراً رسمياً وعممه،

(١) البيان والتبيين ٢/ ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٩٢.

(٣) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ ٤٧.

(٤) انظر ماكتبناه عن ترويح سليمان بن عبد الملك لبس الوشي في كتابنا "عمر بن عبد العزيز".

(٥) الأنساب ٢٣٨.

وفي هذا يقول الطبري: «أمر أبو جعفر الناس بالسواد، فكنت أراهم يصبغون ثيابهم بالمداد، ويروى عن علي بن الجعد رأيت أهل الكوفة أيامئذ أخذوا بلبس الثياب السود حتى يقالين أن أحدهم ليصنع الثوب بالأنقاش ثم يلبسه»^(١). ويروي الأصفهاني: «كان أبو جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدغم بعيدان من داخلها، ويكتسوا على ظهورهم ﴿لَيَكْفِيَنَّكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة].»

ويذكر الطبري أنه في سنة ١٥٣ «أخذ المتصور الناس بلبس القلانس المفرطة الطول، وكانوا فيما ذكر يحتاجون لها بالقصب من داخل»^(٢).

لم يعرف عن المهدي إشاعة شيء من الألبسة، غير أن علي بن محمد بن سليمان يروي «كان أول من افترش الطبري، المهدي؛ وذلك أن أباه كان أمره بالمقام بالرّي فأهدى إليه الطبري من طبرستان، فافترشه وجعل الثلج والخلاف حوله حتى فتح له الخيش فطاب لهم الطبري فيه»^(٣).

يذكر المسعودي أن زبيدة زوجة هارون الرشيد، «أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكلّلة بالجواهر، وصنع لها الرفيع من الوشي حتى بلغ الثوب من الوشي الذي اتخذ لها خمسين ألف دينار، وهي أول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجواري... وأول من اتخذ القباب من الفضة والأبنوس والصندل وكلايبيها من الذهب والفضة ملبسة بالوشي والسمور والديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق، واتخذت الخفاف المرصعة بالجواهر وشمع العنبر، وتشبه الناس في سائر أفعالهم بأمر جعفر»^(٤).

ولبس المعتصم «الثياب الضيقة الأكمام، قضيق الناس أكمام ثيابهم، ولبس الخفاف الكبار والشاشية المربعة، فلبسها الناس تشبهاً به، فقبل الشاشية المعتصمي»^(٥).

(١) الطبري ٢٩٩/٣.

(٢) المصدر نفسه ٣٧١/٣.

(٣) المصدر نفسه ٥٣٦/٣.

(٤) مروج الذهب ٢٢٦/٤.

(٥) مشاكلة الناس لزمانهم ٣٩.

ويروي أن المتوكل «أظهر للناس ثياب الملحمة وفضل ذلك على سائر الثياب، وأتبعه من في داره على لبس ذلك، وشمل الناس لبسه وبالغوا في ثمنه اهتماماً بعمله، واصطنع الجيد منها لمبالغة الناس فيها وميل الراعي والرعية إليه، فالباقي في أيدي الناس إلى هذه الغاية من تلك الثياب يعرف بالمتوكلية، وهي نوع من ثياب الملحم نهاية في الحسن والصنع وجودة الصنع»^(١).

وأحدث المستعين لبس الأكمام الواسعة ولم تكن تعهد لذلك، فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك، وصغر القلائس وكانت قبل ذلك طوالاً كأقباع القضاة^(٢). وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب، وكان من سلف قبله من خلفاء بني العباس وكذلك جماعة من بني أمية يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة والمناطق وأنجاد السيوف والسرّج والمجم، فلما ركب المعتز بحلية الذهب أتبعه الناس في فعل ذلك^(٣).

ولما ولي المهتدي الخلافة «قلّل من اللباس والفرش والمطعم والمشرب، وأمر بإخراج آتية المذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم، وعهد إلى الصور التي كانت في المجالس فمحييت، وذبح الكباش التي كان يُنَاطح بها بين يدي الخلفاء والديوك، وقتل السباع المحبوسة، ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة بإباحته، وكانت الخلفاء تنفق في كل يوم عشرة آلاف درهم، فأزال ذلك وجعل لمائدته وسائر قومه في كل يوم نحو مائة درهم»^(٤).

وفي القرن الرابع الهجري، كان الخليفة وحده يلبس الخف الأحمر داخل دار الخلافة، ويشكر على الآخرين لبسه. ولما لبسه القاضي ابن أبي الشوارب، وهو من أصل أموي، زجره الحاجب وأمر بنزع خفّه... ولم يشكر الخليفة المطاع ذلك العمل^(٥).

(١) مروج الذهب ٣/٤، مشاكلة الناس لزمانهم ٣٣.

(٢) مروج الذهب ٩٤/٤.

(٣) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

(٤) المصدر نفسه ١٠٣/٤.

(٥) رسوم دار الخلافة ٧٥.

وصف الصابي لباس الخليفة في المقابلات الرسمية، فذكر أن الخليفة «يجلس مكانه في السدلى في دست خبز أسود نسيج ذهب، ويلبس البردة ويده القضيب، وعلى رأسه الرصافية»^(١). وذكر أن الذي جرت به العادة أن يكون جلوس الخليفة على كرسي في دست كامل أرمني أو خنز، وأن يكون فرش جميع المجالس أرمنياً في صيف وشتاء، ويكون لباسه قباء أسود أو مصمماً أو معلماً، أما الديباج والسقلاطون والمنقوش فلا، ويجعل على رأسه عمة سوداء رصافية ويلبس خفّاً أحمر^(٢).

القلنسوة الطويلة:

استعملت القلائس الطوال منذ زمن الأمويين. فلما حجّ هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي، وقف له حنين وعليه قلنسوة طويلة^(٣). ولما ولي العباسيون الخلافة عثموا استعمالها، فيروي الطبري أنه في سنة ١٥٣ «أخذ المنصور الناس بلبس القلائس المقرطة الطول، وكانوا فيما ذكر يحتالون لها بالقصب من داخل»^(٤). ويروي الأصفهاني: «كان أبو جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدغم بعيدان من داخلها»^(٥).

وأول ذكر لارتداء الخلفاء القلائس الطويلة كان في زمن المهدي حيث ينقل الطبري عن الربيع قوله في بيعة المهدي «نزلت إلى أمير المؤمنين فألبسته الطويلة»^(٦). وعندما بويع الأمين «لبس ثياب الخلافة؛ دراعة وطيلساناً والقلنسوة الطويلة»^(٧). ويقول اليعقوبي إن الرشيد أول خليفة لبس الطويلة الرصافية^(٨)، ولعله قصد في ذلك الرصافية، وهي قلنسوة طويلة.

(١) رسوم دار الخلافة ٨١.

(٢) المصدر نفسه ٩٠.

(٣) الأغاني ٣٤٢/٢.

(٤) الطبري ٣٧٦/٣.

(٥) الأغاني ٢٦٣/١٠.

(٦) الطبري ٤٧٧/٣.

(٧) المصدر نفسه ٩١٧/٣.

(٨) مشكلة الناس لزمانهم.

أما المعتصم، فإن المسعودي يذكر أنه «لبس القلائس والشاشيات، فلبسها الناس اقتداءً بفعله وانتماءً به فسميت المعتصميات»^(١). غير أنه لم يرد ذكر لاستمرار شيوع استعمالها.

ظلت القلائس الطويلة تلبس عند البيعة، فلما توفّي الواثق أرادوا مبايعة أبي جعفر بن المعتصم فأحضروه فقام ابن أبي دؤاد فألبسه الطويلة وعممه بيده على الطويلة^(٢). ويذكر الطبري أنهم ألبسوه درّاعة وقلنسوة رصافية ثم عدلوا إلى بيعة محمد بن الواثق وهو المتوكل، فألبسه أحمد بن أبي دؤاد الطويلة وعممه^(٣).

ولما ولي المستعين ألبسوه الطويلة وزيّ الخلافة، وخرج إلى الناس وعليه البردة والطويلة. ويذكر المسعودي أن المعتز صغر القلائس وكانت قبل ذلك طوالاً كأفباع الفقهاء^(٤).

علم الخلافة:

كان علم الخلافة وهو شبيه باللواء أسود كتب عليه بياض محمد رسول الله (ص)^(٥). ولما بايع المتوكل لابنيه المعتز والمؤيد (عقد لكل منهما لواءين): أحدهما أسود وهو لواء العهد، والآخر أبيض وهو لواء العمل^(٦). وفي بيعة الراضي، عزم علي بن عيسى «أن يعقد لواءً لنفسه على الرسم في ذلك، فاستحضر اللواء وعقده بيده ثم أمر بالاحتفاظ به»^(٧).

وعندما «خرج المقتدر يريد رقة الشماسية، كان عليه خفتان ديباج تستري وعليه عمامة سوداء مصمت والبردة التي كانت للنبي على كتفيه وصدره وظهره.. وحمائله آدم أحمر، وفي يده اليمنى الخاتم والقضيب، وتحت الفرش وعلى

(١) مروج الذهب ٢٢٨/٤.

(٢) الطبري ١٣٦٨/٣.

(٣) المصدر نفسه ١٦٣٢/٣.

(٤) مروج الذهب ٩٤/٤.

(٥) مسكويه ١٧٦/١.

(٦) الطبري ١٩٥٠/٣.

(٧) مسكويه ٢٩٠/١.

سرج معزى أحمر عليه حديدة، وبين يديه أبو أحمد عبد الواحد عليه خفتان ديباج رومي منقوش وعمامة بيضاء، وخلفه وزيره الفضل بن جعفر بن الفرات، وقدامه لواء أبيض وراية سوداء يحملها أبو نصر اللاي، واللواء يحملها أحمد بن حفيف السمرقندي، وعلمان أبيضان وعلمان أصفران يحملهما الأنصار، ومعهم رماح على رؤوسهم مصاحف^(١). وعندما جعل القادر بالله ابنه الفضل ولي عهده جلس على السدة العالية بثياب سود متقلداً سيفاً بحمائل في البيت المعروف ببيت الرصاص، وبين يديه نهر يجري الماء فيه إلى دجلة^(٢).

وذكرت للطائع فرجية على كتفه «وكانت من الوشي القديم فباعها بمائة وسبعين ديناراً». ويذكر أن الطائع ركب للصلاة «وعليه السواد قباء وعمامة»^(٣). وعندما يبيع المقتدي جلس في دار الشجرة على كرسي بقميص وعمامة بيضاء ورقيمة فوقها طراحة قصب دري^(٤).

لباس القواد:

لما قدم المأمون بغداد دعا بعتة قواده فألبسهم أقبية وقلانس سوداً^(٥). ولما دخل إيتاخ بغداد كان عليه قباء أبيض متقلداً سيفاً بحمائل^(٦). وفي سنة ٢٥٣ خلع المعتز على بُغا الشراي^(٧)، ثم خلع المعتمد على ابن كنداج وقلده سيفين بحمائل أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره^(٨). ثم خلع عليه بعد يومين قباء ديباج^(٩)، وخلع القاهر على يلبق^(١٠)، وخلع المقتدر على ابن أبي الساج خلعاً

(١) عريب ٩١.

(٢) مسكويه ١٦٢/٢.

(٣) المتقلم ٦٧/٧.

(٤) رسوم دار الخلافة ٩.

(٥) الطبري ١٠٣٨/٣.

(٦) المصدر نفسه ١٢٨٥/٣.

(٧) المصدر نفسه ١٦٨٧/٣.

(٨) المصدر نفسه ٢٠٤٠/٣.

(٩) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

(١٠) مكويه ٢٥٨/١.

سلطاناً^(١). ولما صار ابن اسحاق بن إبراهيم مكان أبيه كسي خمس خلع وقُلِّد سيفاً^(٢)؛ وخلع على أبي الساج خمس خلع وقُلِّد سيفاً، وخلع على حبشون بن بفا الكبير خمس خلع، وعلى يوسف بن يعقوب أربع خلع؛ وخلع المعتر على أبي الساج ستة أثواب وسيفاً. وقُلِّده سيفاً آخر مرضعاً بالجواهر، وأجلس على الكرسي^(٣).

ولم يذكر مقدار كل خلعة ويظهر أنها أصبحت ستاً فيما بعد، فيذكر الروذراوري أنه ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة وخلع عليه الخلع السبع والعمّة السوداء^(٤). وخلع على فخر الدولة الخلع السبع والعمّة السوداء والسيف^(٥). وخلع القائم على أبو نصر ابن شرف الدولة الخلع السلطانية، وخرج وعليه سبع طاقات أعلاها سواد، وعلى رأسه عمامة سوداء، وفي عنقه طوق كبير، وفي يده سواران، ومشى المحتجب بين يديه بالسيوف والمناطق^(٦).

وفي القرن الرابع، كانت خلع أصحاب الجيوش، وولاة الحرب والوزراء، عمامة مصمتة سوداء، وسواد مصمت بجريان مبطن الأسفل منه، وسواد آخر مصمت بغير جريان، وخزّ سوسن أحمر موثى مذقّب، وملحّم ومصمت خليجي وقياء بيض وسيف وخلع الفتوح طوق وسوارين^(٧).

اللواء:

وفي سنة ٣٣١، خلع المتقي على ابن رائق وعقد له لواء، وقُلِّده إمرة الأمراء^(٨). ثم خلع المتقي أيضاً على ناصر الدولة، وعقد له إمرة الأمراء،

(١) مسكويه ٢٤٩/١.

(٢) الطبري ١٤٠٣/٣.

(٣) المصدر نفسه ١٥٩٤/٣.

(٤) مسكويه ٤٩/١.

(٥) ذيل تجارب الأمم ٨٤/٣.

(٦) المنتظم ١٤٧/٧.

(٧) رسوم دار الخلافة ٩٥.

(٨) مسكويه ٢٢/٢.

وخلع عليه وعلى أخيه طوقين وأربعة أسورة^(١). وفي سنة ٢٧٢، عقد لصمصام الدولة لواءين^(٢) وخلع فخر الدولة الخلع واللواء^(٣)، واللواء حرير أبيض كتبت على وجهه آيات قرآنية^(٤).

وكان رسم الأعاجم التحية بالرياحين، فلما صار ناصر الدولة أميراً حيّوه بها^(٥). ولما أصبح عضد الدولة خليفة أبيه اعترف له مؤيد الدولة وفخر الدولة به وخدماه بالريحان على الرسم المعروف لهم^(٦). وفي مخطوط من أواخر القرن الرابع الهجري، أن الريحان عندهم يعبر عن الإمارة والبيعة.

ومنذ زمن المعتصم، يتردد ذكر التتويج والمنطقة والأوشحة. فيذكر الطبري أن المعتصم توج الأتشين وألبسه وشاحين بالجواهر، وأمر الأتشين لسهل بألف ألف درهم ومنطقة مزينة بالجواهر وتاج البطرقة^(٧). وتوج الوائق أشناس، وألبسه وشاحين بالجواهر^(٨). ولما استوزر المعتز أحمد بن إسرائيل خلع عليه ووضع تاجاً على رأسه^(٩). وفي سنة ٣٧٣ ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة وخلع عليه الخلع السبع والعمة السوداء، وسور وطوق وتوج وعقد له لواءان، وحمل على فرس بمركب ذهب، وقيد بين يديه مثله، وقرىء عهده بتقليد الأمور^(١٠).

ولا ريب في أن للتاج مكانة متميزة، ولم يلبسه إلا كبار الممارسين للسلطة. ويذكر مسكويه أن مرداويج «كان في نفسه أن نفسه يملك بغداد ويعقد التاج

(١) مسكويه ٢٨/٢.

(٢) المصدر نفسه ٤٤/٢.

(٣) ذيل تجارب الأمم ٢٨٥/٣.

(٤) رسوم دار الخلافة ٩٥.

(٥) مسكويه ٨٢/٢.

(٦) المصدر نفسه ٣٦٤/٢.

(٧) الطبري ١٢٣٣/٣.

(٨) المصدر نفسه ١٣٣٠/٣.

(٩) المصدر نفسه ١٦٣٤٧/٣.

(١٠) ذيل تجارب الأمم ٨٤/٣.

على رأسه ويعد ملك فارس^(١). وخلع على أبي كاليجار، فلبس السبع الكاملة والعمامة السوداء والعمّة الرصافية والطوق والسوارين وقلّد سيفاً... ووضع على رأسه التاج المرصع وبرز له لواءان معقودان، وقلّد سيفاً بحمائل، وقدم ألبسة فرس أدهم بركب ذهب^(٢). وعندما تزوّج خديجة بنت أخي السلطان طرح عليها «فرجية مطوقة بالذهب وعاجاً مرصعاً بالجواهر»^(٣).

التطويق:

يروى الطبري عن فتنة في عهد الخليفة العباسي المقتدر، فيقول: قُتل قائد «من قواد الأتراك يُقال له سور... فأمر ابن طاهر به فطوّق، وكان وزن الأطواق كل طوق ثلاثين ديناراً، وكلّ سواء سبعة مثاقيل ونصف»^(٤). وفي سنة ٣٠٤ خلع المقتدر على مؤنس وطوّق وسوّر^(٥). ولما «صار ابن أبي الساج إلى الري حمل إليه المقتدر خلعاً سلطانية وسيفاً ومنطقة ذهب وخيلاً بمراكب ذهب وفضة وطيباً وسلاحاً»^(٦). وفي سنة ٣٢١ خلع القاهر على يلبق وطوّقه بطوقين وسوارين مرصعين بالجواهر^(٧). ولما انتصر ياقوت على هارون بن غريب، خُلع على ابن ياقوت وطوّق وسور^(٨). في سنة ٣٣١، خلع المتقي لله على ابن رائق وطوّقه وسوّره بطوق وسوار مرصعين بالجواهر^(٩). «وخلع على ناصر الدولة وأخيه وطوّقا وسوّرا بطوقين... وأربعة أسورة ذهباً»^(١٠). ولما حصل توزون ببغداد خلع المتقي عليه عقد لواء وقلّده أمة الأمراء^(١١). وفي سنة ٣٧٣،

(١) مسكويه ٣١٦/١.

(٢) المتكلم ١٣٦/٧.

(٣) المصدر نفسه ١٧٠/٧.

(٤) الطبري ١٥٩١/٣.

(٥) مسكويه ٥٠/١.

(٦) المصدر نفسه ١٤٩/١.

(٧) المصدر نفسه ٢٥٨/١.

(٨) المصدر نفسه ٣٠٩/١.

(٩) المصدر نفسه ٢٢/٢.

(١٠) المصدر نفسه ٢٩/٢.

(١١) المصدر نفسه ٤٤/٢.

«ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة، وخُلع عليه الخلع السبع والعمّة السوداء وسُور وطُوق وتُوّج وعُقد له لواءان وحُمِل على فرس بمركب»^(١). وقد جلس فخر الدولة.. وحضر أبو العلاء الرسول وأحضرت الخلع السبع والعمّة السوداء والسيف والطوق والسواد واللواء والذّابتان بمركبي الذهب، وقرئ العهد بتوليّه الأعمال التي في يده»^(٢). وفي سنة ٣٩٠ «خلع على الموفق أبي علي بفارس بالقباء والفرجية والسيف والمنطقة والدست والمذهب»^(٣).

وفي المقابلات الرسمية في القرن الرابع، كان الأمراء والقوّاد يلبسون الأقبية السود من كل صنف، والعمائم، وفي أرجلهم الجوارب والالكاءات السود مشدودة بالزنانير^(٤). وكان يلبس العباسيون من أرباب المراتب، زيّهم السواد بالأقبية المولدة والخفاف؛ ولهم منازل في شد المناطق والسيوف^(٥).

التشهير:

كان أعداء الدولة ممن يراد التشهير بهم يلبسون ألبسة خاصة. فلما أراد المعتصم أن يشهر ببابك بعد أسره، ألبسه قباء ديباج وقلنسوة سمور^(٦). ولما غضب المتوكل على عمر بن فرج ألبسه فرجية صوف وقيّده^(٧). وعندما جيء بأسرى القرامطة، أمر الخليفة أن تجعل البرانس على رؤوسهم والقيود في أرجلهم^(٨)، ثم «أدخلوا مشهرين فوضع على رأس ابن الغمر منهم قروناً، وكانوا على جمال بدراريع ديباج وبرانس حتى دخلوا دار السلطان فاعتقلوا بها»^(٩).

(١) ذيل تجارب الأمم ٨٤/٣.

(٢) المصدر نفسه ٩٩/٣.

(٣) المصدر نفسه ٣٤٨/٣.

(٤) رسوم دار الخلافة ٩٢.

(٥) المصدر نفسه ٩١.

(٦) الطبري ١٣٣١/٣.

(٧) المصدر نفسه ١٣٧٧/٣.

(٨) مسكويه ٢٨٣/١.

(٩) المصدر نفسه ٢٨٤/١.

اللبسة الوزراء:

بدأ تقليد وضع زيّ خاص لللبسة الوزراء منذ زمن أبي جعفر المنصور، فيذكر الجهشيارى أنه «لما عزم المنصور على تقليد الربيع العَرَض عليه قال اجلس في بيتك حتى يأتيك رسولي .. فصار إليه الرسول بدراعة وطيلسان وشاشية، فقال البس هذا واركب بهذا الزي، فركب، فأمر الفراش أن يطرح له مرفقه تحت البساط تقصيراً به عن منزلة المهدي وعيسى بن علي، لأنه كان يطرح لهما مرفقتين ظاهرتين»^(١). ومن المعلوم أن الربيع كان يعمل عمل الوزراء وإن لم يسم بذلك. ولما تولى حمد بن عبد الملك الوزارة اشترط أن لا يلبس القباء وأن يلبس الدراعة عليها سيف بحمائل فأجيب إلى ذلك^(٢). ولم تذكر المصادر زي الوزراء قبل توليه الوزارة، غير أن الطبري يذكر أنه عندما عزل عن الوزارة أخذ سيفه ومنطقته وقلنسوته ودراعه^(٣). ولما استدعي الخصيصي للوزارة طُلب منه أن يحضر بسواده ومنطقه^(٤). «وكان الناس يخاطبون أبا عبد الله البريدي بالوزارة، ويخاطبون أبا الحسين ابن ميمون أيضاً بالوزارة، ويصير أبو الحسين إليه بسيف ومنطقة وقباء»^(٥). أما البريدي، فكان يلبس قباء أسود وعمامة سوداء^(٦). ولما قُلد أبو الفضل الوزارة، خلع عليه القباء والسيف والمنطقة المحلاة بالذهب، وحمل على فرس بمركبة ذهب، وأقطعه أقطاعاً بخمسين ألف دينار على رسم الوزارة، وضم إليه عدداً كثيراً من الديلم على رسوم الوزارة^(٧).

اللبسة الكتاب:

كان زيّ الكتاب الدرايع، فكان بنو البريدي كتاباً أصحاب دراريع^(٨). ولما استجاب أبو الفرج إلى عمل الديوان واستأنف بتقليده إياه، خلع عليه الدراعة

(١) الجهشيارى ١٢٥.

(٢) الأغاني ٤٩/٢٠.

(٣) الطبري ١٣٧٢/٣.

(٤) مكويه ٢٧٣/١.

(٥) المصدر نفسه ١٥/٢.

(٦) المصدر نفسه ١٦/٢.

(٧) المصدر نفسه ٢٠٢/٢.

(٨) المصدر نفسه ٣٧٥/١، وانظر عن تميز الكتاب بالزي: الجهشيارى ٢٦٣.

على رسم الكتاب^(١). ولما أزال أبو الحسين بن ميمون عن نفسه اسم الوزارة، لبس الدراعة^(٢). وعندما كان الزيات كاتباً «كان يلبس إذا حضر الدار دراعة سوداء وسيفاً بحمائل»^(٣).

وكان الكتاب يلبسون الشاشية، وكان عيسى بن يزداد نيروز أول من لبس شاشية من الكتاب، وذلك لأنه احتاج إلى لبس القباء والسيف من أجل ما يتقلده من نفقات خاصة فلبس شاشية^(٤). ثم كثر استعمالها^(٥) واستعملها الخلفاء الفاطميون في مصر. وممن ذكر أنه لبسها منهم الظاهر^(٦). وأهدت ست الملك إلى أخيها الحاكم شاشية مرصعة^(٧). وذكر مؤلف «أخبار بني العباس» جهازة المنصور في ثياب بيض^(٨).

وكان الحُجَّاب في المقابلات الرسمية في القرن الرابع يلبسون الأقبية السود والسيوف والمناطق المشهرة، والخدم بالأقبية الملونة والمناطق والسيوف والحمائل المحلاة، وبأيديهم الدبايس والمناطق^(٩).

وفي أواخر العصور العباسية، كان يُخلع على من يلي الوزارة، خلعة خاصة بها من القميص والدراعة والعمامة. فلما استوزر الناصر لدين الله ابن حديده في سنة ٥٨٤، خلع عليه الخلعة الوزارية القميص الأطلس والفرجية المخرج والعمامة القصبة والكحلية بالذهب، وقلده بسيف محلى، وقدم له فرساً من خيل الخليفة^(١٠). وكان الخليفة يخلع على المتميزين خلع السلطنة. وكان مما قُدم

(١) مكويه ٢/٢٤٢.

(٢) المصدر نفسه ٢/١٥.

(٣) الطبري ٣/١١٨٤.

(٤) الجهشيارى ٢٦١.

(٥) الوزراء للجهشيارى ١٦٥؛ الذخائر والتحف ٧٨، ٢٤، ٣٢٨.

(٦) أتعاط الحنفا ٢/١٣٤.

(٧) المصدر نفسه ٢/١٥، وانظر عن الشاشية أتعاط الحنفا ١/٢٨١، ٢/١٥٧؛ صبح الأعشى

للفلقشندي ٤/٥٠، ٦٠، ١٩٠/١٠، ٤٠٤.

(٨) أخبار بني العباس ٢٦٣.

(٩) ذيل تجارب الأمم ٣/٣٥٩.

(١٠) مرآة الزمان ٨/٥٦٨.

لطغول أنه «تَوَجَّ وطَوَّق وسَوَّر، وأُفِيضَتْ عليه سبع خلع سود في زيق واحد، واتخذت له مملكة الأقاليم السبعة، وشُرفَ بعمامة مسكية فُجِّعَ له بين تاجي العرب والعجم، وسما بهما وتسمَّى بالمتَّوج والمفتَّخ، وقُلِّدَ سيفاً مُحلَّى بالذهب^(١). ويعدُّ الخليفة إلى ديبس «جبة وُفْرَجِيَّة وعمامة وطوقاً وفرساً بمركب ذهب وسيفاً ومنطقة ولواء»^(٢). وفي سنة ٥٩٣، خلع الخليفة على حسام الدين العجبة والفرجية والعمامة السوداء والقباء الأسود، وبين يديه الخيل بمراكب الذهب^(٣). وفي سنة ٦٠٩، خلع الخليفة على إيدغمش الفرجية والعمامة وخلعاً تقارب خلع السلطنة^(٤).

ألبسة القضاة:

ذكر عريب أن محمد بن يوسف، عندما عيِّن على قضاء الشرقية وعسكر المهدي، خلع عليه دراعة وطيلسان وعمامة سوداء^(٥).

وكان القضاة في مقابلاتهم الرسمية للخلفاء، إبان القرن الرابع، يلبسون الطيلسان والقمص والذنيات والقراقفات؛ ثم تركَّ لبس الأخيرتين، وعدل عنهما إلى العمامم السود المصقولة. وتطرف قوم قلبسوا القصيب والخزَّ الأسود.. وفي مخطوط من أواخر القرن الرابع أن من المخرقة ما كان يلبسه القضاة الذنيات، والوزراء الطيالة.

وكان أولاد الأنصار يلبسون الثياب والعمائم الصفر^(٦).

ألبسة الفقهاء وأهل العلم:

يذكر الأصفهاني أن أبا حنيفة كان له جار أخذه العسس فققد أبو حنيفة

(١) تاريخ آل سلجوق للبنداري ١٤.

(٢) مرآة الزمان ٧٢/٨.

(٣) المصدر نفسه ١٥٣/٨.

(٤) المصدر نفسه ٥٦٠/٨.

(٥) عريب ٢٣.

(٦) رسوم دار الخلافة ٩١.

صوته تلك الليلة، فسأل عنه من غد فأخبر، فدعا بسواده وطويلته، فلبسها وركب إلى عيسى بن موسى (والي الكوفة)^(١).

ويذكر حمزة السهمي عن عبد الواسع أنه في أوائل زمن العباسيين كان الناس في ذلك الزمان قد أخذوا يلبسون قلانس سوداً يقال لها المحمدية، لا يدخلون على السلطان إلا بها، قال وكان العلماء إذا أرادوا الدخول على السلطان يحملونها معهم.. فإذا بلغوا الباب أخرجوها ووضعوها على رؤوسهم ثم دخلوا عليه^(٢). ويروي الأصفهاني أن ابن جامع قدم من مكة على الرشيد وكان يعمم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة، ويلبس لباس الفقهاء، ويركب حماراً مريسياً في زي أهل القلانس. ويذكر أيضاً: «أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أصحاب القلانس»^(٣).

ويروي الراهرمزي بسند عن مطرف أن مالك بن أنس قال لأمه إنه يريد أن يذهب ليكتب العلم، فقالت له أمه: «تعال فالبس ثياب العلماء ثم اذهب فاكتب، فأخذتني فالبستني ثياباً مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها، ثم قالت اذهب الآن فاكتب»^(٤).

ويروي الأصفهاني أن سلمة بن عباد ولي القضاء فأتى باب سليمان بن علي ليلاً يدق عليه الباب ومعه جماعة من أصحاب القلانس^(٥).

ويروي أن معمر بن كدام قال لرجل لو كنت من أصحاب الحديث كنت مقنعاً وكانت نبلك مخصوفة^(٦).

ويذكر ابن خلكان: «قيل كان يحضر مجلس داود الظاهري كل يوم أربعمئة صاحب طيلسان أخضر»^(٧).

(١) الأغاني ١/٤١٤.

(٢) تاريخ جرجان ٢٤٧.

(٣) ابن سعد ٢٣٧/٥.

(٤) المحدث الفاصل ٢٠١.

(٥) الأغاني ٣/٣٠٣.

(٦) المحدث الفاصل ٢٠١.

(٧) وفيات الأعيان، ترجمة داود الظاهري.

ألبسة الأشراف

أشارت الكتب إلى تعدد الألبسة التي كان يلبسها الأشراف، فروى ابن سعد عن الواقدي: «لم يزل ذلك من فعل الأشراف وأهل المروءات عندنا (في الحجاز) الذين يلزمون المسجد يتكثرون على طيالة مطوية سوى طيلسانه وردائه الذي عليه»^(١). وذكر أن جعفر «طلع وعليه سبعة قمصان وكأنها درج بعضها أقصر من بعض ورداء عدني يثمن ألفي درهم»^(٢). وروى الحاتمي «أن المتنبى خرج من البيت الذي كان فيه.. وإذا هو لابس سبعة أقبية كل قباء منها بلون».

وكانت أكثر ألبسة المترفين من الخبز والوشي^(٣). وكان علي إسحاق الموصلي مطرف خز أسود قيمته مائة درهم، وعلي إبراهيم بن المهدي مطرف خز وجبة خز دكنا^(٤)، وكان رويم بن أحمد وكيل اسماعيل بن إسحاق يلبس الخبز والقصب والديقي^(٥)، وخلع الرشيد علي ابن جامع جبة خز طاروني مبطنة بسمور. وأهدت أم المعز المتوكل مطرف خز أخضر لم ير الناس مثله حسنا^(٦)، وأهدى المنصور عمرو بن عبيد جبة مبطنة مروية^(٧) وخلع الرشيد علي إبراهيم الموصلي جبة وشي كوفي^(٨)، وخرج إليه متلثماً بعمامة وشي ملتحقاً برداء وشي^(٩)؛ وكانت علي نصيب جبة وشي ورداء وشي^(١٠).

أزياء اصناف من الناس:

ويروي الفضل بن دكين كنت إذا رأيت داوود الطائي لا يشبه القراء، عليه قلنسوة سوداء مما يلبس التجار^(١١).

(١) ابن سعد ٢٢٧/٥.

(٢) المصدر نفسه ١٢٧/٥.

(٣) الأغاني ٢٧/٢٠.

(٤) المصدر نفسه ٢١٠/١٠.

(٥) المصدر نفسه ١٣٧/١.

(٦) الطبري ١٣٥٤/٣.

(٧) أنساب الأشراف ٢٣٥/٣.

(٨) الأغاني ١٧٧/١٠.

(٩) المصدر نفسه ١٧/١٠.

(١٠) المصدر نفسه ٨١/٦. وانظر ما كتبه عن الخبز وعن الوشي.

(١١) ابن سعد ٢٥٥/٦.

أما لباس الشطّار، فإن الأصفهاني يروي عن داوود المكي أن ابن نيزن المغني قد انتزّر بمثزّر على صدره، وهي إزرة الشطّار عندنا^(١)

وذكر الطبري ما يدلّ على أنه كانت للملاحين مدارع مميزة^(٢).

وكان لبس الخراسانية «قباء وأذاري وعمامة شاهجانية، يحشى ويداء معقوفتان من ورائه»^(٣).

وكان الحلاج محتلقاً، فيلبس في أوقات الدراعة والعمامة، ويمشي بالقباء على زيّ الجند^(٤). ويذكر الجاحظ أن إزار النصرانية أزرق، وإزار اليهودية أصفر، وإزار السامرية أحمر^(٥). وينعي الجاحظ على النصارى بأنهم في زمانه لبسوا الملحّم والمطبقة^(٦).

البسة النساء:

يصف ابن قتيبة المترفات من النساء: «شر النساء إذا تحلّين الذهب، ولبسن رباط الشام وعصب اليمن فأتعبن الغني وكلّفن الفقير ما لا يجد»^(٧). ويذكر الأصفهاني «أول من عقد النساء في طرق الإزار زناراً وخيط إبريسم ثم جعله في رأسها فيثبت الإزار ولا يتحرّك»^(٨).

ويذكر أن عليّة بنت المهدي «كان بها عيب، كان في جبينها.. فاتخذت العصائب المكلّلة بالجواهر تستر بها جبينها، فأحدث والله شيئاً ما رأيت فيما ابتدعته النساء وأحدثته أحسن منه»^(٩). ومما لبسته البانوقة (بنت المهدي) قباء أسود ومنطقة شاشية^(١٠).

(١) الأغاني ١/٤٠٨، ٦/٣٣٩.

(٢) الطبري ٣/١٣٣٥.

(٣) ذيل تجارب الأمم ٣/٣٩٦.

(٤) المنتظم ٦/١٦٠.

(٥) حسن المحاضرة ١١٣.

(٦) الرد على النصارى للجاحظ ١٨.

(٧) عيون الأخبار ٤/١١٤.

(٨) الأغاني ٧/٣٠٢.

(٩) المصدر نفسه ١٠/١٦٢.

(١٠) الطبري ٣/٥٤٤.

أورد المسعودي نصاً مجملاً عن اهتمام زبيدة زوج الرشيد بالتزيّن، فقال: «صنع لها الرفيع من الوشي حتى بلغ الثوب من الوشي الذي اتّخذ لها خمسين ألف دينار، وهي أول من اتّخذ القباب من الفضة والأبنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشي والسمور والديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق.

وذكر أنها «اتّخذت للأمين الجوّاري عمّت رؤوسهن وجعلت لهن الطرز والأصداغ والأقفية والبستهن الأقبية والقراطق والمناطق.. واتّخذ الناس من الخاصّة والعامة الجوّاري المظموّمات والبسوهن الأقبية والمناطق وسّموهن الغلاميات»^(١). ولعلّ في هذا الكلام مبالغة في وصف أحوال فيها بذخ.

لباس أهل الذمّة:

لم تذكر المصادر قيوداً فرضها المسلمون على أهل الذمّة في أول الإسلام؛ وأول ذكر لهذه القيود كان في زمن خلافة عمر بن عبد العزيز؛ فيذكر أبو يوسف أنه أمر «أن لا يلبس نصراني قباء ولا ثوب خزّ ولا عصب، وقد ذكر أن كثيراً.. من النصاري قد راجعوا لبس العمائم»^(٢).

وذكر ابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز «كتب إلى الآفاق أن لا يمشي نصراني إلا مفروق الناصية، ولا يلبس قباء ولا يمشي إلا بزّار من جلود، ولا يلبس طيلساناً ولا سراويل ذات خدقة، ولا تعلأ لها عذبة»^(٣). ولم تذكر المصادر الدافع لهذا الأمر، ولا بد أنه لم يعمّ ويثبت لقصر مدة خلافة عمر بن عبد العزيز.

ويبدو أن أهل الذمّة تابعوا بعده تخيّر ما يلبسونه.

ويذكر ابن الجوزي أن أبا منصور المحتسب أمر سنة ٤٤٨ بإلزام أهل الذمّة

(١) مروج الذهب ١/٢٢٦-٢٢٧.

(٢) الخراج لأبي يوسف ١٢٧.

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ١٢٦.

بأن يلبسوا الغيارات والعمائم المصبرغات^(١). ولكن الأمر لم يتقد لتدخل الخاتون، ومنعها المحتسب من تنفيذه.

ملابس الخلفاء الفاطميين:

نقل المقرئ نصوصاً عن ملبوسات وهدايا عدد من الخلفاء الفاطميين في المناسبات الرسمية. فذكر أن العزيز خرج فضربت له خيمة ديباج رومية معزبة فضة^(٢)، وأنه ركب لفتح الخليج بالمقس، وعليه قميص ديباج مثقل وتاج مرضع الجواهر^(٣)، وعرض العساكر بظاهر القاهرة فنُصب له مضرب ديباج رومي فيه ألف ثوب بصقرية فضة مثقل. مثقل بالجواهر^(٤). وفي رمضان صلى الجمعة وعليه طيلسان ويده القضيب وفي رجله الحذاء^(٥). وكان العزيز أول من لبس من الخلفاء الفاطميين الخفّتان والمنطقة^(٦). ولما بويع الحاكم كان في دراعة مصمتة وعمامة فيها الجواهر، ويده الرمح وقد تقلّد السيف^(٧). وركب يوماً في عيد الفطر وعليه ثوب مصمت أصفر وعلى رأسه منديل. وكان يكره الركوب بصوف أبيض وعمامة مفوطة بسظلة مثلها، ووليّ عهده يسايره وعليه ثوب مثقل^(٨).

أما الظاهر، فكان عليه سنة ٤١٤ هـ وقت نزوله إلى مصر قميص طميم مذهب، وعلى رأسه شاشية مرضعة، وعاد وعليه ثياب بيض ديبقية مذهب وعمامة شرب مسكي مذهب^(٩). وركب في موكب إلى المقس بعمامة شرب مفوطة بسواد وثوب ديبقي^(١٠). وفي سنة ٤١٥ هـ، ركب إلى نواحي عين شمس، وعليه ثوب بنكي

(١) المتظم لابن الجوزي ١٧١/٨.

(٢) أنماط الحنظا ٢٤٢/١.

(٣) المصدر نفسه ٢٧٥/١.

(٤) المصدر نفسه ٢٨٣/١.

(٥) المصدر نفسه ٢٧٢/٢.

(٦) المصدر نفسه ٢٩٣/١.

(٧) المصدر نفسه ٣/٢.

(٨) المصدر نفسه ١٠١/٢.

(٩) المصدر نفسه ١٠٧/٢.

(١٠) المصدر نفسه ١٣٤/٢.

أحمر معلّم مذهّب على رأسه عمامة شرب بنكي مذهّب^(١). وركب إلى نواحي القصور، وعليه عمامة ياقوتية مذهّبة وثوب ديبقي بياض مذهّب بغير مظلة^(٢). وركب في العساكر ورجال الدولة، بأحسن زي وأكمل عمة، إلى صناعة الجسر وعليه ثوب طميم مثقل وعمامة شرب مثقل مذهّبة وتحت فرش ديبقي مذهّب^(٣). وجلس في قصر أبيه بباب الذهب على سرير المصقول المذهّب، وعليه ثوب ديبقي معلّم وعمامة شرب مثقل مذهّبة، وتحت فرش ديبقي مذهّب^(٤). وجلس في قصر الذهب بعد أن زين وبسط وعلّقت فيه الستائر الديقاج والسقوف المذهّبة، وعلق السقائف كلها بالستور، وفرشت بالفروش^(٥). وركب إلى صلاة الجمعة من الجامع الأزهر، وعليه طيلسان شرب مفوّط بعمامة بياض مذهّبة، وثياب ديبقية، والمظلة ديبقية مذهّبة^(٦). وركب مرة إلى جامع الأزهر، وعليه رداء بياض محشي فضياً، وثياب بيض ديبقية، وعمامة بياض مذهّبة، وفي يده القضيب الجوهري، وعلى رأسه مظلة مدبرة^(٧). ودُكرت الخيام المعمولة من الديبقي والمخمل وسائر أنواع الحرير المثقل وغير المثقل^(٨). ودُكرت خيام مسطح من قلمون عمل بتيس، ومسطح عمله الظاهر في تيس كلّ ذهب طميم^(٩). دُكرت المصادر بعض هدايا الخلفاء للقواد والقضاة وذوي المراكز. فلما ولد لأبي القاسم علي بن القائد الفضل بن صالح بعث إليه العزيز ثلاثين ثوباً فاخرة ومحشوة أردية وعدّة عمام ومثقالاً ومنديلاً طوله مائة ذراعاً ومنديلاً بمائة وخمسين ديناراً، وحملت إليه السيدة العزيزية مائة ثوب صحاحاً من كل خمر وبشلاثمائة دينار ومهدين لهما أغشية وثياب وفرش متصلة^(١٠). وكان يلبس الدراعة والعمامة بغير

(١) اتعاظ الحنفا ١٣٦/٢.

(٢) المصدر نفسه ١٥٠/٢.

(٣) المصدر نفسه ١٤٨/٢.

(٤) المصدر نفسه ١٤٤/٢.

(٥) المصدر نفسه ١٤٠/٢.

(٦) المصدر نفسه ١٥٩/٢.

(٧) المصدر نفسه ١٦٠/٢.

(٨) المصدر نفسه ١٨٧/٢.

(٩) المصدر نفسه ٢٨/٢.

(١٠) المصدر نفسه ٢٧١/٢.

طيلسان^(١). ووجد في تركته مائة منديل شرب ملوثة معممة كلها على مائة شاشية وألف سروال ديبقي بألف نكة حرير، ومن الثياب المخيطة والصحاح^(٢). وخلع الحاكم على ابن بكار وقلده سيفاً، وحمل على عشرة أفراس بمرأبها مقلداً إمارة الشام^(٣). وخلع على القائد الفضل بن صالح ثوب ديباج مشقل طميم أحمر، ومنديل ذهب مقلد بسيف، وحمل على فرس بمركب ذهب، وبين يديه تسعة من الخيل وثلاثون بنداً من ذهب أربعة عشر، تسع فيها أنواع الثياب^(٤). وخرج القائد أبو الفوارس معضاد الخادم الأسود وعليه ثوب طميم حسن وعلى رأسه عمامة، ومعه سجل قرى، على العامة والخاصة بتلقيبه بالقائد^(٥). وحمل على فرس بسرج مصفح مغموس وألبس عمامة مذقبة وثوباً طميمياً^(٦).

أما القضاة، فذكر أن أبا القاسم عيد العزيز بن محمد بن النعمان ذهب إلى الجامع العتيق، وبين يديه ثياب صحاح، وحمل على بغلتين ملجمتين، وقرى له سجل^(٧). وفي سنة ٣٩١، خلع على القاضي حسين بن النعمان، وقيد بين يديه بغلتان وحمل إليه عدة ثياب لحضوره العتاقة^(٨). وأهدى الحاكم لأبي الحسن علي بن إبراهيم النوسي ألف دينار وأربعة وعشرين ثياباً مختارة^(٩). ولما قلّد أبو القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان القضاء مع ما بيده من النظر في المظالم، خلع عليه وقلّد سيفاً محلى بذهب، وحمل على بغلة، وبين يديه سفل ثياب^(١٠).

(١) أنماط الحنفيا ٢٢٨.

(٢) المصدر نفسه ٧١/١.

(٣) المصدر نفسه ٤٣/٢.

(٤) المصدر نفسه ٦٢/٢.

(٥) المصدر نفسه ١٣٩/٢.

(٦) المصدر نفسه ٥٣/٢.

(٧) المصدر نفسه ٣٥/٢.

(٨) المصدر نفسه ٣٩/٢.

(٩) المصدر نفسه ٤٠/٢.

(١٠) المصدر نفسه ٥/٢.

والبس ثلاثة من الخدم العمائم الشرب الأبيض فثبتهوا بمن تقدم من مقدمي الخدم^(١). وفي زمن الحاكم بأمر الله، قلّد ابن حيون المغربي سيفاً، وخلع عليه ثياباً بيضاء مقطوعة ورداء... وحمل على بغلة وحمل معه ثياباً محيرة كثيرة^(٢). وفي سنة ٣٩٨، ولي عبد الملك بن سعيد الفارقي القضاء، وخلع عليه من بيت المال قميص مصمت، وعمامة مذهبة وطيلسان محشى، وقلّد بسيف.. فخرج، وبين يديه سبط ثياب، وحمل على بغلة وبين يديه بغلتان^(٣). وخلع على أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي العوام، وأعطى سجلاً بتقليده قضاء القضاء، وحمل على بغلة بسرّج ولجام مصفّح بالذهب، وقيد بين يديه بغلة أخرى، ونزل إلى الجامع فقرئ سجله على المنبر^(٤).

في سنة ٤١٤، خلع على أبي الفرج بن مالك بن سعيد ثوب وعمامة مذهبان ورداء محشى بالذهب، وحمل على بغلة بسرّج ولجام مُحلى، وقلّد قضاء تنيس وسار إليها^(٥). وكانت للقاضي خلعة في زمن الحاكم بأمر الله، عبارة عن «غلالة وقميص ديبقي معلّم مذهب وثوب مصمت وعمامة شرب كبير مذهب وطيلسان مذهب.. وكان مركبة بغلة مسرجة بلجام فضي مذهب، وقيدت بين يديه بغلة أخرى مسرجة لجمة^(٦)». وخلع على عبد الله بن محمد بن علي بن ابراهيم النرسي نقيب الطالبين ثوب ديبقي مذهب مصفّح بأطرق، ومن تحته ثوب مصمت مذهب غلالة مذهبة، وعلى رأسه عمامة شرب مذهبة، وخرج وفي يده سجل يتضمّن استمراره في النقابة على العادة^(٧).

وخلع على ابن الرداد خلع ديبقية مذهبة ورداء محشو مذهب وعمامة شرب مذهبة، وحمل على بغلتين بسرّجين ولجامين مذهبيين. وخلع على بُقي الأسود وقلّد الشرطتين بمصر، وحمل على فرس بسرّج ولجام مذهب^(٨).

(١) اتعاظ الحنفا ١٦٣/٢.

(٢) رفع الأصر لابن حجر ٢٠٧.

(٣) اتعاظ الحنفا ٧١/٢.

(٤) المصدر نفسه ١٠٩/٢.

(٥) المصدر نفسه ١٣٣/٢.

(٦) رفع الأصر لابن حجر ١٠٢.

(٧) المصدر نفسه ٤٨.

(٨) المصدر نفسه ١٠٢.

وفي سنة ٣٩٤، حُمل إلى الشريف أبي الحسن علي النرسي رسمه بجاري به العادة في كل سنة، وهي من الثياب عشرون قطعة بنحو خمسمائة دينار^(١).

وفي سنة ٤١٤، خُلع على أحد أولاد ابن جراح ثوب مشتل مذهب وعمامة طائفة وهدايا، وحمل على فرسين بسرجين ولجامين مذهبين^(٢). وأهدت ست الملوك إلى أخيها الحاكم هدايا منها مائة نخت ثياب، وتاجاً مرضعاً وشاشية مرضعة^(٣). ووُجد لحسين بن جوهر في جملة ما وُجد سبعة آلاف مبطنة حرير من سائر أنواع الديباج والتسالي وغيره^(٤).

ومن المفيد أن نذكر أن الناصر لدين الله أفاض على الملك العادل جبة أطلس أسود بطراز مذهب وعمامة بطراز مذهب، ونُشر على رأسه علم أسود مكتوب عليه بالبياض ألقابُ الخليفة. وخُلع على الآخرين عمامة سوداء وثوب أسود واسع الكم. وكان يهدي كل يوم خلعة كاملة بغلالة وقباء وسراويل وكمة وفروة وسيف وحصان ومنطقة ومنديل وسكين.. وخمس خلع لأصحابه.. منها عشر من كل واحدة منها ثلاثة أثواب طلّس وثوبان من الخطبي، ومنها عشر في كل منها ثلاثة أثواب عتابي خوارزمي.. ومنها عشر في كل منها أثواب عتابي وبغداددي وموصللي، ومنها عشرون في كل منها خمسة أثواب معتق وسوسي وديقي^(٥).

في سنة ٣٦٣، نوّدي أن لا تلبس امرأة سراويل كباراً، ووُجد سراويل فيها خمس شقاق، وأخرى قطع من ثماني شقاق ديبقي^(٦). ولا ريب في أن هذه الألبسة هي الحد الأدنى من الزينة. ولم يذكر لبسهم قبلها ولا روي استمرار هذا.

(١) مفرّج الكروب ٣/١٨١-١٨٢.

(٢) اتعاظ الحنفا ١/٢١٤.

(٣) المصدر نفسه ٢/٥٢.

(٤) المصدر نفسه ٢/٩٢.

(٥) رفع الأصر ٥٢.

(٦) مفرّج الكروب ٢/٥٢.

ألبسة كسرى وأشراف الفرس:

ذكر المسعودي أنه «وجد في بعض بيوتات الأشراف في اصطخر كتاب عن ملوك الفرس فيه معلومات قيّمة وصور لهم، فكان أول ملوكهم فيه أردشير شعاره في صورته أحمر مدثر، وسراويله لون السماء، وتاجه أخضر، بيده رمح وهو قائم. وآخرهم يزدجرد بن شهریار بن كسرى أبرويز، وشعاره أخضر موشى وسراويل لون السماء، وتاجه أحمر بيده معتمد على سيفه وأنواع الأصباغ العجيبة^(١).

وذكر الطبري أن يزدجرد آخر ملوك الساسانيين كانت خلعتة «من الديباج المنسوج المذهب المتظوم بالجواهر وغير الديباج منسوجاً منظوماً»^(٢). وأشار إلى سيفه وزبرجه ومنطقته^(٣). «أما بساطه فكان ستين ذراعاً في ستين ذراعاً بساطاً واحداً مقدار جريب، وفيه طرق كالصور وفصوص كالأنهار وخلال ذلك كالدير، وفي حافات الأرض المزروعة والأرض المبقلة بالنبات في الربع من الحرير على قضبان الذهب». ونواره بالذهب والفضة وأشياء ذلك^(٤). وذكر حمزة الأصفهاني ألوان شعارات وسراويل وتيجان ملوك الساسانيين، وهي متنوعة، فكان شعار كل من بهرام الثالث وأردشير الثاني ويزدجرد الثاني وبوران أخضر على لون السماء، وشعار أنوشروان أبيض. أما الباقيون، فشعاراتهم حمراء أو موزّعة بوشي.

أما ألوان تيجانهم، فهي إما خضراء أو لون السماء، وكانت كافة خفافهم حمراء^(٥). وكانت ألبسة الطبقة الميسورة تختلف تبعاً لمكانتهم، وخاصة في لباس الرأس، فيذكر الطبري أن أهل فارس يجعلون فلانسهم على قدر أحسابهم في عشايرهم؛ فمن تمّ شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف، وكان هرمز مقيم تمّ شرفه فكان قيمة قلنسوته مائة ألف.. وكانت مفضضة بالجواهر، وتعام شرف أحدهم

(١) التتبع والإشراف ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) الطبري ٢٤٤٦/١.

(٣) المصدر نفسه ٢٤٥٠/١.

(٤) المصدر نفسه ٢٤٥٢/١.

(٥) تاريخ سني ملوك الأرض ٥٥.

أن يكون من بيوتاتهم السبع^(١). وممن تمّ شرفه رستم^(٢) وقارن. ولم يقاتل المسلمون بعد قارن أحداً انتهى شرفه في الأعاجم^(٣). وكان الأزاذه مرزيان الحيرة قد بلغ نصف الشرف، وكان قيمة قلنسوته خمسين ألفاً^(٤). وكان أبناء الملوك عليهم الأقراط وأسورة الذهب والديباج^(٥). وذكر الطبري رجلاً عليه سوار من ذهب^(٦)، وآخر عليه منطقة وسواران^(٧)، وثالث عليه القرط وإسوار الذهب وثياب الديباج^(٨). واستلب عمرو بن يكرب إسواراً عليه سوارين ذهب ومنطقة من ذهب ويلمق من ديباج^(٩). وكان على الجائنوس عند انسحاب الفرس بعد القادسية بارقان وقلبان وقرطان^(١٠). وكان كثير منهم يلبس الخواتيم في أصابعه.

-
- (١) الطبري ٢٣٤٠/١.
 - (٢) المصدر نفسه ٢٠٢٧/١.
 - (٣) المصدر نفسه ٢٠٣٧/١.
 - (٤) مروج الذهب ٢/٣٢٢.
 - (٥) الطبري ٢٢٣٥/١.
 - (٦) المصدر نفسه ٢١٩٣/١.
 - (٧) المصدر نفسه ٢٦٤٣/١.
 - (٨) المصدر نفسه ٢٣٥٦/١.
 - (٩) فتح البلدان ٢٥٢.
 - (١٠) مروج الذهب ١/٢٣٧.

الفصل التاسع

الألبسة ومستوى المعيشة

أسعار الألبسة:

تتفاوت أسعار الألبسة تبعاً للمادة المصنوعة منها، والمهارة المبدولة في عملها، وتطوّر الأحوال الاقتصادية العامة^(١). ويبدو أن أغلى الأنسجة هي الحلل، فقد ذكرت لها عدة أسعار، ولكنها عموماً احتفظت بمكانتها، وبخاصة في الحجاز كأغلى أنواع المنتوجات. وأخبارنا عنها مستمدة من أزمنة متعددة؛ ففي زمن النبي (ص) اشترت حلة بيضعة وعشرين قلوفاً^(٢). وأهدى حكيم بن حزام الرسول (ص) حلة كانت لذي يزن^(٣) اشتراها بخمسين ديناراً، أي بما يعادل ستمائة درهم. وكان عبد الرحمن بن عوف يلبس البرد أو الحلة تساوي خمسمائة أو أربعمائة^(٤). وأوصى ابن مسعود أن يُكفّن في حلة بمئتي درهم^(٥). وبعث عمر إلى معاذ بن عفراء بحلة فباعها واشترى بها خمسة رؤوس من الرقيق وعتقهم، وقال إن رجلاً أثر قشرتين يلبسهما على عتق هؤلاء لغيبى الرأي^(٦). وكان تميم الداري يلبس حلة بألف درهم^(٧). وكان العرجي يلبس حلتين

(١) انظر : الإشارة إلى محاسن التجارة للمثقي.

(٢) أبو داود لباس ٥. ومعدل سعر القلوص حوالي مائة درهم.

(٣) ابن سعد ٤-١/٤٥.

(٤) المصدر نفسه ٣-١/٩٢.

(٥) المصدر نفسه ٣-١/١١٣.

(٦) لسان العرب ٨٦/١٣٠، ٤٠٤/١٨٢-١٨٣.

(٧) الأشرية لابن قتيبة ٨٢.

بخمسمائة دينار^(١). وكان عمر بن عبد العزيز يلبس الحلة بألف دينار^(٢). وقال ابن سريج إن حلته وخاتمه شراهما بألف وخمسمائة دينار^(٣).

ويتلو الحلل في الأسعار، المطارف والبرود. فأما المطارف، فروي أنه كان على عثمان مطرف ثمنه مائتا درهم^(٤). وفي رواية أخرى أنه كان عليه مطرف خز ثمنه مائة دينار^(٥). وكان ابن عمر يلبس أحياناً المطرف بثمن خمسمائة^(٦). وفي يوم الحرية، اشترى محمد بن عمرو مطرف خز بسبعمائة^(٧). وكان علي بن الحسين يشتري المطرف بخمسين ديناراً^(٨). وكان ابن الشخير عليه مطرف خز بأربعة آلاف درهم^(٩). وكان علي بن الحسين يلبس الجبة الخز بخمسين ديناراً^(١٠)، والمطرف بخمسين ديناراً^(١١). واشترى عمر بن عبد العزيز، قبل توليه الخلافة، مطرفاً بثمانمائة درهم^(١٢). وكان لاسحاق الموصلي مطرف قوم بمائة دينار^(١٣).

ويروي أن عثمان بن عفان اشترى برداً ثمنه مائة دينار^(١٤). ويروي سليم أبو عمر أنه رأى على عثمان بن عفان برداً ثمنه مائة درهم^(١٥). وكان على ذي الرمة برد قيمته مائتا دينار^(١٦).

- (١) الأغاني ٣٩٥/١.
- (٢) مروج الذهب ١٢٤/٥ (عن المقاتي)؛ وفي رواية بأربعمائة (ابن سعد ٤٦/٥).
- (٣) الأغاني ٢٦٤/١.
- (٤) ابن سعد ٤٠/١-٣.
- (٥) أنساب الأشراف ٣/٥.
- (٦) ابن سعد ٢٧/١-٤.
- (٧) المصدر نفسه ٥٠/٥.
- (٨) المصدر نفسه ١٦٦/٥؛ الكافي ٤٥١/٦.
- (٩) المصدران أنفسهما، الموضعان أنفسهما.
- (١٠) الكافي للكليني ٤٥١/٦.
- (١١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٤٢.
- (١٢) الكافي للكليني ٤٥١/٦.
- (١٣) الأغاني ٢٠/١٠.
- (١٤) أنساب الأشراف ٣/٥.
- (١٥) ابن سعد ٣٩/١-٣.
- (١٦) الأغاني ١٦.

وقد هاجم أبو حمزة الخارجي يزيد الثالث، وقال عنه أنه يلبس بردتين قد حيكتا له وقومتا على أهلها بألف دينار وأكثر وأقل^(١). ويروي محمد بن الهلالي أن مروان بن أبان بن عثمان «طلع وعليه سبعة قمص كأنها درج بعضها أقصر من بعض ورداء عدني بثمانمائة درهم»^(٢). ويروي الكليني أن أبا الحسن كفن أباه من برد اشتراه بأربعين ديناراً لو كان اليوم لساوي أربعمائة دينار^(٣).

ذكرت أسعار بعض الألبسة الغالية الثمن دون أن يُحدد نوعها. فيروي ابن سعد أن علي بن الحسين كان يشتري كساء الخنز بخمسين ديناراً فيشتو فيه ثم يبيعه ويتصرف بثمنه ويصيف بثوبين وشمونين^(٤). ويروي الكليني أن علي بن الحسين كان يلبس في الصيف ثوبين يشتران بخمسمائة درهم^(٥).

يروي البلاذري أن عمر بن عبد العزيز كان لباساً عطرأ تقشّف بعد ذلك، فكان يعمل له ثوب الخنز بمائة دينار فيستخسّنه^(٦). ويروي حمّاج الصوّاف «أن عمر بن عبد العزيز أمره أن يشتري له ثياباً، وهو أمير على المدينة (فاشترى) له ثوباً بأربعمائة درهم فقطعه مخيطاً، ثم لمسه، وقال ما أخسّنه وأغلظه»^(٧). وكان ابن عباس يرتدي رداء بألف^(٨). ويروي ابن جرير عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله: لبس النبي يوماً قباء من ديباج أهدي له.. ثم باعه بمائتي درهم^(٩). وذكر الجاحظ عن رجل قال اشتريت كساء أبيض طبرياً بأربعمائة درهم، وهو عند الناس فيما ترى عيونهم قوصاً يساوي مائة درهم^(١٠). ولبس جعفر بن محمد ثوباً قرقياً اشترى بدينار^(١١).

(١) الأغانى ١٠٩/٢٠.

(٢) المصدر نفسه ٨٩/١٧.

(٣) الكافي ١٤٩/١.

(٤) ابن سعد ١٦١/٥، ١١٢ الكافي ٤٥١/٦.

(٥) الكافي ٤٤١/٦.

(٦) أنساب الأشراف ١٣٠/٧، المخطوط.

(٧) ابن سعد ٢٤٦/٥ مرآة الزمان مخطوط باريس.

(٨) عيون الأخبار ٢٩٨/١، حلية الأولياء ٣٢٢/١.

(٩) مسلم ١٥٣/٢.

(١٠) الحيوان ٢٧/٣.

(١١) الكافي للكليني ٤٤٣٦.

أما الطيلسان الكردي، فقد روي أنه بيع طيلسان ميمون مهران حين مات في ميراثه بمائة درهم^(١). ولا شك في أنه مستعمل، وأن الجديد لا بد أن يكون أغلى من هذا السعر. أما الخميصة، فيذكر النسائي أن سعرها ثلاثون درهماً^(٢).

ذكر ثمن بعض الثياب بحوالى خمسة عشر درهماً. فيروي الأصبهاني أن عمر بن عبد العزيز كساه ثوبين كانا يساويين ثلاثين درهماً^(٣). ويروي البلاذري أنه كان يؤتى له بالثوب الخشن بأقل من دينار أو بدينار، فيقول ما أصنع بهذا آتوني بأخشن منه وأقل ثمناً^(٤). ويروي المسعودي: اشترى عمر بن عبد العزيز ثوباً بثمانية دراهم، وأنه كان يؤتى له القميص بعشرة دراهم^(٥).

ويروي الواقدي: «سمعت ابن عمر وقد سأله رجل ما ألبس من الثياب، قال: ما لا يزدريك فيه السفهاء ولا يعيبك به الحكماء، قال ما هو، قال ما بين الخمسة إلى العشرين درهماً^(٦). وهناك أنسجة أرخص؛ فيروي أيمن أنه دخل على عائشة وعليها درع قطن ثمنه خمسة دراهم^(٧). ويروي جعفر بن محمد عن أبيه أن علياً ابتاع قميصاً سنبلانياً بأربعة دراهم^(٨). ويروي سعيد بن حسن عن الربيع بن خيثم أنه لبس قميصاً سنبلانياً ثمنه ثلاثة دراهم أو أربعة^(٩). ويروي أن النبي اشترى سراويل بأربعة دراهم^(١٠). وقد ارتدى عثمان إزاراً عدياً غليظاً بأربعة أو خمسة دراهم^(١١).

(١) ابن سعد ٤-٢/١٢١.

(٢) النسائي ٢/٢٦٥.

(٣) الأغاني ١/٣٧٤.

(٤) أنساب الأشراف ٧/١٣٠ (مخطوط استنبول).

(٥) مروج الذهب ٥/١٢٤.

(٦) حلية الأولياء ١٢/٣٠٢.

(٧) ابن سعد ٣-١/١٨.

(٨) حلية الأولياء ٢/١١٣.

(٩) الكافي للكليني.

(١٠) أبو داود / ٤٤.

(١١) حلية الأولياء ١/٦٠.

أما تكاليف الأصباغ، فيروي هشام بن عمرو عن أبيه أنه كان يعصفر له الملحفة بالدينار، وكان آخر ثوب لبسه ثوب معصفر بدينار^(١). ويورد مالك أمثلة على ثوب ثمنه عشرة دراهم والصبغ بخمسة^(٢). وروى الصابي: «ثوب أبيض صبغ أرضه قيمته دينار»^(٣).

وكانت قيمة ثوب الديباج في زمن عضد الدولة مائتي دينار، والثوب الأبيض نصف دينار^(٤). وكانت قيمة الحلة التنيسية الذهب مائتي دينار، وبلا ذهب مائة دينار^(٥). وليس في الديباج طراز يبلغ الثوب الساذج منه الذي لبس فيه ذهب مائة دينار غير ثوب تنيسي ودمياطي^(٦)؛ والثياب المذهبة في هيئة الخيط، الثوب الواحد منها بألف دينار^(٧).

جمع فهمي عبد الرزاق سعد في كتابه القيم "العامة في بغداد" قائمة بأسعار تسعة عشر من الملابس ببغداد في القرنين الثالث والرابع، وهي تكمل ما جمعه مما لم يشر إليها. نعيد نشرها استكمالاً للبحث، ونضع مصادره فيها بجانب كل سلعة تجنباً إقتال بحثنا بالهوامش.

الملبوس	ثمنه	المصدر
طيلسان	٣٠ درهماً	الطبري ٢٥٣/٨
كساء	درهمان	طيفور ١٤
منديل	درهم واحد	نصوص ضائعة من كتاب الجهشياري ٣٢٥
قميص	٤ دراهم	تاريخ الخطيب ٢٦١/٩

- (١) ابن سعد ١٣٤/٥.
- (٢) الموطأ ١٢٥/٩٢.
- (٣) رسوم دار الخلافة ٩٨.
- (٤) المصدر نفسه ١٠٠.
- (٥) ابن حوقل ١٠٣.
- (٦) فضائل مصر المنسوب للكندي ٦٧.
- (٧) أنيس المجلس في أخبار تنيس ٣٧.

المليوس	ثمنه	المصدر
كساء طبري	٤٠٠ درهم	الحيوان للجاحظ ٢٧/٣
كساء قوسي	١٠٠ درهم	الحيوان للجاحظ ٢٧/٣
ثوب قوهي	٨ دراهم	المنتظم ٢٤/٦
عمامة	١٨ درهماً	بدائع البدانة ٤٤
ثوب	٧٥٠ ديناراً	الشابثي ١٥٣
ثوب أخضر خزر	١٠٠ دينار	الشابثي ٤٤
ثوب مصمت	١٠ دنائير	المنتظم ١٥٩/٥
ثوب يمانبي	٥٠ ديناراً	هفوات الكتاب ٥٤
سقلاطوني	٥٠ ديناراً	نشوار المحاضرة ١٢٩/٣
مطرف خزر	٤٠ ديناراً	تاريخ الخطيب ٣١٥/١٠
جبة سعيدية	٦ - ٧ دنائير	تاريخ الخطيب ٧٥/١٠
قميص ديبقي	٢٠٠ دينار	نشوار المحاضرة ٥١/١
قميص	٢٠ ديناراً	نشوار المحاضرة ٥١/١
فرجية	١٧٠ ديناراً	المنتظم ٩٧/٧
نكة أرمنية	١٠ دنائير	نشوار المحاضرة ٢٥٤/١، ابن

حوقل ٢٩٦

الألبسة ومستوى المعيشة:

لم تصلنا من الألبسة عند العرب في العهود الإسلامية الأولى نماذج كافية أو معلومات وافية تمكّنا من تكوين صورة واضحة عنها، وعن تنوعها ومدى اهتمامهم بها. وأوسع وأقدم معلوماتنا هي ما ورد عن الرسول (ص) وزوجاته، ويتبين منها أن الرسول (ص) كان يعنى بنظافة ملابسه، غير أن ملابسه كانت بسيطة وغير مترفة، ومثل هذا يقال عن ألبسة زوجاته. ومن المؤكد أن ألبسته لم

تختلف عن ألبسة المسلمين من الصحابة سواء كانوا من المهاجرين أو الأنصار. والراجح أن هذه الألبسة كانت هي الزي الشائع في مكة والمدينة وفي المدن الحجازية الأخرى.

أحدثت الفتوح الإسلامية أوضاعاً جديدة كان من شأنها أن تؤثر في ملابس العرب ومدى عنايتهم بها. فقد ظهرت مراكز حضارية جديدة هي الأمصار، حيث استوطن عدد كبير من العرب القادمين من أرجاء مختلفة من الجزيرة العربية، ومنهم عدد كبير من اليمن التي كانت فيها مراكز متعددة لمنسوجات متنوعة، وكانت لأهلها في ما يظهر عناية بالألبسة.

ثم إن العرب أصبحوا على اتصال مباشر مع سكان أقاليم لهم ألبسة تختلف في ما يظهر عن ألبسة عرب الجزيرة، أو على الأقل الأقاليم الغربية منها.

وازدادت موارد الدولة والأفراد إلى حد بعيد، مما أدى إلى ارتفاع مستوى المعيشة، وزيادة الاهتمام بالألبسة، سواء كان في اقتناء السلع ذات الأنسجة المتنوعة والغالية، أو في زخارفها ونقوشها ووشمها، أو في عدد ما يلبسه الفرد خلال السنة أو في المرة الواحدة. ولا بد أن ذلك رافقه تنوع في الملابس من حيث خياطتها وتفصيلها.

ومما كان له تأثير في الألبسة زوال الحواجز «الجمركية» ونشاط التجارات بين مختلف أرجاء الدولة، فلم يعد إقليم يحتكر منسوجاً معيناً، بل كانت السلع تنقل إلى مختلف الجهات التي تطلبها، فحدث تشابه في الأسعار وفي السلع المطلوبة.

ومن الطبيعي أن المنسوجات المحلية الرخيصة كانت أكثر رواجاً لدى العامة القاطنين في الإقليم، غير أن السلع الكمالية كانت تصل مناطق بعيدة.

لم تفرض الدولة قبل أبي جعفر زياً رسمياً للناس أو المستخدمين، فظل الناس أحراراً في اختيار أزيائهم والبستهم التي أصبحت تتوقف على أذواقهم الشخصية، وعلى إمكاناتهم المالية. غير أن ذوقاً عاماً بدأ يسود بين الناس في مختلف الطبقات، لأن المصانع تنتج أصنافاً خاصة ثابتة متميزة، ولا تتبدل حتى وإن اختلفت مواضع صنعها.

ومن الطبيعي أن الاهتمام بالأزياء كان مهماً، غير أن هذا الاهتمام لم يكن بالسرعة والعمق الذي نجده اليوم، ولا بد أنه كان بطيئاً بسبب صعوبات الاتصال والمواصلات والدخل المحدود للغالية.

ولا بد أن أذواق الناس في الألبسة تأثرت بالعناصر الأجنبية التي لها ألبسة تلائم المناخ والصناعات المحلية، ومما أثر في هذا احتكاك العرب بالأعاجم واستخدام الخدم والجواري والتفنن القديم. وقد وصف الجاحظ دَوْنَ ملاحظاته بعد بالألبسة الأعجمية في بلاد ما وراء النهر. غير أن الجاحظ دَوْنَ ملاحظاته بعد حوالي قرنين من الفتح الإسلامي ومن بداية الاتصال، وهي في مدن لم تكن للعرب في أي منها أكثرية عددية، وكانت ذات مناخ خاص، وهي بعيدة عن المراكز العربية. وبهذا تختلف في أوضاعها عن العراق والجزيرة، وبخاصة في القرن الأول الهجري حيث كان العرب أكثرية في العراق، وهم وثيقو الاتصال بالجزيرة، ومناخ العراق، وبخاصة أن جنوبه ووسطه صحراويان وألبسة أهله لا تختلف كثيراً عن ألبسة العرب، ولذلك كان الاقتباس أبطأ، وكان للعرب تأثير على الأعاجم في الألبسة أكثر مما لهؤلاء على العرب.

الألبسة:

إن ندرة الألبسة، أو صورها التي وصلتنا من تلك الفترة، تجعل من الصعب تقديم صورة دقيقة عن تصنيف الألبسة تبعاً للطبقات، وبخاصة أن المؤلفين قلماً أشاروا بصراحة إلى كون الألبسة الفلانية هي لباس العلية. غير أن إشارات ضمنية كثيرة يستطيع أن يستنتج منها المرء كثيراً عن ألبسة العامة أو الألبسة العلية والوجهاء.

وكثير من الملبوسات ذكرت أصنافها بالثوب كالثوبي والهروي والوشى، أو بالتقطيع كالمطارف، وكلها من لباس العلية، والمفروض أن كلاً منها نوع واحد وله سمات تميزه.

إن معظم معلوماتنا عن لباس العلية هي عمن عاش في الحجاز أو عن الخلفاء الأمويين في الشام. أما معلوماتنا عن أهل العراق قبل العصر العباسي، فهي أقل.

يختلف الناس في ألبستهم تبعاً لأحوالهم المعاشية، فالبدو من أهل الحجاز كانوا يوصمون بجفاء الزي وغلظ الثياب، والأرستقراطية تلبس القوي والوشي^(١).

أما في المدن، فقد كانت العباءة والأكسية الكردية تعتبر من ألبسة الفقراء^(٢). ويقول ابن قتيبة: «كان الناس يلبسون ما وجدوا من الخزّ واليمنة والحبرات والكرايس والصوف»^(٣)، ويروى أن زوجة روح بن زباع الجذامي هجت زوجها بشعر قالت فيه:

بكى الخزّ من روح وأنكر جلده وعجت عجباً من جذام المطارف
وقال العبا قد كنت حيناً لباسكم وأكسية كردية وقطائف^(٤)

ويروي الأصمعي عن ابن الفرافصة أنه قال: «أدركت وجوه البصرة.. فإذا قعدوا في أفنتهم لبسوا الأكسية، وإذا أتوا السلطان ركبوا ولبسوا المطارف»^(٥).

رويت آراء بعض الفقهاء في تنوع الألبسة تبعاً لمستوى معرض الكلام عن كفارة اليمين، حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْنِ فِي آيَاتِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُكُمْ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْوُمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [المائدة/٨٩]. فقد قال الفقيهان البصريان ابن سيرين والحسن البصري إن الكسوة ثوبان. وقال أبو موسى الأشعري إن الكسوة ثوبان من معقدة اليمن. أما الفقيه الكوفي إبراهيم النخعي، فقال: «إن الكسوة ثوب جامع، والثوب الجامع الملحفة أو الكساء أو نحوه، فلا نرى الدرع والقميص والخمار ونحوه جامعاً»^(٦).

ويمكن تكوين فكرة عن الثياب الوسط من متعة المرأة المطلقة والنفقة

(١) الأغاني ١/١٢٠. وأنظر ١/٤٩، ٢/١٦٨، ٨/٣١٠.

(٢) عيون الأخبار ١/٢٩٧؛ الخلاصة ٢١٣.

(٣) الأشربة ٨٢.

(٤) الأغاني ٩/٢٢٩.

(٥) عيون الأخبار ١/٢٩٨.

(٦) الطبري، التفسير ٧/١٥ - ١٦.

عليها، فقد قال الشعبي وشريح أن أوسط المتعة للمرأة كسوتها في بيتها ودرعها وخمارها وملحفاتها وجلابها^(١).

أورد الشافعي معلومات قيمة عن الألبسة، عند بحثه عن نفقة المرأة المرضعة المطلقة التي أمر الله تعالى فيها: ﴿وَالْوَالِدَتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة/ ٢٣٣]، ﴿فَإِنْ أَتَتْكُمْ لَكَرٌّ فَاقْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق/ ٦]، ﴿لِيُثَبِّتَ دُورَ سَعْيَيْنِ سَعْيِيَّةٍ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق/ ٧]، فقال الشافعي: «أقل ما يلزم المقتر، من نفقة امرأته المعروف ببلدهما .. وفرض لها من الكسوة والكسي مثلها ببلدها عدد المقتر وذلك من القطن الكوفي والبصري وما أشبهها، ولخادمتها كرباس وتبان وما أشبهه، وفرض لها في البلاد الباردة كل ما يكفي في البرد من جبة محشوة وقطيفة أو لحاف وسراويل وقميص وخمار أو مقنعة، ولخادمتها جبة صوف وكساء تلتحفه يدفن مثلها، وقميص ومقنعة وخف وما لا غنى بها عنه، وفرض لها للصيف قميصاً ومقنعة، وتكفيها القطيفة ستين والجبة المحشوة كما يكفي مثلها الستين ونحو ذلك.. وإن كان زوجها موسراً فرض لها من الكسوة وسط البغدادي والهروي وما شبهها، وكذلك يخشى لها للشتاء إن كانت ببلاد يحتاج أهلها إلى الحشوة، وتعطى قطيفة وسطاً لا تزداد.. وأفرض لها في الكسوة الكرباس وخليط البصري والنواسطي وما أشبهه، لا أجازه بموسع من كان ومن كانت امرأته، واجعل عليه لامرأته فراشاً ووسادة من خليط متاع البصرة وما أشبهه، وللخادمة الفروة ووسادة وما أشبهه من عباءة أو كساء خليط فإن بلي أخلفه^(٢). إن هذا النص الذي يفصل في تنوع الألبسة بحسب مستوى المعيشة الذي ذكره الشافعي، وهو من فقهاء أواخر القرن الثاني الهجري، يمكن أن يكون المرء منه فكرة عن هذه الألبسة في القرن الأول الهجري.

ومن الألبسة الدون ما كان على يعقوب بن داود عندما ما قابل المهدي وكان يلبس فرواً وكرايس وكساء من ألبسة الدون الكرايس وطفاليل، وهي ما ذكره الأصمهاني لبسه الفرولي عند مقابلته المهدي^(٣).

(١) تفسير الطبري ٧٣/٩.

(٢) الام ٣٩ / ٥.

(٣) الأغاني ٢٧/١٠.

ويقول الحبشي: «فأما الملبس فإن تركت التجميل فيه فيكفيك في السنة ديناران أي مثقالان لثثائك وصيفك، وأحسن الملابس ما يلبس أمثاله في زمانه ومكانه من غير شهرة في الطرفين، وأفضلها البياض ثم عصب اليمن، ويجوز للرجال لبس الثوب الأخضر ونحوه من المصبوغات بلا كراهة، ولبس الكتان والصوف والقطن بالخز وإن كانت نفيسة غالية الأثمان، ويحرّم على الرجل لبس الحرير والمزعفر والمعصر»^(١).

وقال مؤلف حكاية أبي القاسم في تباهيه على أهل أصفهان: «ما أرى على بدن واحد منكم ثوب ديبقي شقير، ولا تقاوى ولا قيراطي زهيري ولا بفت قشيري ولا رداء عدني ولا تختخ ولا راختج ولا ثياب قصب... ولا مُجَلّي أيضاً ولا وشي ديباج بالذهب المنسوج والعنبر الممزوج أو مشتقات قصب معلم محوم»^(٢). وعيّنهم بأن ليس عندهم «الزلالي المغربية والطنافس الخرشنية والنخاخ الأندلسية والقرطبية والمطارح الأرمنية والقطف الرومية والمقاعد النصرية والأنطاع المذهبة المغربية والمخاض المذهبة الديقية والطراحات القبرصية والسوسنجردية. ولا لهم حصر ساماني ولا عباداني يطوى بالعرض كما تطوى الثياب أجلّ من الرازي وأنعم من الخز السوسي، والدسوت الشفيرة المفضلة بالذهب والديباج المقضب بالذهب»^(٣). وذكر الشرب الديبقي والرداء الشطوي والفرجية الرومية»^(٤).

وكانت الحلل فيما يظهر من لباس العلية، والحلة هي «الوشي والحبرة والخز والقز والقوهي والمروي والحرير، والحلة كل ثوب جديد تلبسه غليظ أو رقيق، ولا يكون إلا ذا ثوبين»^(٥).

كانت الحلة السيرة من لباس الثرف غير المستحب. ويروي ابن ماجه حديثاً

(١) الأغاني ٢٧/١٤.

(٢) البركة في فضل السمي والحركة ٤٩.

(٣) حكاية أبي القاسم ٣٥.

(٤) المصدر نفسه ٨٦.

(٥) لسان العرب ١٨٢/٣ ، ٤٠٤/٨.

عن الرسول يدلّ على أن القطيفة والخميصة كانتا من لباس الترف غير المستحب. فقد روي قول الرسول (ص): «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة»^(١).

أما الأغنياء المترفون، فإن نصوصاً كثيرة تدلّ على أن من أهمّ ملبوساتهم الكتان^(٢)، ثم الوشي والقوهي والخز^(٣).

كانوا يكتثرون من الملبوسات، فمروان بن أبان بن عثمان «كانت عليه سبعة قمص كأنها درج بعضها أقصر من بعض»^(٤). وكانت الشهرة في الأزمنة الأولى في تذييل القميص ثم أصبحت في تشميره^(٥). ويروي الواقدي: «رأيت أبا جعفر متكئاً على طيلسان مطويّ في المسجد»^(٦).

أما في زمن الرسول، فكان كثير من الصحابة لا يلبس إلا ثوباً واحداً. فقد روي أن الرسول صلّى في ثوب واحد وقال: «وما كان لأحدنا إلا ثوب واحد»^(٧). وكانت العروس تستعار لها الثياب^(٨).

ويروي الكليني بسند عن جعفر الصادق: «يثبغي أن تتوشح بإزار فوق القميص وأنت تصلّي، ولا تنزر بإزار فوق القميص إذا أنت صليت، فإنه من زيّ الجاهلية»^(٩).

وكان ملوك الفرس يلبسون في يوم المهرجان «الجديد من الخزّ والوشي والملحم»^(١٠).

(١) ابن ماجه: زهد ٨.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٧٣/٤؛ سيرة ابن هشام ١٦٠/٢؛ عيون الأخبار لابن قتيبة ٥٧١/٣.

(٣) ابن سعد ٢٩/٢-٤، ٣٥؛ الأم ٩١/٥؛ الأغاني ١٢/١، ١٦٨/٢.

(٤) الأغاني ٨٩/١٧.

(٥) عيون الأخبار ٢٩٨/١.

(٦) ابن سعد ٢٣٧/٥.

(٧) البخاري: حيف ١١، أبو داود الطهارة ١٣٠، الصلاة ٢٤١. وانظر: المعجم المفهرس، مادة «ثوب».

(٨) البخاري نكاح ٦٥.

(٩) الكامل ٣٩٥/٣.

(١٠) التاج في أخلاق الملوك ١٥٠.

ذكرت بعض المصادر عدة نصوص تدلّ على أن الخزّ كان من لباس العلية. فذكر الشافعي مثلاً عن رجل كان لبسه الوشي والخزّ والمروى والقصب، وطعمته التقي النقي وألوان لحم الدجاج والطيّر^(١). ويروي ابن سعد أن «زادان دخل على عبد الله (ابن مسعود) وقد سبقه الناس بالمجلس، فقال أدنيت أصحاب الخزّ، فقال ادنه، فأجلس إلى جنبه»^(٢). وكان على الوليد بن يزيد جبة وشي ورداء وشي وخفت وشي^(٣)، وكانت على نصيب جبة وشي^(٤).

ويروي أبو عبيدة أن الحطيئة امتدح سعيد بن العاص، فقال هذا لو كيّله أذهب به إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشترته له، فجعل يعرض عليه الخزّ ورقيق الثياب فلا يريدّها ويومئ إلى الكرايس والأكسية الغلاظ فيشترها. وكان يروم وكيل اسماعيل بن اسحاق يلبس الخزّ والقصب والديقي^(٥). وزوّجت مريم الصنّاع ابنتها فكستها المروي والوشي والقزّ والخزّ^(٦). وكان أبو خالد الهيثمي عليه الوشي والجوهر وما أشبه^(٧).

وخرج الرشيد إلى إبراهيم الموصلي في دراعة وشي متلصّماً بعمامة وشي ملتصّفاً برداء وشي^(٨). وخلع على ابن جامع جبة خزّ طاروني مبطّنة بسمور صيني، وعلى إبراهيم الموصلي جبة وشي كوفي مرتفع مبطّنة بفنيك، وعلى ابن صدقة ذراعة ملحم خراساني محشوة بقرأ^(٩). وكان عون بن عبد الله يلبس جبة خزّ ومطرف خزّ ويجالس المساكين^(١٠).

- (١) الأم للشافعي.
- (٢) ابن سعد ١٢٤/٦.
- (٣) الأغاني ٢٨١/٦.
- (٤) المصدر نفسه ١٣١/٧.
- (٥) نشوار المعاضرة ١٥/٣.
- (٦) البخل للجاحظ ٢٥.
- (٧) الأغاني ١٠٨/٢١.
- (٨) المصدر نفسه ١٧/١٠.
- (٩) المصدر نفسه ١٠١/٢١.
- (١٠) الأشربة لابن قتيبة ٨٤.

والحلة تكون من الوشي والخز والقز والقوهي والمروي والحريز. وقال اليمامي: الحلة كل ثوب جديد تلبسه غليظاً أو دقيقاً ولا يكون إلا ذا ثوبين^(١). ويروي الأصبهاني عن رجل قال كنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية وهم في القوهي والوشي. وقال عبد الملك خلقت والله حليل الوشي^(٢) والخز والقوهي^(٣).

كانت القوهية من لباس العلية فيروي محمد بن سلام عن أبيه: «أقبل طويس وعليه قميص قوهي وحبرة قد ارتدى بها»^(٤):

ويروي محمد بن مسلم عن جرير قال ابن سريج دعاني فتية من بني مروان فدخلت إليهم وأنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية، وهم في القوهي والوشي يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية^(٥).

تميزت القوهية بالرقّة، فقد غنت جارية للمتوكل شعراً لخديجة بنت المأمون جاء فيه:

لو لبس القوهي من رقه أوجعه القوهي أو خدشا^(٦)
ومن المنسوجات المترفة الهروية، وقد تحدثنا عنها بتفصيل في فصل منسوجات بلدان الهضبة الإيرانية.

البسة الحداد ومراسم الوفاة:

يذكر ابن سعد أن حمزة بن عبد المطلب كفّن في ثوب^(٧). ونظراً

(١) لسان العرب ٤٠٤/٨، ١٨٢/١٣.

(٢) الأغاني ١٢٠/١٠.

(٣) المصدر نفسه ٩٠/١٥.

(٤) المصدر نفسه ١٦٢/١٣، ١٣/١٦.

(٥) المصدر نفسه ٣١٠/١.

(٦) المصدر نفسه ١١٠/١٤.

(٧) ابن سعد ٥/١-٣.

للأحوال الخاصة التي أحاطت باستشهاد حمزة، في موقعة أحد، فإنه لا يمكن اعتبار تكفيه بثوب هو التقليد المتبع، إذ إن النصوص تذكر أن الميت كان يكفن بعدة أثواب.

فقد روى هشام بن عمرو عن أبيه عن عائشة: «أن رسول الله (ص) كُفّن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة»^(١). ويضيف ابن سعد في روايته عن عبدالله بن جعفر أن أحدها برد يمانى^(٢).

أما أبو بكر، فيروي ابن سعد أنه «كُفّن في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة. وقال أبو بكر لابنته انظري ثوبي هذا فيه... زعفران أو مشق فاغسله واجعلي معه ثوبين آخرين»^(٣). ويروي أنه كُفّن في ربطتين: ربطة بيضاء وربطة ممصرة. وهناك روايات أخرى تذكر أنه كُفّن في ثوبين معقدين، سحوليين^(٤).

أما عمر، فيروي سالم بن عمر أنه كُفّن في ثلاثة أثواب. ويروي وكيع أنه كُفّن في ثوبين سحوليين وقميص^(٥). أما محمد بن عبدالله الأسدي، فيروي أنه كُفّن في ثوبين صحاريين وقميص كان يلبسه^(٦).

أما علي، فقد «كُفّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص»^(٧).

أما ابن مسعود، فقد أوصى أن يكفن في حلة بمائتي درهم^(٨).

وكُفّن سعد بن معاذ في ثلاثة أثواب صحارية^(٩).

(١) الأم ٣٥٨، سند الشافعي / ٣٠٦.

(٢) ابن سعد ٢٣٥/٥.

(٣) المصدر نفسه ١-٣ / ١٤٣، أنساب الأشراف ٧٤، طبعة إحسان صدقي العمدة.

(٤) ابن سعد ١-١ / ١٤٥ - ١٤٦.

(٥) أنساب الأشراف ٣٠٨، طبعة إحسان صدقي العمدة.

(٦) ابن سعد ١-٣ / ٢٦٦.

(٧) المصدر نفسه ١-٣ / ٢٥.

(٨) المصدر نفسه ١-٣ / ١١٣.

(٩) المصدر نفسه ١-٣ / ١١.

وكُفِّنَ عمر بن عبد العزيز في خمسة أثواب يروى أنها من كرسف، وفي رواية أخرى أن منها قميصاً وعمامة^(١).

ولما مات واقد بن عبدالله بن عمر بالسقيا وهو مُحْرَم، كُفِّنَ ابن عمر في خمسة أثواب فيها قميص وعمامة^(٢).

ويروى أن جعفر أمر ابنه أن يُكَفِّنَ في قميصه وأن تقطع أزراره وفي رداءه الذي كان يلبس، وأن يشتري برداً يمانياً، فإن النبي كُفِّنَ في ثلاثة أثواب أحدها برد يمانى^(٣). وأوصى علي بن الحسين أن يكفِّنَ في قطن^(٤). وأوصى يوسف أن تشد رجله بعمامة^(٥).

ويروي الكليني عن أبي عبدالله قوله: «الكتان كان لبني إسرائيل يكفنون به، والقفن لأمة محمد. ويقول أبو الحسن عن أبيه أنه كُفِّنَ أباه في ثوبين شطويين كان يُحْرَمُ فيهما، وفي قميص من قميصه وعمامة كانت لعلي بن الحسن، وفي برد اشتراه بأربعين ديناراً لو كان اليوم لساوى أربعمئة دينار، وأن الحسين بن علي كُفِّنَ أسامة بن زيد ببرد. وعن أبي عبد الله قال: الكفن يكون برداً، فإن لم يكن برداً فاجعله عمامة قطناً، فإن لم تجد عمامة قطن، فاجعل العمامة سايرياً»^(٦).

التغسيل:

يروي مالك عن أيوب السخيتاني عن محمد بن سيرين عن أم عطية أن رسول الله قال لها في غسل ابنتها اغسلوها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتم ذلك بماء وسدره^(٧).

(١) ابن سعد ٢٠٠/٥.

(٢) المصدر نفسه ١٥١/٥.

(٣) المصدر نفسه ٢٣٨/٥.

(٤) المصدر نفسه ١٦٣/٥.

(٥) المصدر نفسه ٣٤٦/٥.

(٦) الكافي ٤٩/٣.

(٧) الأم ٢٣٤/١.

ويذكر ابن سعد أن عمر غُسل ثلاثاً بالماء والسدر^(١). وأوصت أسماء بنت أبي بكر: «إذا مت حنطوني ولا تذروا علي كفني حنطاً»^(٢).

ويروي الفضل بن دكين عن مندل عن هشام بن عروة قال: أوصاني أبي أن لا تذروا علي حنوطاً»^(٣). وأوصى يوسف: «أن يجعلوا علي وجهه حنوطاً»^(٤).

غير أن كثيراً من النصوص تذكر أن بعض الصحابة كانوا يكرهون المسك في الحنوط. فيروي ابن سعد «أن عمر بن الخطاب أوصى أن لا يغسلوه بمسك ولا يقربن مسكاً»^(٥). وقال لا تجعلوا في حنوطي مسكاً»^(٦). وقال عمر بن عبد العزيز لمولاه إني أراك ستلين حنوطي فلا تجعلوا فيه مسكاً. وإن علي بن الحسين أوصى أن لا يجعل في حنوطه مسك»^(٧).

غير أن فريقاً من الصحابة كان يقرّ بالحنوط. فلما سئل مالك عن المسك والعنبر في الحنوط للميت قال: لا بأس بذلك. قال ابن القاسم: «يُجعل الحنوط على جسم الميت وفيما بين أكفان الميت ولا يجعل من فوقه»^(٨). وروى ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب: أن السُّنة إذا حنّط الميت أن يذر حنوطه على مواضع السجود منه السبعة»^(٩). وذكر أن عطاء بن أبي رباح قال أحب الحنوط إليّ الكافور ويجعل منه في مراقه وإبطيه ومراجع رجليه وفي إبطيه ورقبته وفي أنفه وفمه وعينه وأذنيه. وقد أوصى الرسول أنه إذا غسلت بناته فيلغسلن بماء وسدر ويُجعل في الآخرة كافور أو شيء من كافور»^(١٠).

(١) ابن سعد ٣-١/٢٦٦.

(٢) الموطأ ١/١٧٥.

(٣) ابن سعد ٥/١٣٥.

(٤) المصدر نفسه ٥/٣٤٦.

(٥) المصدر نفسه ٣-١/٢٦٦، ٢٦٧.

(٦) المصدر نفسه ٣-١/٢٦٦.

(٧) المصدر نفسه ٥/١٦٣.

(٨) المدونة ١/١٨٧.

(٩) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

(١٠) الأم ١/٢٣٤.

أما نقل الجنازة، فيروي ابن شبه عن أبي عاصم النبيل عن كهم بن الحسن عن يزيد: كمدت فاطمة بعد وفاة أبيها، فقالت: «إني لأستحي من جلال جسمي إذا خرجت على الرجال غداً وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء، فقالت أسماء بنت عميس وأم سلمة إني رأيت شيئاً يصنع بالحبيشة فصنعت النعش فاتخذ بعد ذلك سنة»^(١).

وأوصى عدد من الصحابة والتابعين ألا تتبع جنازته بنار ومنهم أسماء بنت أبي بكر^(٢)، وعمر^(٣)، وعمرو بن العاص^(٤)، وأبو هريرة^(٥)، وسعيد بن المسيب^(٦). وأوصى عدد من الصحابة ألا تتبعه امرأة أو نائحة، ومن هؤلاء عمرو بن الخطاب^(٧)، وعمرو بن العاص^(٨). كما أوصى سعيد بن المسيب ألا يتبع براجز^(٩). إن تأكيد امتناع فعل هذه الأمور يدل على شيوعها، والواقع أنها كانت موجودة زمن عمر بن عبد العزيز، فيروي «علي بن محمد عن خالد بن يزيد عن أبيه: كتب عمر بن عبد العزيز إلى العمال في النياحة واللهو: بلغني أن نساء من أهل السنة يخرجن عند موت الميت منهن ناشرات شعورهن ينحن كفعل أهل الجاهلية ما رخص لنساء في وضع خمرهن منذ أمرن أن يضربن بخمرهن على جيوبهن، فتقدموا في هذه الناحية تقدماً شديداً، وقد كانت الأعاجم تلهو بأشياء زيتها الشيطان لهم فازجر من قبلك من المسلمين من ذلك»^(١٠). وأوصى عدد من

(١) وفاة الرقا ٢/٢٩١.

(٢) الموطأ ١/١٧٥.

(٣) ابن سعد ٣-١/٢٦٧.

(٤) المصدر نفسه ٤-٦/٢.

(٥) المصدر نفسه ٤-٦/٢.

(٦) المصدر نفسه ٥/١٠٥.

(٧) المصدر نفسه ٣-١/٢٦٧.

(٨) المصدر نفسه ٤-٦/٢.

(٩) المصدر نفسه ٥/١٠٥.

(١٠) المصدر نفسه ٥/٢٩٠.

الصحابة أن يعجلوا بهم في المشي، ومن هؤلاء علي بن الحسين^(١)، وأبو هريرة^(٢)، وسعيد بن المسيب^(٣).

أوصى عمرو بن العاص: «إذا دفنتموني فسئوا علي التراب»^(٤). وكان علي قبر عبيد الله بن عبد الله بن عمر فسطاط، ورش قبره بالماء^(٥). غير أن أبا هريرة^(٦)، وسعيد بن المسيب^(٧)، أوصيا ألا يضرب علي قبرهما فسطاطاً.

أما القبور، فكان «أهل مكة يشقون وأهل المدينة يلحدون»^(٨). وقال رسول الله (ص) اللحد لنا والشق لغيرنا^(٩). وذكره مالك تجصيص القبور والبناء عليها، وهذه الحجارة التي يبنى عليها^(١٠).

أما الجداد، فيقول مالك: «قال رسول الله (ص) إنما هي أربعة أشهر وعشراً، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبصرة على رأس الحول، قال حميد فقلت لزَيْنَب وما قولة ترمي بالبصرة على رأس الحول، فقالت زَيْنَب كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت ولبست شرّ ثيابها ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى تمر بها سنة»^(١١).

أما في الإسلام، فيروي الشافعي: «سمعت رسول الله (ص) يقول على المنبر لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ علي ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً»^(١٢). ويقول مالك: «لا تحدّ علي أحد

(١) ابن سعد ١٦٣/٥.

(٢) المصدر نفسه ٦٢/٤-٥.

(٣) المصدر نفسه ١٠٥/٥.

(٤) المصدر نفسه ٦٢/٤-٥.

(٥) المصدر نفسه ١٠٥/٥.

(٦) المصدر نفسه ٦٢/٤-٥.

(٧) المصدر نفسه ١٠٥/٥.

(٨) المصدر نفسه ٧٤/٢-٣.

(٩) المصدر نفسه ٧٢/٢-٣.

(١٠) الموطأ ١٨٩/١.

(١١) المدونة ١١٦/٥ - ١١٧، الأم ٢١٣/٥.

(١٢) الأم ٢١٢/٥.

فوق ثلاث ليال إلا على زوج^(١). وفي الحداد، فإن المرأة تمتنع عن مظاهر الزينة وقد أكد الفقهاء امتناع الحاذة عن عدة أمور:

١ - الكحل:

يقول ابن عمر أن المتوفى عنها زوجها لا تكتحل^(٢). وينقل عنه مالك أنها «لا تكتحل بكحل تريد به الزينة إلا أن تشتكي عينيها»^(٣). وتقول عائشة إنها: «لا تكتحل بالإثمد ولا بكحل فيه طيب وإن رجعت عينيها، ولكن تكتحل بالصبر وما شارب من الأكحال سوى الإثمد مما ليس فيه طيب»^(٤).

ولما مات جميل حزنّت عليه بشنة، فلم تكتحل بعده بإثمد ولا خرقت رأسها لمخيط ولا مشط ولا دهنته إلا من صداع، ولم تلبس خمراً مصبوغاً ولا إزاراً^(٥).

٢ - الطيب:

تقول عائشة إن المتوفى عنها زوجها يجوز لها أن تكتحل «مما ليس فيه طيب»^(٦). ويقول ابن عمر أنها «لا تطيب»، و«لا تمس طيباً»^(٧). ويقول مالك وقد سئل: «فهل تدهن الحاذة رأسها بالزنبق أو بالخيرة أو بالبنفسج، قال: لا تدهن الحاذة إلا بالحل، يريد الشيرج، أو بالزيت ولا تدهن بشيء من الأدهان العربية، قال مالك ولا تمشط بشيء من الحناء ولا الكتم ولا بشيء مما يختمر في رأسها»^(٨).

(١) المدونة ١١٥/٥.

(٢) تفسير الطبري ٣١٨/٢.

(٣) المدونة ١١٣/٥.

(٤) تفسير الطبري ٣١٨/٢.

(٥) الأغاني ٢٠٣/٨.

(٦) تفسير الطبري ٣١٨/٢.

(٧) المصدر نفسه، الموضع نفسه؛ المدونة ١١٣/٥.

(٨) المدونة ١١٤/٥.

٣ - الحلبي :

تقول عائشة إن الحادّ على زوجها لا تلبس الحلبي^(١). ويقول مالك وقد سئل «أرايت الحادّ هل تلبس الحلبي، قال مالك لا ولو خاتماً ولا خلخالاً ولا سواراً ولا قرطاً».

٤ - الخضاب :

يرى ابن عمر أن الحادّ على زوجها لا يجوز لها أن تختضب^(٢).

٥ - عدم المبيت خارج البيت :

يقول ابن عمر إن الحادّ على زوجها "لا تبيت عن بيتها"^(٣).

٦ - الألبسة :

تقول عائشة إن الحادّ على زوجها «لا تلبس ثوباً مصبوغاً ولا معصفاً.. وتلبس البياض ولا تلبس السواد»^(٤). أما ابن عمر «فيرى أن لا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب (و.و) لا يرى بأساً أن تلبس البرد»^(٥). ويقول مالك إنها «لا تلبس شيئاً تريد به الزينة حتى تحل»^(٦). وقد سئل مالك «في الحادّ فهل تلبس الثياب المصبغة من هذه الدكن والصفرة والمصبغات بغير الورس والزعفران والعصفر، فقال لا تلبس شيئاً منه لا صوفاً ولا قطناً ولا كتاناً صبغ بشيء من هذا إلا أن تضطر إلى ذلك من برد ولا تجد غيره»^(٧). ويقول أيضاً: «ولا تلبس خزّاً ولا حريراً مصبوغاً ولا ثوباً مصبوغاً بزعفران ولا عصفر ولا خضرة ولا غير ذلك، فقلنا لمالك فهذه الجباب التي تلبسها النساء للشتاء التي

(١) تفسير الطبري ٣١٨/٢.

(٢) المدونة ١١٣/٥.

(٣) تفسير الطبري ٣١٨/٢، المدونة ١١٣/٥.

(٤) تفسير الطبري ٣١٨/٢.

(٥) تفسير الطبري ٣١٨/٢، المدونة ١١٣/٥.

(٦) المدونة ١١٣/٥.

(٧) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

تصبغ بالمكن والخضر والصفّر والحمر وغير ذلك، قال لا يعجبني إلا أن لا تجد غير ذلك وتضطّر إليه، ولا خير في العصب إلا الغليظ منه فلا بأس بذلك.

قال مالك ولا بأس أن تلبس من الحرير الأبيض^(١). (وسئل) هل تلبس الحادّ البياض الجيد الرقيق منه، قال نعم، (فقل) لمالك فهل تلبس الحادّ الشطوي والقسي والقصي الرقيق من الثياب، فلم يرَ بذلك بأساً، ووسّع في البياض كله للحادّ رقيقه وغليظه.. قال في المصبوغ كلّ الجباب من الكتان والصوف الأخضر والأحمر إنها لا تلبس.

ويقول الشافعي: «ولا بأس أن تلبس الحادّ كل ثوب وإن جاء من البياض، لأن البياض ليس يعزّيه، وكذلك الصوف والوبر، وكل ما نسج على وجهه، وكذلك كل ثوب منسوج على وجهه لم يدخل عليه صبغ من خزّ أو مروي إبريسم أو حشيش أو صوف أو وبر أو شعر أو غيره. وكذلك كل صبغ لم يرد به تزيين الثوب، مثل السواد وما أشبهه، فإن من صبغ السواد إنما صبغه لتقيحه للحزن. فأما كل صباغ كان زينة أو وشي في الثوب يصبغ كأنه زينة أو تلميع كأنه زينة مثل العصب والحبرة والوشي وغيره، فلا تلبسه الحادّ غليظاً كان أو رقيقاً^(٢).

(١) المدونة ١١٤/٥.

(٢) الأم ٣١٤/٥.

الفهرس

- ٥ الفصل الأول: ملاحظات عامة
- ٥ أهمية الملبوسات وتطورها
- ٩ الدولة والملبوسات
- ١١ تنوع الملبوسات
- ١٥ الفصل الثاني: مصادر دراسة المنسوجات والألبسة
- ١٥ كتب اللغة
- ١٦ كتب الفقه
- ١٦ كتب الحديث والتراجم
- ١٧ كتب التاريخ والآداب
- ١٨ حدود المادة
- ٢٠ الدراسات الحديثة
- ٢٣ الفصل الثالث: مواد النسيج
- ٢٣ القطن والبر
- ٢٧ الصوف
- ٣١ الكتان
- ٣٧ الحرير والإبريسم

- ٣٩ القز
- ٤٠ الخز
- ٤٦ الديباج
- ٤٩ الجلود
- ٥٧ الخفاف والنعال
- ٥٩ الغزل والحياكة
- ٦١ النسيج
- ٦٧ الفصل الرابع: مراكز النسيج في شبه الجزيرة العربية وأطرافها
- ٦٧ أنسجة اليمن
- ٧٢ الأنحمة
- ٧٣ الحبرة
- ٧٥ العصب
- ٧٧ الجندية
- ٧٧ النجرائية
- ٧٨ السعيدية والتزيدية
- ٧٨ المعافرية
- ٧٩ المسحولية
- ٨٠ العدنية
- ٨٢ الصبرية والجيشانية
- ٨٣ مسوحات يمانية أخرى
- ٨٣ الحللي

- ٨٦ أنسجة البحرين وعمان
- ٨٦ القطرية
- ٨٩ المنسوجات العمانية
- ٨٩ الصحارية
- ٨٩ أنسجة العراق
- ٩١ النرسية والكسكسية
- ٩٢ البصرية
- ٩٢ الميسانية
- ٩٣ الكوفية
- ٩٣ أنسجة عراقية أخرى
- ٩٤ منسوجات بغداد
- ٩٧ المنسوجات المصرية
- ٩٨ الأشمونية والشطوبة
- ٩٩ القسبية
- ١٠١ القرقيية والسبئية
- ١٠١ المنسوجات المصرية في مصادر القرنين الثالث والرابع
- ١٠٤ اللدبيقية
- ١٠٦ مراكز نسيج أخرى
- ١٠٦ أنسجة الشام
- ١٠٧ الغوطية
- ١٠٧ القسطلانية والمرنبانية والمقدية

- ١٠٨ مراكز النسيج في الأهواز
- ١١٠ مراكز النسيج في المناطق الشمالية
- ١١٠ المنسوجات الكردية والرومية
- ١١١ المنسوجات الأرمنية
- ١١٣ الفصل الخامس: منسوجات بلدان الهضبة الإيرانية
- ١١٥ القهوة
- ١١٨ السابري
- ١٢٠ منسوجات خراسان وما وراء النهر
- ١٢١ نيسابور
- ١٢٢ مرو
- ١٢٤ الهروية
- ١٢٦ مراكز أخرى في خراسان وما وراء النهر
- ١٢٩ الفصل السادس: ألوان الألبسة
- ١٢٩ الألوان
- ١٣٦ الوشي
- ١٤٥ ألوان الملابس
- ١٤٥ اللون الأبيض
- ١٥٢ اللون الأسود
- ١٥٩ اللون الأخضر
- ١٦١ اللون الأزرق والكحلي والبنفسجي
- ١٦٣ اللون الأصفر

١٧٥ اللون الأحمر

١٨٩ الفصل السابع: الملابس

١٨٩ الرداء

١٩٤ القميص

١٩٥ الملحفة

١٩٦ الملاعة

١٩٧ الربطة

١٩٧ الدراعة

١٩٨ الخميصة

١٩٨ البرنكان

١٩٩ المرط

١٩٩ القباء

٢٠٠ الخمار

٢٠٠ الغلالة

٢٠١ السروال

٢٠٢ البردة

٢٠٢ الشملة

٢٠٣ المطرف

٢٠٥ الطيلسان

٢٠٧ الساج

٢٠٨ البيت

- ٢٠٨ البجاء
- ٢١٠ المستقة
- ٢١١ الجباب
- ٢١٢ العمام
- ٢١٧ القنسوة
- ٢١٩ الفصل الثامن: الأزياء
- ٢٢٠ ألبسة الخلفاء الأمويين
- ٢٢٠ ألبسة الخلفاء العباسيين
- ٢٢٣ القنسوة الطويلة
- ٢٢٤ علم الخلافة
- ٢٢٥ لباس القواد
- ٢٢٦ اللواء
- ٢٢٨ التطويق
- ٢٢٩ التشهير
- ٢٢٩ التشهير
- ٢٣٠ ألبسة الوزراء
- ٢٣٠ ألبسة الكتّاب
- ٢٣٢ ألبسة القضاة
- ٢٣٢ ألبسة الفقهاء وأهل العلم
- ٢٣٤ ألبسة الأشراف
- ٢٣٥ ألبسة النساء

- ٢٣٦ لباس أهل الدمة
- ٢٣٧ ملابس الخلفاء الفاطميين
- ٢٤٢ ألبسة كسرى وأشرف الفرس
- ٢٤٥ الفصل التاسع: الألبسة ومستوى المعيشة
- ٢٤٥ أسعار الألبسة
- ٢٥٠ الألبسة ومستوى المعيشة
- ٢٥٢ الألبسة
- ٢٥٨ ألبسة الحداد ومراسم الوفاة
- ٢٦٠ التغليف